كشاف الزمخشري من سورة مريم
الى اخر سوره الشعراء

[illegible]

[illegible] الصافات



بسم الله الرحمن الرحيم قرأ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة ويكسرهما عاصم وبضمها
الحسن وقرأ الحسن ذكر رحمت ربك اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة
ربك وقرئ ذكر على الامر داعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر
والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل
في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد
في ابان الكبر والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه
وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا
فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قرئ
وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل
بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا
وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية
وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد
قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه
بعض عظامه ولكن كلها ه ادغام السين في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب
بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره
في الشعر وفشوه فيه

واخذه

كتابخانه جعفر سلطان القرائي
تبريز ۱۲۴۵ قمری

وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة
ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج
الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكرياء
فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل الى الله بما سلف
له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله فقال انا الذي
احسنت اليه وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى
حاجته وكان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار
بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا
الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء
الدين ويرتسم مراسمه فيه من ورائي بعد موتي وقرأ ابن كثير
من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن
بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو
تبدلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون الامر
من ورائي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم
خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما ان يكون ورائي
بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة
امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني
ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا
ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد من لدنك تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه

مضافا الى الله وصادرا من عنده والاقتصر على وليا يرثني كان
او اراد اجتماعا متكررا بلا سبب الا خولها حتى لا تصلح للولادة يرثني
ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحو ردءا يصدقني
وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري
او يرث على تصغير وارث وقال غليّم صغير وعن علي رضي الله عنه
وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى
التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم
لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان
حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت
منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب
لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكرياء عليه السلم من نسل
يعقوب بن اسحاق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكرياء
وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان
بن داود سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي
الشنع جديرة بالاثرة وايّاها كانت العرب تنتحي في التسمية
لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم
شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب
وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه
انا ابن العجاج فقصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد
كقوله

كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد
منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه
ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا
بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص
ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان
حصورا اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل
فاردت الولد لاختلال الجد لتسبيبين اختلال السببان
جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العتي
والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما
اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا
فمعتقد زكرياء اولا وآخرا كان على منهاج واحد في ان الله غني
عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل
والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر
والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه
ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك
صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ أبي ومجاهد عسيا كذلك الكاف
رفع اي الامر كذلك تصديقا له ثم ابتدأ قال ربك او نصب بقال وذلك
اشارة الى مبهم يفسره ما بعده ونحوه وقضينا اليه
ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن

وهو على هين ولا غنج هذا الاعلى الوجه الاول اي الامر كما قلت
وهو على ذلك يهون علي ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما
تقدم من وعد الله لا الى قول زكرياء وقال محذوف في كلتا القراءتين
اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنو لان
الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق
شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء
وقوله اذا راى غير شيء ظنه رجلا وقرا الاعمش والكسائي
وابن وثاب خلقناك اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما
بشرت به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم
الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالي هنا
والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة
ايام ولياليهن اوحى اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا ا
وعن ابن عباس كتب لهم على الارض سبحوا صلوا او على
الظاهر وان هي المفسرة اي بالتوراة بجد واستظهار بالتوفيق
والتأييد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي اذا نظرت
يقال حكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس
وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا
وعن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله
احكم عقله في صباه واوحى الله حنانا رحمة لابويه وغيرهما

آية اي حجة ... وهو ابن ثلاث سنين

وتحفظنا وشفقة انشد سيبويه وقالت حنان ما اتى بك ههنا
اذو نسب ام انت بالحي عارف وقيل حنانا من الله عليه
وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في الرحمة والعطف
وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة الطهارة
وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم سلام الله عليه
في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن اذ ذكر
من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود
بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه
والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي
بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت
في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها
وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها
فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها
الملك في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر
سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الادمية شيئا او حسن
الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان
لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية
لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها
تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن

وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاءً لها وسبرًا لعفتها وقيل
كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه
وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها فتمنت أن تجد خلوة في الجبل
لتفلي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة
وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة
ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل
إن النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانًا
شرقيا الروح جبريل لأن الدين يحيا به وبوحيه أو سماه الله
تعالى روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحي
وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لأنه سبب لما فيه روح العباد
وإصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله
فأما إن كان من المقربين فروح وريحان أو لأنه من المقربين
هم الموعودون بالروح أي مقربنا وذا روحنا أرادت إن كان
يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني
عائذة به منك كقوله بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين أي إنما
أنا رسول من استعذت به لأهب لك لأكون سببا في
هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف إنما أنا رسول
ربك أمرني أن أهب لك أو هي حكاية لقول الله عز وجل
جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه كقوله

من قبل

من قبل أن تمسوهن أو لامستم النساء والزنى ليس كذلك إنما
يقال فيه فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى
فيه الكنايات والآداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال
وهي فعول عند المبرد بغوي فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جني
في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل
فلان نهو عن المنكر ولنجعله تعليل معلله محذوف أي ولنجعله
آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أي
لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات
والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا
ليوسف في الأرض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد
لك من جريه عليك أو كان أمرا حقيقا بأن يكون ويقضى لكونه
آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله
وبالرحمة الشرائع والألطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد
والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين
عن ابن عباس فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها
فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل
ستة أشهر وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر
وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى عليه السلم
وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة

ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن
كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته
وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت
حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل
غيره فانتبذت به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها
ونحوه قوله تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور
في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار
وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت
من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق
حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس
لا تقتلها فتركها اجاء منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير
بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه
زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء
ولم تقل اتيت المكان وآتانيه فلان وقرأ ابن كثير في رواية المخاض
بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها
طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة
يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت
شتاء والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة

غيره نصب لانه استثناء من موجب وهو لا يستهل

كتعريف النجم وابن الصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس
فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما ان يكون
من تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها
الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة
اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها
مع جميع الآيات فيها اختارها لها والجأها اليها وقرئ مت بالضم والكسر
مات يموت ومات يمات النسي اسم ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث
ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس
العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير نحو
العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كان شيئا تافها لا يؤبه له من
شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي واطرح فوجد فيه النسيان
الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم
العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذ بهتوها
وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص
الله تعالى اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قل
ما يثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر
تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس
لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه او لخوفها على الناس ان
يعصوا الله تعالى بسببها وقرئ ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا

بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر
ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظي نسأ
بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته ونزارته
وقرء الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها هو
جبرئيل قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي
قراءة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من
تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها لا تحزني
وقرء نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير
الملك او عيسى ع وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرء زر وعلقمة
فخاطبها من تحتها سئل النبي عن السري فقال ص هو الجدول قال لبيد
فوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو
من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان
حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم يقع التسلية
بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان
تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد عن الريبة وان مثلها
مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة عن العادات
خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس
ببدع من شانها تساقط فيه تسع قراءات تساقط بادغام التاء و
تتساقط باظهار التائين وتساقط بحذف الثانية وتساقط
باليا

بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط وتسقط
التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز ومفعول على حسب
القراءة والمبرد عن جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء
في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم او على معنى
افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة
من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة
وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل
وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمن
جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين
احديهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما
معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا اي و
طيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك
وقري وقري بالكسر لغة نجد ترئن بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو
وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلات السويق
وذلك لتاخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال
صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن
مالك مثله وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون في
صيامهم وقد نهى رسول الله ص عن صوم الصمت لانه نسخ في
امتنا امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين

لهما في كلام لمعنيين احدهما ان عيسى عم يكفيها الكلام بما يبرئ
ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفها ومنا قلتهم وفيه ان
السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد
مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ
لها ذلك بالنطق انسيا اى اكلم الملائكة دون الانس فريا
البديع وهو من فري الجلد هرون كان اخاها من ابيها من امثل
بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى عم وعن النبي انما عنوا هرون النبي
وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينها وبينه الف سنة واكثر
وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل يا اخت هرون كما يقال
يا اخا همدان اى يا واحدا منهم وقيل رجل صالح في زمانها او طالح
شبهوها به اى كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد
اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون
الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك
بهرون هذا وقرئ عمر بن لجا التيمي ما كان اباك امرء سوء وقيل
احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا
فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت
تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله و
مسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون
تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها

فاشارت

فاشارت اليه اى هو الذى يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان
المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدى لما اشارت
اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروى
انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه
واتكا على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم
حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة
في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هاهنا
لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب و
وجه اخر ان يكون تكلم حكاية حال ماضية اى كيف عهد قبل عيسى
ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا
انطقه الله تعالى اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى
والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في
طفولته اكمل الله تعالى عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الاية
وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الاتي لا محالة
كانه قد وجد مباركا اينما كنت نفاعا عن رسول الله نفاعا حيث كنت
وقيل معلما للخير وقرئ وبرا عن ابن نهيك جعل ذاته برا لفرط بره
او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلاة
وكلفنيها واحد والسلام على قيل ادخل لام التعريف لتعرفه
بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا

والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة
موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة
على متهمي مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتحقيقه ان
اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام على خاصة فقد عرض بان
ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعنى
ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد
فهو مئنة لنحو هذا من التعريض وقرا عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب
وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم
القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال
والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه
على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما انتصابه
فعلى المدح ان فسر بكلمة الله او على انه مصدر مؤكد لمضمون
الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو
عبد الله حقا والحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول
الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير
واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء
والشحم بالنداء ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق
اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق
ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق يقين

وهم فيه

وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون
قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث
ثلاثة وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب
وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون
كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه
مما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال
غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشا منه الولد ثم بين
احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن
كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه
ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه
ذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل قرا المدنيون
وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله
وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقرا الشاميون وابو عبيد
بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله
اي بسبب ذلك فاعبدوه الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي
وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية
وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة
عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم
هول الحساب والجزاء يوم القيامة او من مكان الشهود فيه

وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم
وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر
وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما
قالوه وشهدوا به في عيسى وامه لا يوصف الله تعالى بالتعجب
وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما
بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون
ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعني
الظالمين موقع الضمير اشعارا بانه لا ظلم اشد من ظلمهم
حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم
والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع فقضي الامر فرغ
من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران
واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق
بقوله في ضلال مبين عن الحسن رحمه الله وانذرهم اعتراض او هو
متعلق بانذرهم اي انذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين
عنه انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض
ويذهب بها الصديق [illegible] من غيوب الله واياته وكتبه ورسله
وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان
مصدقا بجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء
بالحق

لان الغرض في ايرادها لا يد التعريض
على من لم يصدق والقران [illegible]

بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق ولانه ملاك امر النبوة
الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه
الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابراهيم واذ قال
نحو مررت بك يا انت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان
او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين
خاطب لابيه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته
في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم
نبأ ابراهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء
في يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض
والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك
سيبويه باينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة انظر حين
اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم
والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ عن قضية
التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غاية كيف رتب الكلام معه في
احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف
والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك
بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار
تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي

واسكنه حظيرة القدس وادناه من جواره وذلك انه طلب منه
اولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه
لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب
نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة
ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان
اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون
وذلك لان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام
وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب الذي منه اصول النعم
وفروعها فاذا وجهت الحجر وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه
الصفة لغيره لم تكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا
عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد
ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابد ذكرك له وثناءك عليه
ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفع
بلاء فيرفعه او تستنجح كل حاجة فيكفيكها ثم ثنى بدعوته الى الحق
يا ابت اني قد جاءني من العلم مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق
ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم
الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير
وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث

تثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن
الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا
كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك آدم وابناء جنسك كلهم هو الذي
ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت
النظر عابد الشيطان الا ان ابراهيم عليه السلم لامعانه في
الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان
الا التي تختص منها برب العزة من عصيانه واستكباره ولم تلتفت
الى ذكر معاداته لآدم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك
غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما
يجره ما هو فيه من التبعة والوبال اللاحق له وان العذاب لاحق به
ولكنه قال اني اخاف ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب
وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اتباعه واوليائه
اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه
وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان
من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي
هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم و
صدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه
واستعطافا فانه لا يسمع وما لم يانك يجوز ان تكون موصولة وموصوفة
والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع

والابصار وشناعة ... وتخيير احدها ان يكون في موضع المصدر اي شيئاً
من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعل السابق ... الثاني
ان يكون مفعولاً به من قولهم اغنِ عني وجهك ... قد جاءني من العلم
عنده ... اطلعه على ساحة ... امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة
وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ
بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني
وقدم الخبر على المبتدأ في قوله اراغب انت عن آلهتي لانه كان
اهم عنده وهو عنده اعني وفيه ضرب من التعجب والانكار
لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوة
وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار
قومه لأرجمنك لأرمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم
المرمي باللعن او لأقتلنك من رجم الزاني او لأطردنك رمياً بالحجارة
واصل الرجم الرمي بالرجام مليا زماناً طويلاً من الملاوة او مليا
بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان
تبرح فلان ملي بكذا اذا كان مطيقاً له مضطلعاً به فان قلت
علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل
عليه لأرجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لأرجمنك تهديد وتقريع
سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون

قالوا

قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه
ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده
الاستغفار فان قلت كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده
ذلك قلت ارادا اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي
الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث
والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب
وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين
لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار
ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول
الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية
فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل
ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله
تعالى الا قول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك فلو كان شارطاً
للايمان لم يكن مستنكراً ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة
وعدها اياه فالواعد هو ابراهيم لا آزر اي ما قال واغفر لابي
الا عن قوله لأستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها
اباه والله اعلم والحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به
اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها
ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلام الدعاء هو العبادة ويدل عليه

قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون وجوّد ان يراد الدعاء الذي
حكاه الله في سورة الشعراء عرّض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم
في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله
في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله احد
ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوّضه اولادا مؤمنين
انبياء من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال
والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي اوتوه لسان الصدق
الثناء الحسن وعبّر باللسان عما يوجد باللسان كما عبّر باليد
عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اتتني لسان لا
اسرّ بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم
استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين
فصيّره قدوة حتى ادّعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل
ملة ابيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم اوحينا اليك
ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم
واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه المخلص بالكسر الذي
اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم
وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله الرسول الذي معه
كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن
معه كتاب كيوشع الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى

اومن

او من اليمن صفة للطور او للجانب شبّهه بمن قرّبه بعض العظماء
للمناجاة حيث كلّمه بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قرّبه
حتى سمع صريف القلم الذي كتب به التوراة من رحمتنا من اجل
رحمتنا له وترؤّفنا عليه وهبنا له من رحمتنا اخاه على هذا
الوجه بدل وهارون عطف بيان كقولك رأيت رجلا اخاك
زيدا وكان هارون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته
وموازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنه ذكر اسمعيل عليه السلم
بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له
واكراما كالتلقيب نحو الحليم والاوّاه والصدّيق ولانه المشهور
المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له
ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه
الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله
من الصابرين كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة
ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر
عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم
نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى
وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين
في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يألو نصحا
للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد

الدنية ولم يفرط في ذلك قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله
وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس
لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه
من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس
كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم
ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه
امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا
من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي شرف النبوة
والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط
بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب
ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع
الى السماء الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن
الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي انه لما انشد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي آخره شعر بلغنا السماء
مجدنا وسناؤنا وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا قال رسول الله الى اين
يا ابا ليلى قال الى الجنة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن
زكرياء الى ادريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى
في آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض

وكان

وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابراهيم
من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم موسى وهارون وزكرياء ويحيى ومن ذرية اسرائيل
وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى
والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى عليهم كلاما مستانفا
وان جعلته صفة له كان خبرا قرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير
لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل البكي جمع باك كالسجود
والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري رحمه الله
قرأت على رسول الله عليه السلام في المنام فقال لي يا صالح هذه
القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان
فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه
فتحزنوا وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرأ آية
تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين
بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ
سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك
وان قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين
الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك خلفه اذا عقبه ثم قيل
في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون

وكذلك محمد عليه السلام

يسجد الاول عند ذكر الطاعتين شرعا وتمام المواقعة هذا

كما قالوا وعده ضاف الحيد ووعيده ضمان الشر عن ابن عباس

هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح

الاخت من الاب وعن ابراهيم ومجاهد اضاعوها بالتأخير

ويؤيد الاول قوله الا من تاب وآمن يعني الكفار وعن علي رضي

الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب

المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة وقرأ

ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر

عند العرب غي وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره

ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق

اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في

جهنم تستعيذ منه اوديتها وروى الاخفش يلقون فترى يدخلون

اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم

او لا ينقصون شيئا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قوله

ما ظلمنا انفسنا كنا بمعنى ما منعنا ولا يظلمون انه من شئ

من الظلم لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت

منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة

علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وامس وسحر

اعلاما لمعاني الفينة واليوم والامس فجرى مجرى العدن لذلك

او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ

الابدال لان النكرة لا يبدل من المعرفة الا موصوفة و

لما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن

بالرفع على الابتداء اي وعدها وهو غائبة عنهم غير حاضرة

او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان

به قيل في ماتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة

وهم ياتونها او هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان

وعده مفعولا منجزا اللغو فضول الكلام وما لا

طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو

واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها

وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا

اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام

عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل و

الخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او

تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو

من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن

فلول من قراع الكتائب او لا يسمعون فيها الا قولا

يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع

او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام

هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء

فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من
فائدة الاكرام من الناس من ياكل الوجبة ومنهم ياكل متى
وجد وهى عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى و
هى العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن
على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء و
عشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا
عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة
لا تقصد الوقتين المعلومين نورث وقرى نورّث ه
استعارة اى نبقى عليه الجنة كما نبقى على الوارث مال
الموروث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيمة قد انقضت اعمالهم
وثمرتها باقية وهى الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم
كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن
التى كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل حكاية قول جبرئيل حين
استبطاه رسول الله روى انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر
وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح فلم
يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة
وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبرئيل قال له النبى ابطات حتى
ساء ظنى واشتقت اليك قال انى كنت اشوق ولكنى عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا
حبست احتبست وانزل الله هذه الاية وسورة الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل
ومعنى

ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلسنا لانسى ولكن لملاك
تنزل من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل
وبمعنى التدريج واللايق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد
ان نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى
ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات
والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة
ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيته وهو الحافظ العالم
بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه
الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب فى ملكوته الا اذا راى
ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف
من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك ما بين
النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر
منها والحال التى نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا
وقيل الارض التى بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التى وراءنا
وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شئ لا تخفى عليه
خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل الا صادرا
عما يوجبه حكمته ويامرنا به ويأذن لنا فيه وقيل معنى وما كان
ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اى ما كان
امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحى فلم يكن

عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي
حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا بامر
علينا ثوابا اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها
السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها
والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا
لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان
والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما ثم قال لرسول
صلى الله عليه وسلم حين عرفته على هذه الصفة فاثبت على العبادة
واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقراءة الاعرج وما
يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود
الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف في النسي مثله في البري
رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون
خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده
كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز
ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام
رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته
كقوله واصطبر عليها قلت العبادة جعلت بمنزلة القرن
في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك
اريد ان العبادة [illegible] من اهل الكتاب اليك الاغاليط ومن

احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين اي لم يسم شيء بالله قط
وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف
واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس
لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من يسمى باسمه على الحق
دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية
وقيل مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العبادة
العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها
وتكاليفها يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس
وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين
ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم
صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل
رجل منهم وقال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به
نبا بيدي ورقاء عن راس خالد فقد اسند الضرب الى بني عبس
مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي
فان قلت بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول
اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت
لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت
حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت
الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما

للتوكيد ايضا فلانهم قالوا اجفاء انا سنخرج احياء حين يمكن فيه الموت
والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الارض
او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان
نادرا في ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرا الحسن
وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة
ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار
من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء
انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة
فلان اسات اليه الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت
همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك
ولا يتذكر حال النشاة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب
واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض
من العدم الى الوجود ثم اوقع التاليف مشحونا بضروب الحكم
التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف
ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته
واما الثانية فقد تقدمت نظيرها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه
وليس فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى
ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا
دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة

سواء

سواء عليه النشاتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج
الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن
يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله
القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد
خففوا وفي حرف ابي يتذكر من قبل من الحالة التي هو فيها وهي
حالة بقائه في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه
كما رفع من شأن السماء والارض في قوله فورب السماء والارض انه
لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع وهي
بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين
الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت
هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم
فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس
حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع
الشياطين كما حشروا مع الكفرة فان قلت هلا عزل السعداء
عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم
في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار
ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا
لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم

يجوز ان يكون الواو للعطف وبمعنى مع

ليزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم
فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان
بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على
حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على
اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى
كل امة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات
من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق
واطلاق الحبى خلاف الطمانينة او لما يدهمهم من شدة الامر
التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيحبون على ركبهم
حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ
جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع
التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب والمراد
بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت اي تبعت
غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم
واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم
اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى به صليا المنتزعين
كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين
سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم

عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين
قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية
تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه على انه مبني
على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب
وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة
كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا
قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة
بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفراء فان قلت
بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدر لا سبيل اليه قلت
هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن
وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وان
منكم التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم
او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس
كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار
بغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما يردونها كانها اهالة وروى
دواية وعن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس

وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه
انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين
بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما
قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن
وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس
قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة
البلد ولم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار
هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم
وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم
حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر حتم الامر
اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير
كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم على
ان لا يكون غيره ننجي وننجي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس
باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا
ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم
ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري
وابن ابي ليلى ثمه ننجي بفتح الثاء اي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها
جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين

يفارقون

يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الكفرة في مكانهم جاثين
بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد
اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او تبيين
الرسول قولا وفعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على
معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين آمنوا
يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وانهم يفوهون
به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرا ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة
والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان
والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى
انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين والجاحدين
اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص
والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون
ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على
فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم كم مفعول اهلكنا ومن تبيين
لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم
لانهم يتقدمون وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك

لو تركتهم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية الأثاث
متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وأنشد
الحسن بن علي الطوسي تقادم العهد من أم الوليد بنا
دهرا وصار أثاث البيت خرثيا وقرئ على خمسة أوجه رئيا وهو
المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريا على القلب كقولهم
راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والإدغام أو من الري الذي
هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة
رأسا ووجهه أن يخفف المقلوب وهو رئيا بحذف همزته وإلقاء حركتها
على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لأن
الزي محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء أي فليمدد له الرحمن
يعني أمهله وأملى له في العمر فأخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب
ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضال
ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو كقوله
إنما نملي لهم ليزدادوا إثما أو من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن في معنى
الدعاء بأن يمهله الله وينفس في مدة حياته في هذه الآية وجهان
أحدهما أن تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما
أي قالوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا حتى إذا رأوا ما يوعدون
أي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه
إلى أن يشاهدوا الموعود رأي العين إما العذاب في الدنيا وهو غلبة

المسلمين

المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإظهار الله دينه على الدين
كله على أيديهم وإما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ
يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدروه وأنهم شر
مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين
على خلاف صفتهم والثاني أن تتصل بما يليها والمعنى أن الذين
في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله
بهم وبأن الألطاف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها والمراد بالضلالة
ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم إلى القول الذي قالوه
لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين
أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها فإن قلت حتى هذه ما هي
قلت هي التي تحكى بعدها الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة
بعدها وهي قوله إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا
وأضعف جندا في مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لأن مقامهم هو
مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم
وأنصارهم والجند هم الأنصار والأعوان ويزيد معطوف
على موضع فليمدد لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان
في الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال
بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات
أعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات الخمس وقيل سبحان الله

والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر التي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وما ان جزعت ولا هلعت وهل يرد بكاي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء في برده لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به

الواحد

اي ارضوا بالدواهيه او بالسيف

الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر وفي العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك وعن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل عن خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطاء اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب

الرتة بالضم العجمة في الكلام رجل ارت بين الرتة

وفي رواية اخرى ابعث ثانا كافر

اخلصت بأن لم تلدني لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف
انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر
فجرّده هنا لمعنى الوعيد ونمدّ له من العذاب اي نطوّل له من العذاب
ما يستأهله ونعذّبه بالنوع الذي يعذّب به الكفار المستهزئون
او نزيد من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مدّه وامدّه بمعنى
وتدل عليه قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونُمِدّ له بالضم واكّد
ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض
لما نستوجب به غضبه ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه
يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمّى ما يقول ومعنى
ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي
فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنّى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا
وولدا وبلغت به اشعبيته ان تألّى على ذلك في قوله لأوتين
لانه جواب قسم مضمر ومن يتألّ على الله يكذبه فيقول الله عز وجل
هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا
غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية
فما يجدي عليه تمنّيه وتألّيه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا
فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا
عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته
لنضرب به وجهه في الموقف ونعيّره به ويأتينا على فقره ومسكنته

فردا

فردا من المال والولد لم نولّه سؤله ولم نؤته متمنّاه فيجتمع عليه
الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول
حال مقدّرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا
حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك اي ليعتزوا بآلهتهم حيث يكونون
لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار
لتعززهم بالآلهة وقرا ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني
كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كلّ هذا الراي والاعتقاد كلا
ولقائل ان يقول لو صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف
عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون
عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله
تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا
ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون
لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان
قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد
ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه و
ارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا
والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان العون سمي
ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان قلت لم

وحدّ قلت وحد توحيد قوله ص وهم يدٌ على من سواهم لاتفاق كلمتهم
وانهم كشى واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الالهة عونا
عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها و
ان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون
عليهم اى اعداءهم ضدّا اى كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها الازّ
والهزّ والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اى
تغريهم على المعاصى وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى
خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب
رسول الله صلعم بعد الايات التى ذكرها العتاة المردة من الكفار و
اقاويلهم وملاجتهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين من
تماديهم في الغى وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجماعهم
على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك فى
اتباع الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه
اى لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من
شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب
من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة
تقضيها الساعة التى تعد فيها لو عدت ونحو قوله تعالى ولا تستعجل
لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس
انه كان اذا قرأها بكى وقال اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق

فراق اهلك اخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المأمون
فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع
ما تنفد نصب يوم بمضمر اى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين
ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا يملكون
ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذى غمرهم
برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك
منتظرين للكرامة عندهم وعن على رضى الله عنه ما يحشرون
والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب
سروجها ياقوت وذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار
باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد
العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد
المسير الى الماء قال ردى ردى ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء
فسمى به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق
المجرمون الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه
ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان يكون علامة
للجمع كالتى في اكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى
الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب
على تقدير حذف المضاف والشفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم
واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود

من في من اتخذ على البدل او منصوب على الاستثناء
المنقطع او على حذف المضاف المستثنى

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم
ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول
كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهاده
اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك
وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر
وتباعدني عن الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا
توفينيه يوم القيامه انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه
بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامه نادى مناد
اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنه وقيل كلمة الشهاده
ويكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا
المامور بالشفاعه الماذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله
لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعه عنده الا لمن اذن له يومئذ
لا تنفع الشفاعه الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا قرئ ادا
بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم
المنكر والادة الشده وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي ادا
تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار
من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه
وقراء ابن مسعود ينصدعن ان تخر هدا او مهدوده او مفعول له

اي لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات
وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة
في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول
كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة
غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة
كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان
امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون
استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين
وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات
ان تصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه
وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبه بعد الغيبه
وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغه زيادة تسجيل عليهم
بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا
في ان دعوا ثلاثه اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه
كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم
ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا
علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه
فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن
وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم

عنى من قبلك اذ اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم
جميع ما معهم كما قال بعضهم فليكشف عن بصرك غطائي فانت
وجميع ما عندك عطائي ممن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه
واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى تسمى
المتعدى الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذى هو الثانى طلبا
للعموم والاحاطة بكل ما دعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب
الذى مطاوعه ما فى قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه
وقول الشاعر انا بنى نهشل لا ندعى لاب اى لا ننتسب اليه
انبغى مطاوع بغى اذا طلب اى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما
ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة
المعروفة فلا مقال فى استحالتها واما التبنى فلا يكون الا فيما هو
من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا من موصوفة لانها وقعت بعد كل
نكرة وقوعها بعد رب فى قوله رب من انضجت غيظا صدره
وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه آت الرحمن على اصله قبل
الاضافة احصاهم حصرهم بعلمه واحاط
وعدهم عدا الذين اعتقدوا فى الملائكة وعيسى وعزير انهم
اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح
ان يكون والدا والثانى اشراك الذين زعموا لله اولادا فى عبادته

لا يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول
بما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم
فى السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتى الرحمن
اى يأوى اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا
خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعى لنفسه ما يدعيه
له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
وكلهم متقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم
محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته
شئ من احوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا
ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم براء منهم قرئ ودا
بالضم والفتح والكسر والمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة
ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب
التى يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او
صداقة او اصطناع معروف او غير ذلك وانما هو اختراع منه
ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف فى قلوب
اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين
اما لان السورة مكية فكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة
فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك

يوم القيامة يحببهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر
من ديوان أعمالهم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا
واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله هذه الآية وعن ابن
عباس يعني يحبهم الله ويحببهم إلى خلقه وعن رسول الله عليه
يقول الله عز وجل يا جبريل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل
ثم ينادي في أهل السماء إن الله تعالى قد أحب فلانا
فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له المحبة في الأرض
وعن قتادة ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد
إليه هذه خاتمة السورة ومقطعها فكأنه قال بلغ هذا
المنزل وبشر به وأنذر فإنما أنزلناه بلسانك أي بلغتك وهو
اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر
والُّلدّ الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد
أي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد أهل
مكة وقوله وكم أهلكنا تخويف لهم وإنذار وقرئ تحس من حسه
إذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرأ حنظلة
تُسمع مضارع أُسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز
الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال
المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة

مريم

مودة

مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكرياء
وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب
وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس وعشر حسنات
بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة وأربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء وفخمهما ابن كثير
وابن عامر على الأصل والباقون أمالوهما وعن الحسن طه
وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر بأن يطأ الأرض
بقدميه معا وأن الأصل طأ فقلبت في يطاء ألفا كقوله
لا هناك المرتع ثم بني عليه الأمر والهاء للسكت ويجوز أن
يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين
والله أعلم بصحة ما يقال إن طاها في لغة عك في معنى يا رجل
ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كأنهم في لغتهم قالبون الياء
طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر
الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به إن السفاهة
طاها في خلائقكم لا قدس الله أرواح الملاعين والأقوال
الثلاثة في الفواتح أعني التي قدمتها في أول الكاشف عن حالها

يقول للسفهاء يا هؤلاء أخلاقكم
لا طهر الله أرواحكم فأقام الظاهر
وهو الملاعين مقام المضمر وهو كم
أي لا قدس منكم فأقام الملاعين شرح الأبيات

هي التي تعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه
تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام
وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان يكون خبرا عنها وهي في موضع
المبتداء والقران ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قران وان
تكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزّل عليك القران لتشقى لتتعب
لفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله
فلعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل
اشقى من رائض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب
عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة
والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث
قالا له انك شقي لانك تركت دين ابائك فاريد رد ذلك بان
دين الاسلام وهذا القران هو السلّم الى نيل كل فوز
والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة
بعينها وروي انه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه
فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه
لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت
الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل
الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل
ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز

والانتصاب لاستجماع الشرائط

قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فان قلت اما يجوز
ان تقول ما انزلنا عليك القران ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم
قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه
واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل
الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان
يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها
نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان
يكون المعنى انا انزلنا عليك القران لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة
العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع
المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق
الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا و
مفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه
انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية في نصب تنزيلا وجوه
ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان
الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزّل مضمرا وان ينصب بانزلنا
لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح
والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة
لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بيّن وقرئ
تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له

الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل بنسبته الى من هذه
افعاله وصفاته ولا تخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه
فيقع صلة له محذوفا فيقع صفة له فان قلت ما فائدة النقلة
من لفظ المتكلم الى لفظ الغايب قلت غير واحدة منها عادة
الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه
الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا
ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى
المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين
ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين
معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها
في علوها وبعد مرتقاها قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع
احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن
واما ان يكون مبتدا مشارا بلامه الى من خلق فان قلت
الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن
او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهي خبر مبتدا محذوف
لا غير وان رفعت جاز ان يكون كذلك وان يكون مع الرحمن
خبرين للمبتدا لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك
مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان
على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة قالوه

ايضا

ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان
اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان
مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد وبخيل لا فرق بين
العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال
او لم تكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم
جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة
اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد
ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق
العطن والمسافة عن علم البيان مسيرة اعوام ما تحت الثرى
ما تحت سبع الارضين وعن محمد بن كعب وعن السدي
هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته
الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته
في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى
فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو
كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس
بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه
ان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك
فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك
تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد

ان الحسنى ليس لاسماء الله وانما هو بعرض آخر الحسنى تأنيث
الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك
الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن اياتنا الكبرى
والذى فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها
على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال
التى هى النهاية في الحسن قفاه بقصة موسى عليه السلام
ليأتسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر
على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام
المحمود يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث
او لمضمر اى حين رأى نارا كان كيت وكيت او مفعولا
لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى
امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية
مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء
عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت
ليلة جمعة امكثوا اقيموا في مكانكم الايناس الابصار البين
الذى لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشئ
والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار
ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه
لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى

مترقبين متوقعين بنى الامر فيها على الرجاء والطمع وقال لعلى
ولم يقطع فيقول انى آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به
القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه
قيل المقبسة لما تقتبس فيه من سعفة او نحوها وقتادة
اذكر لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم
لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى او اذا وجد الهداة
فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار
يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت
بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين
بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين
عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق
قرأ ابو عمرو وابن كثير انى بالفتح اى نودى بانى انا ربك
وكسر الباقون اى نودى فقيل يا موسى او لان النداء
ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في انى
انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة
روى انه لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل
انى انا ربك وان ابليس وسوس اليه ... من جميع جهاته الست
واسمعه بجميع اعضائه وروى انه حين انتهى رأى
شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء

تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف
وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة
عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع
من الصوت وعن ابن اسحاق انه لما دنا استأخرت عنه
فلما رأى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة
دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد
حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل
ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة
تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين
ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه
الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك
احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي
انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي طوى بالضم
والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل
مرتين نحو ثنى اي نودي نداءين او قدس الوادي
كرة بعد كرة وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا
اخترناك مشددا لما يوحى او للوحي تعلق اللام باستمع
او باخترتك لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلي لي
او لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار وعن مجاهد او لاني

ابن الحق

رجل حاف بين الحفوة والحفية وهو الذي يمشي بلا خف ولا نعل صحاح

اي بالرسالة او بالثناء وهذا كقوله
انه اخرى انه كان مخلصا اخلصه الله
تعالى ما شاء ...

ولاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء
واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري
او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر
او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم
على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة
لقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام
مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون
وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلوة
بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلوة او نسيها
فليصلها اذا ذكرها فان ذلك وقتها وكان حق العبارة ان يقال
لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له
يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله او تقدير مضاف اي
لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة
وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى اكاد اخفيها فلا
اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها
مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد
اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف
لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي

التمحل اللام للظرف ...

ما ضر الله اخفيها من جملة عباده واخبارهم فكيف
دونهم فيكونوا ضامنا بامر الخفية بنفسه لعظم قدرا وكذلك
ان تنصروا دين الله والله نصرتكم والله لا ينصر وكم من
... اولياء الله فعلى هذا قوله اخفيها
... والله اعلم سرّ الاسباب

وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن ابي
الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره
اي قرب إظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض
اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس
فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد
فلا اكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى
اي لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلوة
فان قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود
نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف
صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود قلت فيه وجهان
احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر
السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر مسبب
عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل
على السبب كقولهم لا ارينك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته
والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب
دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب
المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك
عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شيء
أطم على الكفرة ولاهم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك
وفور

وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك
واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى
واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل
بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع
التقليد واهله وما تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال
بمعنى الاشارة ويجوز ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك
انما ساله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة
من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة
بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة
ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي
فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك
هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق
السرد وقرا ابن ابي اسحاق عصيّ على لغة هذيل ومثله يا بشرىّ
ارادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف
الى اخت الكسرة وقرا الحسن عصايِ بكسر الياء لالتقاء
الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخيِّ وعن ابن ابي اسحاق
سكون الياء اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت
على راس القطيع وعند الطفرة وأهش الورق خبطه اي
اخبطه على رؤس غنمي تاكله وعن لقمان بن عاد اكلت حقا

خبطه اسقط الورق من الشجر

وابن لبون وجذع وهشه نحو وسيلا رفع فالحمد لله على شع
سعته من غير واحد من العرب ونحن واد قريب من الطائف
كثيرا لسدر وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش
اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين
أي أنحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل
والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه احس بما يعقب هذا
السؤال من امر عظيم يحدثه الله فقال ما هي الا عصا لا تنفع
الا منافع بنات جنسها وكما ينفع العيدان ليكون جوابه
مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد
عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها
ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له
اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية
عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا
انما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى
ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع
لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في
المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن
حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار
القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة

والحلاب في غيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين
على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل بها واذا قصر رشاؤه
وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها
من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها
دلوا ويكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه
واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها
زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها
نضب وكانت تقيه الهوام السعي المشي بسرعة وخفة
حركة **فان قلت** كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية
والجان والثعبان **قلت** اما الحية فاسم جنس يقع
على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان
فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق
وفي ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب
حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا
فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت
في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله
فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس
وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا لما رأى ذلك الامر
العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال

والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع
الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم
انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف
بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها
واخذ بلحييها السيرة من السير كالركبة من الركوب
يقال فلان سيرته حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب
والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف
اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا
وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت
زهير وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه
ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير
متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم
ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب
كما انشاناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها
الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت
تتوكا عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها قيل لكل ناحيتين
جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل
المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران
والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء

الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة
بالسوءة وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش
والبرص ابغض شيء الى العرب بهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم
لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف
ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وادابه يروى انه كان
آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس
يغشي البصر بيضاء وآية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك
وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف
لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين
الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بها الكبرى من آياتنا او
لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك لما امره بالذهاب الى فرعون
الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج
معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب
ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل
ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر
بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي
هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة معظم الشؤون
ومقاساة جلائل الخطوب **فان قلت** لي في قوله اشرح لي
صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام مستتب **قلت** قد ابهم الكلام اولا

فقال اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام
بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول
اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى
الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل عن ابن عباس كان في لسانه
رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون
اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال
الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده
لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المؤاكلة
واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هارون
هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين
بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها
من عمه موسى وقيل زالت بكمالها لقوله قد اوتيت سؤلك وفي تنكير
العقدة وان لم يقل فاحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها
ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني
صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني الوزير من الوزر
لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر لان الملك
يعتصم برأيه ويلجئ اليه اموره او من المؤازرة وهي المعاونة
عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو
ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير

وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت
فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى ان يوازر واخواته
والى الموازرة ووزيرا وهارون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما
على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهارون
عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هارون وان
جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرءوا جميعا اشدد
واشركه على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه
على الجواب وفي مصحف ابن مسعود واخي واشدد
وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري
ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على
الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هارون الازر القوة
وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون
على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات
يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا
وبان التعاضد مما يصلحنا وان هارون نعم المعين والشاد
لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا السؤل الطلبة
فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى مأكول
والوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله
واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة

كما الى مريم او اريها ذلك في المنام فتنبهت عليه او الهمها كقوله
عز وجل واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل
الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة
دينية فوجب أن يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة
وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى أن هي المفسرة لان الوحي
بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع
ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي
قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن
ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها
اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر
النظم فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك
الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف
والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر
فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون
الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر
لما كانت مشيئة الله وارادته ان لا تخطئ جرية ماء اليم
الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل
المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر
ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي انها

جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته
وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون
نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذ
بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس
وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه
وظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه
لان الماء يسحله اي يقشره وقذفه ثمة فالتقط من الساحل
الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر
فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة مني لا يخلو اما ان
يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه
الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة
لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب
وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك روي
انه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد لا
يصبر عنه من راه على عيني لتربى ويحسن اليك وانا
مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى به
وتقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا
تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف
على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك ويرأم ونحوه او حذف معلله

أي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك وتصرفك على عين مني العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيته هو في اولها وانت في آخرها يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها ويروى ان آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فقتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر له الله باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين فتونا ويجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجوز وبدور في حجزة

وبدرة أي فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة مدين على ثمان مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين أي تسبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لئلا يكون احد اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينيه واذنيه ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره والونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيرا به مستمدين

بذلك العون والتأييد مني معتمدين انّ امراً من الامور لا يتسنى لاحد
الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان
جديراً بان يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله اوحى الى هارون وهو
بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع باقباله وقيل الهم ذلك فقولا له قولا
لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى
واهديك الى ربك فتخشى لانه ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض
ما فيه الفوز العظيم وقيل عِداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع
منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح حتى
موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له بالقول لما له من حق
تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي
الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة والترجي لهما
اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع
ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى
وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام
الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك اي يتذكر ويتأمل
فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر
كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة فرط سبق وتقدم ومنه الفارط
الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا

بالعقوبة

بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يُفرَط من افرطه غيره اذا حمله على العجلة
خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقوبة من شيطان او من جبروته
واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط
المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقرئ يُفرِط
من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة
بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجلنا على ما عرفناه
وجربناه من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك
ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي مجيئه هكذا على الاطلاق
وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه
بالعظيمة معكما اي حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه
من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر
اقوالكم وافعالكم ويجوز ان لا يقدر شيء وكانه قيل انا حافظكما وناصركما
سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت
النصرة وذهبت المبالاة بالعدو وكانت بنو اسرائيل في مملكة
فرعون القبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر
والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان
واستخدام النساء قد جئناك بآية من ربك جملة جارية من الجملة
الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى
الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالآية انما وحد قوله بآية

وإنما قال ومعه آية لأن المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها
فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة
وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية إن كنت من الصادقين
أولو جئتك بشيء مبين. والسلام سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة
على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين.
خاطب الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى لأنه الأصل
في النبوة وهارون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته
على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون
والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي
هو مهين ولا يكاد يبين. خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته
كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء
صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين
الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع
وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما
علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان نظيره
في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير
والناقة زوجين والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيء غير جنسه
وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف أو المضاف إليه
أي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه ثم هدى أي عرف

كيف يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل إليه لله در هذا الجواب ما أخصره
وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان
طالبا للحق سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء
من شقي منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب
وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه
إلا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب
عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن يخطئ شيئا أو ينساه
يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك
ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من أضله إذا ضيعه
وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده
حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله
بكل شيء وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوال
القرون الخالية وتمادي كثرتهم وتباعد أطرافهم وعددهم كيف أحاط بهم
وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو
مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوزان
عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل كما
تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة.
الذي جعل مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف
أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه فهذا فإنه أما لكونه

اي مهدها مهدا او يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي سلك
من قوله تعالى ما سلككم في سقر كذلك نسلكه في قلوب المجرمين
اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري
فاخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان
والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن
الاجناس المتفاوتة لمشيته لا يمتنع شيء على ارادته ومثله
قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات
كل شيء الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا
الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء
فانبتنا به حدائق وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل
هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها
مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للازواج
شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات
مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد
والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والشكل
بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم فمن نعمته عز وعلا
ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله
علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله اي قائلين كلوا
وارعوا حال من الضمير في اخرجنا المعنى اخرجنا اصناف
النبات

اصناف النبات اذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها
وتعلفوا بعضها اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو ادم عليه
منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه
فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا واراد باخراجهم
منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا
احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث
سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث
جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك
يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات التي
منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا
وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة اريناه بصرناه
او عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله
اياتنا كلها وجهان احدهما ان يحذف التعريف الاضافي في حذو
التعريف باللام لو قيل الايات كلها اعني انها كانت لا تعطي
الا تعريفا للعهد والاشارة الى الايات المعلومة التي هي
تسع الايات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر

والبحر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والتلقف
ان يكون موسى قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء
من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد
فكذبها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل كذب الايات وابى قبول الحق
يلوح من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك انه كانت فرائصه
ترعد خوفا مما جاء به موسى لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق
لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه
غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه
ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر
لا يخلو الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا
او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا في ان قوله موعدكم يوم الزينة
مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب
مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع
الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله يوم الزينة وقراءة الحسن
غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي
ان يجعل المصدر في نخلفه للموعد ومكانا بدلا من المكان المحذوف فان قلت
فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال
واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا
لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه

في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها
مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا
من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا
وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر
او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت
اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم
وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا
بمعنى الوقت والضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم
بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد
كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم
قرئ سوى وسوى بالكسر والضم منونا وغير منون معناه منصفا
بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط
الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري
الوصل مجرى الوقف قرئ وان تحشر الناس بالتاء والياء يريد
وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير
فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي تخاطب بها الملوك
او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل
ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم
ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق

ويزخرف الباطل على رؤس الاشهاد في المجمع الغاص لتقوى رغبة
من يرغب في اتباع الحق ويكلح صفة المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث
بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر
لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم
فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم
ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف في بيت لا تزال الركب
تصطك في تسوية اعرابه عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى
اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله
امر وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر
والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول
ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام
وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما قرا ابو عمرو
ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير
وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي
الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقرا ابي ان ذان
الا ساحران وابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير
لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان لساحران
هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي اخرها
الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم

ان

ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة
تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحاق سموا مذهبهم الطريقة
المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا
اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم
ويقال لهم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه
فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا الكيد
اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا عليه ولا يتخلف عنه
واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب
في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم
حبل وعصى وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه
فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم
مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان
ياتوه او يراد ايتوا مصلى من المصليات وقد افلح اليوم من استعلى
اعتراض يعني وقد فاز من غلب اما ان تلقي اما منصوب بفعل
مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين
او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن
معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة
من انفسهم وكان الله عز وجل الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار
القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم

من مكايد السحر ويستفرغوا أقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا
اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط
المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة
بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها
اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها
خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو
فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا
حبالهم وعصيهم ففاجا موسى وقت تخييل حبالهم وعصيهم وهذا
تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي
وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله
انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه ويخيل
على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه
طريق تخيل ونخيل على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء ويروى
انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت
وتخيلت ذلك الخيفة من الخوف لطما ونحو منه وكذلك توجس
الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية
وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس شك
فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد
بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف

وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك
ولم يقل عصاك جايز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم
والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله
يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجايز ان يكون
تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة فان في يمينك شيئا اعظم
منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزره عندها فالقه يتلقفها
باذن الله ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستيناف صنعوا هنا بمعنى زوروا
وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون وقرئ كيد ساحر بالرفع
والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى انها
كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم
كانهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر
كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فان قلت لم وحد ساحر
ولم يجمع قلت لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد
فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله تعالى
ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس فان قلت فلم نكر اولا وعرف
ثانيا قلت انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره
في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر
رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر آخرة المراد تنكير الامر
كانه قيل انما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وامر دنيوي

وأخرى حيث الخ كقولهم حيث سبقوا وانه سكل وانما كان سحار الله
فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم رؤوسهم
بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقائين
وروي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب
أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله في سجودهم منازلهم
التي يصيرون إليها في الجنة لكبيركم لعظيمكم يريد أنه أسحرهم
وأعلاهم درجة في صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرني
كبيري وقال الحكبري كلما يريدون معلمهم واستادهم في القرآن
وفي كل شيء فلأقطعن ولأصلبنكم بالتحصيف والقطع من خلاف
أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين
خالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن
لابتداء الغاية لأن القطع مبتدئ من مخالفة العضو العضو
لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي
لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت
بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى
في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل أينا يريد نفسه لعنه الله
لقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره
وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع
لموسى عليه السلم واستضعاف له مع الهزء به لأن موسى لم يكن قط

من التعذيب في شيء والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم
وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا ووجهها أن الحيوة في القراءة المشهورة
منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف وأجرائه مجرى المفعول به كقولك
صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي أن السحرة يعني رؤسهم
كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل
وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروي أنهم قالوا لفرعون
أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر
إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه تزكى تطهر من أدناس
الذنوب وعن ابن عباس قال لا إله إلا الله قيل في هذه
الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه
الحكاية فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله
سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا
ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل
شاتنا يبس وناقتنا يبس إذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا
ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل
أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله
ومعا جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال
من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرأ أبو حيوة
دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الإدراك أي لا يدركك

الدرك أقصى قعر الشيء كالبحر ونحوه
... دركا والادراك
والدرك اسم الادراك

فرعون وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى اي ومن شانك انك آمن
لا تخشى وان تكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل
وان تكون زايدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا
وتظنون بالله الظنونا وان تكون مثل قوله كان لم ترى قبلي
اسيرا يمانيا ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم
التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه
الا الله وقرى فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية
وفاعل غشاهم اما الله سبحانه او ما غشاهم او فرعون لانه هو
الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به
في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل خطاب لهم
بعدما انجاهم من البحر واهلك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منّ الله عليهم بما فعل
باباءهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول
كثير في القرآن وقرى انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد
والمواعدة وقرى الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب
ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله
عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التورية في الالواح
انما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت
لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم
وشرعهم

وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه طغيانهم في النعمة
ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام
بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها
وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا قرئ
فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب
من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى حتى
يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته
ولذلك وصف بالنزول هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك
قالت هوى من راس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت
امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده الاهتداء هو الاستقامة
والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل
الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين
في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة
لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اي شيء
عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى
الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه
وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضا الله
وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة

وعلى أنا لمصالح المتعلقة بالحضور فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول
من جوّز أن يراد جميع قومه وأن يكونوا قد فارقهم قبل الميعاد وجه
صحيح يأباه قوله هم أولاء على أثري وعن ابن عمرو ويعقوب
إثري بالكسر وعن عيسى بن عمر أُثري بالضم وعنه أيضا أولى بالقصر
والأثر أفصح من الإثر وأما الأُثر فمسموع في فرند السيف مدرك
في الأصول يقال أثر السيف وأُثره وهو بمعنى الأثر غريب
فإن قلت ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه
من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك
وتنجز موعدك وقوله هم أولاء على أثري غير منطبق عليه قلت
قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما إنكار العجلة
في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه
فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه
فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا
يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدم
بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب
فقال وعجلت إليك رب لترضى ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه
من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق
المرتب على حدود الكلام أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم
مع هارون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل إلا اثنا
منهم
عشر ألفا

عشر ألفا فإن قلت في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة
وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل
بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند
مقدمه إنا قد فتنا قومك قلت أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة
بلفظ الموجودة الكائنة على عادته أو افترص السامري غيبته فعزم
على إضلالهم غب انطلاقه وأخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة
موجودا قرئ وأضلهم السامري أي هو أشدهم ضلالا لأنه ضال
مضل وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة
وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان
من أهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر
وكان منافقا قد أظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر
الأسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت
الفجاءة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر وقيل الحزين فإن قلت
متى رجع إلى قومه قلت بعدما استوفى الأربعين ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وعدهم الله سبحانه أن يعطيهم التوراة التي
فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل حكي لنا أنها
كانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون
جملا العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك
أي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه أن يقيموا على أمره

وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا
قرئ بالحركات الثلاث اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي
لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري
وكيده اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم او اراد
بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستامنين
في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي على ان
الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي اوقدها
في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك القى
السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة
التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبرئيل اوحى اليه وليه
الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري
من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور
العجاجيل **فان قلت** كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات
قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة
الخاصة كما اثره بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره
تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه الله ان شاء عند مباشرته
حيوانا الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب عند نفخه
في الدرع **فان قلت** فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة
لبني اسرائيل وضلالا **قلت** ليس باول محنة محن الله بها عباده
ليثبت

ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق
ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل
للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال
واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي
فنسي موسى ان يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور او
فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر يرجع
من رفعه فعلى ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها
الناصبة للافعال من قبل ان يقول لهم السامري
ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة
افتتنوا به واستحسنوا فقبل ان ينطق السامري بادرهم
هارون عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن
لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني في غضب لله وشدة الزجر
على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لا تباشر
الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقني
قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله
عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء
شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون
عجلا من دون الله بعد ما راوا من الآيات العظام ان القى الالواح

النورية لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا
وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال
العدو المكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى
شعر وجهه يجره اليه اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا
فاستانيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برايك
وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر
وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبتك وصيتك والعمل على
موجبها الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل
لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرئ بصرت بما لم
تبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت
لما لم تفطنوا له قرا الحسن قُبضة بضم القاف وهو اسم المقبوض
كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها
على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير
وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد الضاد بجميع الكف والصاد
باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فان قلت لم سماه
الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل
ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل
راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فابصره السامري
فقال ان لهذا لشانا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما ساله

عن

موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك
يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل عوقب في الدنيا
بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة
الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته
ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان
يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس فتحامى الناس
وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش
من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية
ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس
بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء ان وردت الماء فلا عباب
وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة والابة
وهي المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه اي لن يخلفك
الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض
ينجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فانت
ممن خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ
لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا
قال الاعشى اثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا
وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه
حكى قوله عز وجل كما مر في لاهب لك ظلت وظلت

والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء
ومنهم من يقول لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود
لنذبحنه ولنحرقنه القراءات من الاحراق وذكر ابو علي
الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق
اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي
طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه
عقوبة ثالثة وهو ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه
وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين قرأ طلحة
الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل
شيء علما وعن مجاهد وقتادة وسّع ووجهه ان وسع
متعديا الى مفعول واحد وهو كل شيء واما علما فانتصابه
على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية
الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل
في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوّفت زيدا عمرا
فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا كذلك الكاف في كذلك منصوب
المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله اي مثل ذلك
الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون
نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا
لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد

المستبصر

المستبصر في دينه بصيرة ويتأكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر
الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار
الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة
والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي
يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها
في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل
وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم
وقرئ يحمّل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير
معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ
ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها
فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير
الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف
لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف
في قوله تعالى نعم العبد انه ايوب الذي هو المخصوص بالمدح
ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم
فان قلت اللام في لهم ما هي وبم تتعلق قلت هي للبيان كما
في هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر
قلت لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه
غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس وليكن

اي حافظ لكل شيء علمه

ساء الذي عنه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا يعني أهمّ
وأحزن **قلت** كفاك صادّاً عنه أن يؤول كلام الله إلى قولك
وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملاً وذلك بعد أن تخرج من عهدة
هذه اللام وعهدة هذا المنصوب أسند النفخ إلى الآمر به فيمن
قرأ ننفخ بالنون ولأن الملائكة المقربين وإسرافيل منهم بالمنزلة
التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند
ما يتولونه إلى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ
ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى أو لإسرافيل
وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به إلا الحسن وقرئ في الصوَر
بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان أحدهما أنه بمعنى الصور
وهذه القراءة تدل عليه والثاني أنه القرن وفي الزرق قولان
أحدهما أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب
لأن الروم أعداؤهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو أسود
الكبد أصهب السبال أزرق العين والثاني أن المراد العمى
لأن حدقة من يذهب نور بصره تزراق تخافتهم لما يملأ
صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا
إما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور
فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور قصار وإما لأنها
ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وإن طالت مدته قصير

بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت أطال الله بقاءك
كفى بالانتهاء قصراً وإما لاستطالتهم الآخرة وأنها أبد يستقصر
إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم
في الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون أشد تقالاً منهم في قوله
إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً ونحوه قوله تعالى كم لبثتم
في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين
وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون
وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث
ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام
فيذرها أي فيذر مقارها ومراكزها أو يجعل الضمير للأرض وإن لم
يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة **فإن قلت** قد
فرقوا بين العِوج والعَوج فقالوا العِوج بالكسر في المعاني والعَوج
بالفتح في الأعيان والأرض عين فكيف صح فيها مكسور العين
قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض
بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون
وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية
على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على أنه لم يبق
فيها اعوجاج قط ثم استعطلت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض

استطلعت صح

قصراً صح

يذرى الطعام صح

اشتواها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع
لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وجل
ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس يعرفه
صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس
دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتوء
اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت اي انثناء يوم الحق قت ينسف
الجبال قوله يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد
بدل من يوم القيامة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل
قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب
الى صوته لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج بل يستوون اليه من غير
متبعين لصوته اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت
فلا تسمع الا همسا وهو الذكر الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل
هو همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع
الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر من يصلح ان يكون مدعوا
ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة الا شفاعة من اذن له
الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله
اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحوه هذا اللام اللام في قوله
وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم
ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما

المراد

المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيامة
الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية
اي ذليلة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما راوه
زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة
وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا
وكل من ظلم فهو خائب خاسر الظلم ان ياخذ من صاحبه فوق
حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين
الذين اذا اكتالوا يستوفون ويسترجحون واذا كالوا يخسرون
اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف
على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال
وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات المضمنة للوعيد انزلنا القرآن
كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد ليكونوا
بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر
كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث
بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف
الخ [illegible] غير مستحق فتعالى الله الملك استعظام له
ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه
امر ملكوته ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل الاستطراد

وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأنَّ عليك ريثما يسمعك
ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة
لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه
لا تبلغ ما كان منه مجملاً حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي إليك
وحيه وقوله رب زدني علماً متضمن للتواضع لله والشكر له
عندما علم من ترتيب التعلم أي علمتني يا رب لطيفة في باب
التعلم وأدباً جميلاً ما كان عندي فزدني علماً إلى علم فإن لك في كل
شيء حكمة وعلماً وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة
في شيء إلا في العلم يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك
إلى فلان وأوعز إليه وعزم عليه وعهد إليه عطف الله سبحانه
قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون
والمعنى وأقسم قسماً لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا
يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين إن
قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل أن نتوعدهم فخالف إلى ما
نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت إلى الوعيد
كما لا يلتفتون كأنه يقول إن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم
راسخ فيه **فإن قلت** ما المراد بالنسيان **قلت** يجوز أن يراد
النسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية
الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس

في تقرير هذه المناسبة نوع خفاء وبسوطه مولانا حافظ الدين

حتى تولد من ذلك النسيان وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصي به
من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها وقرئ فنسي أي نساه الشيطان
والعزم التصميم والمضي على ترك الأكل وأن يتصلب في ذلك تصلباً
يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم
ومفعولاه له عزماً وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزماً
إذ منصوب بمضمر أي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس
ووسوسته إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة وطاعته له
بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير
من كيده حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولي العزم والثبات
فإن قلت إبليس كان جنياً بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق
عن أمر ربه فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة **قلت**
كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود
لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم أجدر بأن
يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله وسراتهم كان القيام
على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة أوجب حتى إن لم يقم عنف
وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام **فإن قلت**
فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة **قلت** عمل على حكم التغليب
في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك
كقولك خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال أبى جملة مستأنفة

كأنه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول
وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإباء
وتوقف وتثبط فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لإخراجكما وإنما أسند إلى
آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج لأن
في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن
سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة
على الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك
معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه وروي أنه أهبط إلى
آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه قرئ
وإنك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع فإن قلت
إن لا تدخل على أن فلا يقال إن أن زيدا منطلق والواو نائبة عن إن
وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون
أبدا نائبة عن إن إنما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا
للتحقيق خاصة كإن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن الشبع
والري والكسوة والكن هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان
فذكره استجماعها له في الجنة وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف
ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا وذكرها
بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق
سمعه بأسامي الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع

فيها

اضافه صح

فيها كراهة لها فإن قلت كيف عدي وسوس تارة باللام في
قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بإلى قلت وسوسة الشيطان
كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في أنها حكايات
للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم
وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن الأعرابي
وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فإذا قلت وسوس له فمعناه
لأجله كقوله أجرس لها يا ابن أبي كباش ومعنى وسوس إليه
أنهى إليه الوسوسة كقولك حدث إليه وأسر إليه أضاف الشجرة
إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس
الحياة لأن من باشر أثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن
وابن عباس رضي الله عنهم إلا أن تكونا ملكين بالكسر طفق يفعل
مثل جعل يفعل وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا
وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في أول الأمر وكاد لمشارفته
والدنو منه قرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو أن
يخرز عليها الخصاف أي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين
وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما وقيل
كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا
في أطراف الأصابع عن ابن عباس لا شبهة في أن آدم صلوات الله عليه
لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان

لما عصى خرج فعله من أن يكون رشداً وخيراً فكان غيّاً لا محالة
لأن الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الإطلاق
وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به
عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة
كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله
الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة
وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر
فضلاً أن تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم عن كثرة
الأكل وهذا وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسورة ما قبلها ألفا
فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طيء تفسير خبيث **فإن قلت**
ما معنى ثم اجتباه ربه **قلت** ثم قبله بعد التوبة وقربه إليه من جبى
إلي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه
قوله عز وجل فإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أي هلا جبيت
إليك فاجتبيتها وأصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها
إذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى أي وفقه لحفظ
التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى لما كان آدم وحواء
عليهما السلام أصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا
كأنهما البشر في أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فإما يأتينكم على لفظ
الجماعة ونظيره إسنادهم الفعل إلى السبب وهو في الحقيقة
للمسبب

اي اجتبيتها جمعت بمعنى

للمسبب هُدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس رضي الله عنه لمن اتبع القرآن
أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى والمعنى أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا
عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه
نجا من الضلال ومن عقابه الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر
والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك أن مع الدين التسليم
والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه
بسماح وسهولة فيعيش عيشاً رافغاً كما قال عز وجل فلنحيينه حياة
طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به
إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق
فعيشته ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحد
عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة
من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم
كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل
وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال ولو أن
أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض
وقال استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً وقال
وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً وعن الحسن

التشوش شوريدن شدن
التشويش شوريده كردن
ويعدى بعلى

هو الصريح وفي المرقوم في التاب وعن ابي سعيد الخدري عذاب القبر
وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب
الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل
قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما كما فسر الزرق
بالعمى كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان اياتنا اتتك واضحة
مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها
فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك لما توعد
المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى
في الاخرة ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى
كأنه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش
المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا
فاعل يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره
قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين
اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول
ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد ان قريشا يتقلبون
في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون اثار هلاكهم
الكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الاخرة يقول لولا
هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة
واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم

كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو
من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل
واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل
المسمى دون الاخذ العاجل بحمد ربك في موضع الحال اي وانت
حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد بالتسبيح
الصلاة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات
على الفعل اخرا فكأنه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني
الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف
الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها يعني الظهر والعصر
لانهما واقعتان في النصف وتعمد اناء الليل واطراف النهار مختصا لها
بصلاتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل
والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطأ
واقوم قيلا وقال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ولان
الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على
النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل في معنى
التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في اناء الليل صلاة
العتمة وفي اطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار
ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله

واطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلوة طرفي النهار

قلت الوجه امن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظيره مجيء

الامرين في الآيتين مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ

واطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعلك للمخاطب اي اذكر الله

في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك

ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر

عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور

اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا

يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولو العلم

والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان

النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر

ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع

وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه

قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد

شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة

وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا

هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم

على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا

من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به

وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة

قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص

وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا وعلى

الابدال من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير

ذوي زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى

الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ

ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهرو هذه

الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم

وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب

الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا

العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك

هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه

وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لان اموالهم الغالب

عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير

وابقى لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم

وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال

بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودي وقال قل له يقول لك

رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضته الا برهن

فقال رسول الله عليه السلام اني لامين في السماء واني لامين في الارض

ارجمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وأمر اهلك بالصلوة
اي واقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها
على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي
من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا اهلك
ففرغ بالك لامر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله
كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند
السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلوة رحمكم الله
وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب اهله خصاصة
قال قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله ثم يتلو هذه الآية
اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم اولم
تأتكم آية هي ام الآيات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن
من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل
صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته
على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة وقرئ
الصحف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان
والدليل قرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله كل اي كل
واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم
وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد او المستوي والسوء والسوى
والسوي تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال
ابو رافع

رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله
من قرأ سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين
والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه اللام لا تخلو ان تكون صلة لاقترب او تأكيدا لاضافة الحساب اليهم
كقولك أزف للحي رحيلهم الاصل أزف رحيل الحي
ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في
باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد
راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة
وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا
اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب
والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت كيف
وصف بالاقتراب وقد عبرت دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام
قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه
قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا
اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود

لبعثته في آخر الزمان وقال صلى الله عليه وسلم بعثت في نسم الساعة

وفي خطبة بعض المتقدمين ولّت الدنيا حذّاء ولم يبق إلا صبابة

كصبابة الإناء وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة

بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالناس المشركون

وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو

ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الإعراض

على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم

ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه

لا بد من جزاء للمحسن والمسيء وإذا قرعت لهم العصا ونبهوا

عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات

والنذر أعرضوا وسدّوا أسماعهم ونفروا وقرّر إعراضهم

عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجدد لهم الذكر وقتا

فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة

ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما

يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر

التي هي أحق الحق وأجد الجد إلا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر

هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبلة محدث

بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان

والاستسخار

متراد فان أو متداخلان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة

لأن لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لها عنه

إذا ذهل وغفل يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم

لم يفطنوا أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل

والتبصر بقلوبهم **فإن قلت** النجوى وهي اسم من التناجي

لا تكون إلا خفية فما معنى قوله وأسروا **قلت** معناه وبالغوا

في إخفائها أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم

أنهم متناجون أبدل الذين ظلموا من واو وأسروا إشعارا

بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة

من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو

مبتدأ خبره وأسروا النجوى قدّم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا

النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم

هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون هذا الكلام

كله في محل النصب بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث

ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا أن رسول الله لا يكون

إلا ملكا وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر

ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر وأنتم

تشاهدون وتعاينون أنه سحر **فإن قلت** لم أسروا هذا

الحديث وبالغوا في إخفائه **قلت** كان ذلك شبه التشاور

موضع الضمير

فيما بينهم والتناجي في طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل المنصوبة
في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم
في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه
قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله
والمؤمنين إن كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررناه فإن قلت
هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا النجوى قلت القول عام
يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد
في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم
السر آكد من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته
فكيف تخفى عليه خافية فإن قلت فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان
في قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض قلت
ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة
وبالآكد أخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن
الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على أن أسلوب تلك الآية
خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم هاهنا أنهم أسروا النجوى
فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم ما أسروه فوضع القول موضع
ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات
والأرض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه

مثقال

سماه أخذة وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى
من عنده ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير
رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى
لأقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث
أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله
كما أرسل الأولون من حيث أنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات
لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق
بين أن تقول أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة أنهم يؤمنون فيه
أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم
يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم
ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر
وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا
بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحالهم على أولئك لأنهم
كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله قال الله تعالى
ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا
أذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله لا يأكلون
الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد
غير طاعمين ووحد الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب

من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام
فان قلت نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا يأكل
ويشرب بما ذكرت فما ذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين
قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت
كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة
لا يموتون او مسمّين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا صدقناهم
الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه
ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون
ومن في ابقائه مصلحة ذكركم شرفكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك
او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها
الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث
واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية واردة
عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع
الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد
بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما اخرين لان المعنى
اهلكنا قوما وانشأنا قوما اخرين وعن ابن عباس انها حضور
وهي وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب كفن رسول الله عم
في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه
فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس

فاستا

فاستأصلهم وروي انه لما اخذتهم السيوف نادى مناد من السماء
يا لثارات الانبياء فندموا واعترفوا بالخطاء وذلك حين لم ينفعهم
الندم وظاهر الاية يدل على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور
بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الاية فلما احسوا بشدة
عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم
والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك
فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم
لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم
على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول
محذوف فان قلت من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض
الملائكة او من ثم من المؤمنين او يجعلوا خلقاء بان يقال لهم ذلك
وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم
او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش
الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه لعلكم
تسألون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم
تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل
عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم
وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره
وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون

وكيف نأتي ونذر كعادة المتنعّمين المخدومين أو يسألكم الناس
في أنديتكم المعارف في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات
والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم
ويسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم
ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إمّا لأنهم كانوا أسخياء
ينفقون أموالهم رياء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم
ذلك تهكمًا إلى تهكم وتوبيخًا إلى توبيخ تلك إشارة إلى يا ويلنا
لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة
قال الله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين
فإن قلت لم سميت دعوى قلت لأن المولول كأنه
يدعو الويل فيقول تعالى يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع أو
منصوب اسمًا أو خبرًا وكذلك دعواهم الحصيد الزرع المحصود
أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم
كما تقول جعلناهم رمادًا أي مثل الرماد والضمير المنصوب
هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما
دخل عليها جعل نصبها جميعًا على المفعولية فإن قلت
كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الآخرين
حكم الواحد لأن معنى قولك جعلته حلوًا حامضًا جعلته
جامعًا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد
والخمود

والخمود أي ما سوّينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع
وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب
كما تسوّي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب
وإنما سوّيناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح
افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق بها
من المنافع التي لا تحصى والمرافق التي لا تعد ثم بين أن السبب في ترك
اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعاله هو أن الحكمة صارفة
عنه وإلا فأنا قادر على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله
رزقًا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن
وقيل المرأة وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من الإنس ردًّا لولادة المسيح
وعزير بل إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه
لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا
وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد
وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرًا
لإبطاله به وإهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة
مثلًا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل
مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه
بالنصب وهو في ضعف قوله سأترك منزلي لبني تميم وألحق
بالحجاز فأستريحا وقرئ فيدمغه ومن عنده هم الملائكة والمراد أنهم

مكرمون كرامتهم على الله المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه **فان قلت** الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور **قلت** في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل اخر هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر

هو اتخاذهم الآلهة من الارض ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات

ان ينشر الموتى بعض الموات **فان قلت** كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل انه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كالثاني للقدم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا **قلت** الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم

والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض **فان قلت** لا بد من نكتة في قوله هم **قلت** النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن رحمه الله ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله **فان قلت** ما منعك من الرفع على البدل **قلت** لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين

فيه رمز الى ان المعكوس بالانشار هو وحده مع التهكم بالآلهة

النشر ونشره

أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحدا والثاني أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله فإن قلت لم وجب الأمران قلت لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر إذا كانت عادة الملوك والجبابرة ألا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا وإجلالا مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون لأنهم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه كرر أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم أي وصفتم الله تعالى بأن له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك إما من جهة العقل وإما من جهة الوحي فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه

من الا

عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهي عنه متوعد عليه أي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الأنبياء فهو ذكر أي عظة للذين معي يعني أمته وذكر للذين قبلي يريد أمم الأنبياء وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي وما لتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من الإضافة في هذه القراءة وإدخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الإعراض ومن هناك ورد هذا الإنكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد نزلت في خزاعة حيث قالوا

الملائكة بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على ساير العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غرّ منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرّمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيبت اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما ياتون ويذرون مما قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهّله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون اي متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يامنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل صلوات الله عليه ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم

واضاف

واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجاء بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد وقرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما ففتقناهما الله وفرّج بينهما وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كنّ لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قوله لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في القران الذي هو معجز في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة

وجعلنا خلقنا كل حيوان او جعلنا حفظ كل حي بالماء او كل حي من النطفة ع م

صبره عنك كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين
فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو
من في قوله عليه السلم ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو
المفعول الثاني والظرف لغو اي كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لئلا
تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد
لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين
الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف
فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله لتسلكوا منها سبلا
فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة
موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى
قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني
بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة وهو بيان لما ابهم ثمة محفوظا
حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض ويتزلزل او
بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة عن اياتها
اي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وساير
النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب
العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم
من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار
بها والاستدلال على عظم شأن من اوجدها عن عدم ودبرها

ونصبها

ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو
عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن ايتها على التوحيد اكتفاء
بالواحدة في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم
من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها
وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها اية بينة على الخالق
معرضون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في فلك
يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم
وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما
بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل
الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فان قلت
الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر
فان قلت كيف استبد بها دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما
قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت
بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه
السورة ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها
فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم
يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم
سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل
على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس كما [illegible]

أنه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا أي قضى الله
أن لا يخلد في الدنيا بشر فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإذا كان
الأمر كذلك فإن مت أنت أيبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا * أي نختبركم بما
يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم
فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وإنما سمى ذلك
ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في
صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر
يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك
للرجل صديقا فهو ثناء وإن كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى
يذكرهم وقوله أهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى أنهم عاكفون هممهم
على ذكر آلهتهم وما يجب أن يذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوؤهم
أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية
فهم به كافرون لا يصدقون به أصلا فهم أحق بأن يتخذوا هزؤا منك
فإنك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف
الرحمن إلا مسيلمة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل بذكر
الرحمن بما أنزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال أي يتخذونك
هزؤا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله كانوا
يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم والإقرار ويقولون

وقيل على حبسا للعجل فنادى نفسه
وخلق الإنسان عجولا والعجلة تقدم الشيء
على وقته والسرعة ... وقرئ حمد
خلق الإنسان ... الله ...

متى هذا الوعد فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم أولا
ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم
كأنه قال ليس ببدع منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك
وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس أنه أراد بالإنسان
آدم وأنه حين بلغ الروح صدره ولم تتبالغ فيه أراد أن يقوم
وروي لما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه
اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة
قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس
أنه النضر بن الحارث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل
الطين بلغة حمير وقال شاعرهم * والنخل ينبت بين الماء والعجل *
والله أعلم بصحته فإن قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله
خلق الإنسان من عجل وقوله وكان الإنسان عجولا أليس هذا من
تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن
يغلبها لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة
وقرئ خلق الإنسان جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أي
لو تعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد
وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام
لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكنهم
جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز أن يكون يعلم متروكا بلا تعدية

بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين
منصوب بمضمر اى حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا
على الباطل وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم اى لا يكفونها بل تفجاهم
فتغلبهم يقال للمغلوب فى المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذى كفر
اى غلب ابراهيم الكافر وقرا الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير
والضمير للوعد او للحين فان قلت فالام يرجع الضمير المؤنث
فى هذه القراة قلت الى النار او الى الوعد لانه فى معنى النار
وهى التى وعدوها او على تاويل العدة او الى الحين لانه فى معنى
الساعة او الى البغتة وقيل فى القراة الاولى الضمير للساعة
وقرا الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره
اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكير عليهم اى لا يمهلون بعد
طول الامهال سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم
به بان له فى الانبياء عليهم السلم اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم
كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا من الرحمن اى من باسه وعذابه
بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه
حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه
والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون
لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما فى ام
من معنى بل وقال ام لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا

ثم استانف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب
من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل متعنا
من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم
وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم
من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت بهم ايام الروح
والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون لا ينزع عنهم
ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا
يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط
المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار الاسلام
فان قلت اى فائدة فى قوله نأتى الارض قلت الفائدة فيه
تصوير ما كان الله يجريه على ايدى المسلمين وان عساكرهم وسراياهم
كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها
وقرى ولا يسمع الصم ولا تسمع الصم بالتاء والياء اى لا تسمع انت
او لا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من اسمع فان قلت الصم
لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل
اذا ما ينذرون قلت اللام فى الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين
كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم
اذا انذروا اى هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام

من آباء الانداد ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء
لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا
وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة
يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء
المرة وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها
قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم القيامة
مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة
ترسمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وقيل
لاهل يوم القيامة اي لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين
قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على
حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة
فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني انه
يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له
كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان
فلما رآه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته
حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة فان قلت
كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما
توزن صحائف الاعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض
مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة

الاشراق و شر شد روز روشنایی دادن
اشرق وجهه ای تلألأ حسنا اشرق وجه روشن شد
او روی

علي لانها تامة كقوله وان كان ذو عسرة وقرأ ابن عباس ومجاهد
آتينا بها وهي مفاعلة من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال
وآتاهم بالجزاء وقرأ حميد اثبنا من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها
وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه
اي آتيناهما الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرا اي للمتقين
والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او آتيناها بما فيه من الشرائع والمواعظ
ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان
وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات
وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر
الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف
محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه ذكر
مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره الرشد
الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم
والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد له شان
من قبل من قبل موسى وهارون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا
بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته
ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا
من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ اما ان تتعلق بآتينا او

او برشده او لمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت قوله
ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه
بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى
كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قلت هلا قيل
عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية
لعداه بصلته التي هي على ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان
وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا
آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء
وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى
اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم انتم من التاكيد الذي
لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض
الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك اراد ان المقلِّدين والمقلَّدين
جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد
الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم
ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما
قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا
الذي جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل في تضليلهم واثبت للاحتجاج
عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى
بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوى

بالبينات

بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا
على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم قرأ معاذ بن جبل
بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين
فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت ان الباء هي الاصل
والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو
التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان
امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب
متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة
سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقد شيء تيسرا
روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الاصنام فدخلوه
وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع
بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى الاصنام
وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب
وكان من ذهب في عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها
بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه عن قتادة
قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا
من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ
وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون
الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما اجاب به

قوله بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم وعن الكلبي اليهم الى كبيرهم
ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات
فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك
قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم
واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا
يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له
ويؤهله للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكل فان قلت فاذا
رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم
فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله
عليه غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا
يضر وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم اتخاذ من يفعل هذا الكسر
والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجرأته على الالهة الحقيقة
عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا في حطمها
وتماديا في الاستهانة بها فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى
واي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم
لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا
مما يسمع واما الثاني فليس كذلك فان قلت ابراهيم ما هو قلت
قيل هو خبر مبتدا محذوف ومنادى والصحيح انه فاعل يقال
لان المراد الاسم لا المسمى على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا

بينا

مبينا هذا اي بمرأى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلاء
في على قلت هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين
ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه
بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له روي ان الخبر بلغ
نمروذ واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام
ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء
المعاني والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى
ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته
لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة
وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق
وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا وصاحبك امي
لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خربشة فاسدة فقلت له
بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به
لا نفيه عنك واثباته للامي او المخربش لان اثباته والامر دائر
بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول
غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها
اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه
لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما
يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية

جمع رائض ... الراضة

الخربشة افساد الكتابة

لما تقود الى عقوبته مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم
فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى
انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها
وقرأ محمد بن السميفع فعلّه كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم
فلما الهمهم الحجة واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون
على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن
الظالمين نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي
استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم
انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل
والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق
الهة معبودة مضادة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين
لابراهيم مجادلين عنه حتى نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا
على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما
بهتهم به ابراهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ
نكّسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما لم يسم فاعله اي نكسوا
انفسهم على رؤسهم قرأ به رضوان بن عبد المعبود اف صوت
اذا صوّت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم
على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق
الباطل فتافف بهم واللام لبيان المتافف به اي لكم ولالهتكم هذا

الناس

الناس اتفقوا اجمعوا لانهم لما غلبوا بالحجة وهكذا المبطل اذا قرعت
شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع
الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين
عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمروذ وعن ابن عمر رضي الله
عنهما رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم حين هموا
باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى فجمعوا شهرا اصناف
الخشب الصلاب حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله
لاجمعن حطبا لابراهيم ثم اشعلوا نارا عظيما كادت الطير تحترق
في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها
فناداها جبريل عليه السلام يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى ما احرقت
منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا
قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا
بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطل عليه نمروذ من الصرح فاذا هو
في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك
فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم اذ ذاك
ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول
ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها
ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا
فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم

في نصرها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها
ولم يألوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمأمور
أمر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان
ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابراهيم او ابردي
بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها فان قلت
كيف بردت النار وهي نار قلت نزع الله تعالى عنها طبعها
الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة
والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع
عن جسم ابراهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة
جهنم ويدل عليه قوله على ابراهيم وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به
فما كانوا الا مغلوبين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه
المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه
من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر
الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم واثارهم
الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة
الماء والثمر والشجر والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن
سفيان رضي الله عنه انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى
بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع
اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين

ولوطا

بالمؤتفكات

ولوطا بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة النافلة ولد الولد
وقيل اسحاق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا
من غير سؤال يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة غيره
فالهداية محتومة عليه مأمور بها من جهة الله ليس له ان يخل
بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع
بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهتدي اميل فعل الخيرات
اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات
وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة حكما حكمة وهو ما يجب
فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم
اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها
من اشاء من قبل من قبل هؤلاء المذكورين هو نصرناه الذي
مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم
منه اي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان او ما كان
فيه من تكذيب قومه اي واذكرهما واذ بدل منهما والنفش
الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه اراد هما والمتحاكمين اليه ردد
بالثلث لصاحب الحرث فقال سليمان لو ترك لهما وقرى عليهما
والضمير في فهمناها للحكومة او الفتوى وقرى فافهمناها
حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن
احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه

نفشت فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها
واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه
حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت
وامضى الحكم بذلك فان قلت احكما بوحي ام باجتهاد قلت قيل
حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان
وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب
فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه
حكومة داود فلان الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى
المجني عليه كما قال ابو حنيفة رحمه الله في العبد اذا جنى على
النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وقال الشافعي رحمه الله
يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان
في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء
ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم
واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر
والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا
فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه
بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا
فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها
ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار

الا ان

الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل
وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان
وفي قوله وكلا اتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب
يسبحن حال بمعنى مسبحات او استئناف كان قائلا قال كيف سخرهن
فقال يسبحن والطير اما معطوف على الجبال واما مفعول معه فان قلت
لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل
على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق
روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه
حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان يخلق الله
فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب اخر وهو ان
يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به
وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل
وكنا نفعل مثل ذلك للانبياء اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها
والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها
داود عليه السلام فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون
والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء
للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والياء لداود او للبوس
وقرئ الريح بالرفع والنصب فيها فالرفع على الابتداء والنصب
للعطف على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة

والرهاوت
بيانا

بالرخا أحرى في التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية طيبة
كالنسيم فاذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال
غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء
في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان في هبوبها على حسب
ما يريد ويحكم آية الى آية ومعجزة الى معجزة وقيل كانت في وقت
رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد أحاط علمنا
بكل شيء فنجري الأشياء كلها على ما تقتضيه علمنا وحكمتنا أي يغوصون له
في البحار فيستخرجون له الجواهر ونحوا ودون ذلك الحال الأعمال والمهن
وبناء المحاريب والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال الله تعالى يعملون
له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره
أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه
اي بأنه بأني مسني وقرئ بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء
معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس
من مرض أو هزال [illegible] فرق بين البناءين لافتراق المعنيين ألطف
في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة
ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد
الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي
فقال لها ألطفت في السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود
وملأ بيتها حبا كان أيوب عليه السلام روميا من ولد اسحاق بن يعقوب
عليهم السلام

وقد

الضر صح

وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين
وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد
لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت
فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة
ثلاث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات
وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت
ثمانين سنة فقال انا استحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي
مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل
منهم وروي ان امرأته ولدت ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا
العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لأيوب
وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا
والآخرة قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع
بن نون وقيل انه سمي به لأنه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل
خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل
عيسى والمسيح ويونس وذو النون محمد واحمد فاضيف اليه تبرم بقومه
لطول ما ذكرهم فلم يتذكروا واقاموا على كفرهم ذكل فراغمهم وظن
ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر
واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم
فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته

ذكل صح

لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ ابو شرف مغضبا قرئ نقدر ونقدّر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويُقدَر ويُقدَّر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسّرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخففة يصح ان تفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه

بالظلم ننجي وننجّي ونجّي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحّل لصحته فجعله فُعِّل وقال نُجّي النجاءُ المؤمنين فارسل الياء واسنده الى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادّون وقرئ رُغْبا ورُهْبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال اما اني سألت ابراهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى انه ان يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم

نفخنا اخرجنا روح المسيح والاضافة للتشريف والملك

قلت معناه فنفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك
ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز
ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه
لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا
قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين قلت لان حالهما بمجموعهما
آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل الامة الملة وهذه اشارة
الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا
عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله
واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع
امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدأ
والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة
على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم
فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى
جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير
لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا
شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو
محاسبهم ومجازيهم الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل
في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان
يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي كاتبون لذلك السعي ومثبتوه

فهو عن ضلالته ومثاب عليه صاحبه استعير الحرام للممتنع وجوده
ومنه قوله عز وجل ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم
وابى ان يكونا لهم وحِرْم وحَرُم بالفتح والكسر وحَرُم وحُرِّم ومعنى
اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع
الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية ان قوما
عزم الله على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى
ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة
من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون
على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر
وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل
وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل
الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون
عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا
اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول فان قلت
بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلاث هي قلت هي متعلقة
بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم
القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة
من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى يأجوج
ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل

فقيل فتحتكا قبل اهلكناها وقرئ آجوج ومأجوج وهما قبيلتان
من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج
وماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل
هم ياجوج وماجوج من كل حدب ينسلون نشز من الارض
وقرأ ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء
تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي
اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى
اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء
بالشرط فيتأكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان
سديدا هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين
ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون
يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا ما تعبدون
من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم
واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة
ثلاثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه
رسول الله حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله
الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم
خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله

اما

اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت
ذلك قال نعم قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا
والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك
فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح
والملائكة فان قلت لم قرنوا بآلهتهم قلت لانهم لا يزالون
لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم
والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم
يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر
على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم فان قلت اذا
كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن
الزافرون الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالتباس حصب
جهنم اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود
يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم
الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما
البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه
قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه

يوم ينفخ في الصور صح

وهو لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة
طلب النفس اللذة وقرئ لا يُحزِنهم من أحزن والفزع الأكبر قيل
النفخة الأخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الأرض
وعن الحسن الانصراف إلى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار
وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح أي تستقبلهم الملائكة
مهنئين على أبواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم
ربكم قد حل العامل في يوم نطوي لا يحزنهم أو الفزع أو تتلقاهم وقرئ
تُطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجْل
بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة أي كما يطوى الطومار
للكتابة أي ليُكتب فيه أو لما يُكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر
كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات أي لما
يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم
إذا رفعت إليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها أول خلق مفعول نعيد
الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق
كما بدأناه تشبيها للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء
فإن قلت وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت أوله إيجاده
عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فإن قلت
ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال

ولكنك

الزبور يعني المزبور أي المكتوب
يعني ما أنزل على الأنبياء
لبلاغا كفاية أو وصولا إلى البغية
لأن البلاغ التبليغ وهو البلوغ

الإبلاغ الإيصال وكذلك التبليغ والاسم البلاغ
أيضا الكفاية ومنه قول الراجز
تزودوا فكلا بالبلاغ صحاح

ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق
أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب
الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه
نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول
الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لأن قوله
نعيده عدة للإعادة إنا كنا فاعلين أي قادرين على أن نفعل ذلك
عن الشعبي رحمه الله زبورا وذكرا والزبور بمعنى المزبور
ما أنزل على الأنبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعني اللوح أي
يرثها المؤمنون بعد إجلاء الكفار كقوله وأورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين وعن ابن عباس هي أرض الجنة وقيل الأرض المقدسة ترثها
أمة محمد عليه السلام إن في هذا الإشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار
والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به
البغية أرسل صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لأنه جاء بما يسعدهم
إن اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فإنما أتي من عند نفسه حيث
ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس
زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي
فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين

وكان الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة
للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال
انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما
يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحى الي مع فاعله
بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما
الدلالة على ان الوحي الى الرسول مقصور على استيثار الله بالوحدانية
وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب
ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية
يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي
فتكون ما موصولة آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله
في الجري مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله
ورسوله وقول ابن حلزة آذنتنا ببينها اسماء والمعنى اني
بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله
وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس
منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا
بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف
كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدون من غلبة المسلمين عليكم
كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت
لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه

وان ادري وما ادري

والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرونه به من كلام الطاعنين في الاسلام وما تكتمونه
في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادري
لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم
الى الحين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه
حكمة قرئ قال رب احكم على حكاية قول رسول الله ورب احكم على
الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربي احكم على افعل
التفضيل وربي احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه
بالحق معناه لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال
اشدد وطاتك على مضر قرئ تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون
الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون الشوكة والغلبة لهم فكذب
الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله والمؤمنين وخذلهم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب للناس
حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي
ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية غير ست آيات
وهي هذان خصمان اختصموا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء
عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير
الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون

المجاز الحكمي ان تحكم بحكم على شيء ليس له ذلك
الحكم كما حكم على الساعة بانها تزلزل وانها
لا تزلزل على الحقيقة مولانا حافظ

الزلزلة مصدرًا مضافًا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة
الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر
الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض
زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيامة
وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امر
بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول
صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم
حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال
ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك
الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا
في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن
الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا
من بين حزين باك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير
للزلزلة وقرئ تُذهَل كلُّ مرضعة على البناء للمفعول وتُذهِل كلَّ
مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع
دهشة **فان قلت** لم قيل مرضعة دون مرضع **قلت** المرضعة
التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها
ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة

لتزل

ليدل ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها
نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها
او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة
عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وقرئ وتُرى
بالضم من اريتك قائما او رُؤيتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب
ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على تأويل الجماعة وقرئ
سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى
وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سُكرى وبسُكرى بالضم وهو
غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق
ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير
تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم
سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب **فان قلت** لم قيل اولا
ترون ثم قيل ترى على الافراد **قلت** لان الرؤية اولا علقت
بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس
على حال السكر فلا بد من ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم ومن
نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن
اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا وهي
عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز من الصفات
والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع

للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق
والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر
وتبين أنه من جعله وليا له لم يثمر له ولايته إلا الضلال عن طريق الجنة
بالإمامة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولا أوليا بل هم أشد
الشياطين إضلالا وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال
تدوينا ولقنوه أشياعهم تلقينا وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم
وإياهم عنى من قال ورب مقتفي الخطى بين قومه طريق نجاة عندهم
مستويه ولو قرأ في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقه
لعج إلى الله اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سماواتك
وأنبيائك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه
مثل أي كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك
في حاله وقرئ أنه فإنه بالفتح والكسر فمن فتح فلأن الأول فاعل كتب
والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب
عليه هذا الكلام كما تقول كتبت إن الله هو الغني الحميد أو على تقدير
قيل أو على أن كتب فيه معنى القول قرأ الحسن من البعث بالتحريك
ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كأنه قيل إن ارتبتم في البعث
فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم والعلقة الدم الجامد والمضغة
اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان
والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم

صخرة خلقاء إذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة
منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك
فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم من حال الكمال ومن خلقة
الخلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على
خلق البشر من تراب أولا ومن نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب
والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل
العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على إعادة ما أبدأه بل هذا
أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس وورود الفعل
غير معدى إلى المبين إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته
وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبي عبلة
ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر
ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف
من قر الماء إذا صبه فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر في الأرحام
ما يشاء أن يقره من ذلك إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة
أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع أو كما شاء وقدر وما لم يشأ
إقراره مجته الأرحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف
على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما
أن نبين قدرتنا والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشؤوا
ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا أشدكم

فإن قلت كيف صح عطف ثم لتبلغوا أشدكم
بالإلحاق قلت [illegible] فحاصلا
[illegible] التعليل [illegible]
نفسه وهو أصح من هذه الجهة [illegible]

تفاوت

أي لم يذكر المبين في هذه الآية

قطعة

وحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم
طفلا لتبلغوا اشدكم كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي
لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء
واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله
ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفوليته
ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه
في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى
ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نساء
بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه من ساعته
يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سالك عنه وقرا ابو عمرو
العمر بسكون الميم هامدة ميتة يابسة وهذه دلالة ثانية على
البعث لظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه
اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت
والبهيج الحسن السار للناظر اليه اي ذلك الذي ذكرنا من خلق
بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم
واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور
كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه قادر على احياء
الموتى وكل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث
فلا بد ان يفي بما وعد عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل

كررت كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين
والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر
لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن
وتخمين لا باحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء
كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن
ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة وقرئ
بضم الياء وفتحها فان قلت ما كان غرضه من جداله الضلال
عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال
من الهدى الى الضلال قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان
الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل
جعل كالخارج من الهدى الى الضلال خزي هو ما اصابه يوم بدر من الصغار
والقتل والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما
قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار واثابته الصالحين على حرف
على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق
واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر
فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا
نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت
فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته
قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان

الامر خلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم
بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام
لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج
الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب ما اصيب به
والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ
خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع
على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على
انه خبر مبتدا محذوف استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد
في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله فان قلت
الضرر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا
تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله
تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو
يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال
يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها
لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وكرر
يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال
لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى

وقصد عبد الله من ضره بقوله لبئس المولى الناصر والعشير الصاحب
كقوله فبئس القرين هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله
ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه
ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه
فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل
ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق
فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي
يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه
ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع
الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به
محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب
لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه
فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة
غيظهم وحنقهم على المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت
امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق
بيد الله لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته
فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ
غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده
مرزوقا اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات

ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشياطين وواحد للرحمن جعل الصابئين مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يقضي بينهم اي بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قال جرير

إن الخليفة سربله بسربال ملك به ترجى الخواتيم

سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخال افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراض من وجهين احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس اولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة قلت لا انظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد له اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر في معنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح

لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين وان رفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قال وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حُق بالضم وقرئ حقا اي حق عليه العذاب حقا ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرما وقرئ مكرَم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى

الخصم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ... للعموم

إن الله يفصّلها عليهم يوم القيامة وفي رواية عن الكسائي وحمزة بالكسر
وقرئ قُطِعت بالتخفيف كأنّ الله تعالى يقدّر لهم نيرانا على مقادير
جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تظاهر
على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها
فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس
لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها يُصهَر وعن الحسن
بتشديد الهاء للمبالغة أي إذا صبّ الحميم على رؤسهم كان تأثيره
في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب أمعاءهم وأحشاءهم
كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطّع
أمعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها
في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلّوها وقرأ الأعمش ردّوا
فيها والإعادة والرد لا يكون إلا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا
أن يخرجوا منها من غمّ فخرجوا أعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى
عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في
أعلاها ضُرِبوا بالمقامع فهَوَوْا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا
عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك
يُحلَّون عن ابن عباس من حليت المرأة فهي حالٍ ولؤلؤا بالنصب
على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولؤا بقلب الهمزة الثانية
واوا ولُولِيًا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كأدْلٍ ولُولٍ

كادل

كأدْلٍ يمين جرّ ولؤلؤ ولِيليًا بقلبهما ياءين عن ابن عباس وهُدوا هُدِيَ الله
والقهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم إلى طريق الجنة
يقال فلان يحسن إلى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا
استقبال وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والنعشة في جميع
أزمنته وأوقاته ومنه قوله ويصدّون عن سبيل الله أي
الصدود منهم مستمر دائم للناس أي الذين يقع عليهم اسم الناس
من غير فرق بين حاضر وبادٍ وتانئٍ وطارئٍ ومكّيّ وآفاقيّ
وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة قائلين إن المراد بالمسجد الحرام
مكة على امتناع جواز بيع مكة وإجارتها وعند الشافعي لا يمتنع
ذلك وقد حاور إسحاق بن راهويه فاحتج بقوله الذين أخرجوا
من ديارهم وقال أنسب الديار إلى مالكيها أو غير مالكيها واشترى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالكيه سواءً بالنصب
قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثاني مفعولي
جعلناه مستويا العاكف فيه والبادِ وفي القراءة بالرفع الجملة
مفعول ثان الإلحاد العدول عن القصد وأصله إلحاد الحافر وقوله
بإلحاد بظلم حالان مترادفتان ومفعول يُرِدْ متروك ليتناول كل متناول
كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه
من عذاب أليم يعني أن الواجب على من كان فيه أن يضبط
نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهمّ به ويقصده

وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير
الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه انه كان له فسطاطان احدهما
في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل
فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله
وبلى والله وقرئ يَرِدْ بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى
فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه
فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد ان
يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه
تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب
اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذكر حين جعلنا لابراهيم
مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة
رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء
فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج وكنست
ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة فان قلت
كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا
للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة
فكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ

يشرك

يُشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس ناد فيهم وقرأ ابن محيصن
وآذن والنداء بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد
ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب
لرسول الله امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع
راجل كقائم وقيام وقرئ رُجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله
ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة
على حال كانه قال رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر لانه
في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد
وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا منافع لانه
اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد
في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله انه
كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات
كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله
لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا
وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله
ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله
ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام
معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة
الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة رحمه الله

وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه هي ايام النحر بهيمة
مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي
الابل والبقر والضأن والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة
لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون
ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم مساواة الفقراء
ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء
ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود
انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث
منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا البائس
الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي
اضعفه الاعسار قضاء التفث قص الشارب والاظفار
ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء
ازالة التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب
حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا
طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع
به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع
العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن
وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه
فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق

وقيل

وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان قلت
قد تسلط الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت
وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد
التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك خبر مبتدأ محذوف
اي الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في
بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد
كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل
بهذه الصفة من مناسك الحج وغيره فيحتمل ان يكون عاما
في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم
الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام
والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم
خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام
بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما
يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت
عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا
ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا
مما احل الله شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك
وان تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك
لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر

باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه
وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول
الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك
زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان
التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه
لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيلة عبادة الاوثان
وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق
التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم
ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى
بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه
انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي
عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل
فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار
وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور
قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل
شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم
قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور
الاشراك بالله وتلا هذه الاية وقيل الكذب والبهتان وقيل
قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك
تملكه

والرجس
يعني من جنسها اي اجتنبوا الاوثان فانها من الرجس

ان يكون هذا التشبيه

ويجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق
فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه
اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته
الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت
به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان
في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط
من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان
الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت
به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء
مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح تعظيم
الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام
حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا
يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية
والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى
نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول الله ان يبيعها
ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب
وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها
وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته

برة اي حلقة

المعظم أمر عظيم لا ينبغي أن يتهاون به ويتسارع فيه فإنها من تقوى القلوب
أي فإن تعظيمها منها فحذفت هذه المضافات
ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى من
يرتبط به وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا
ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء إلى أجل مسمى
الخ أي تحرم فيتصدق بلحومها ويؤكل منها وقيل للتراخي في الوقت
فاستعيرت للتراخي في الأحوال والمعنى أن لكم في الهدايا
منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وإنما يعتد الله بالمنافع الدينية
قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه
المنافع وأبعدها شوطا في النفع محلها إلى البيت أي وجوب
نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية إلى البيت كقوله هديا بالغ
الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لأن الحرم
هو حرم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وإنما
شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها
ومحلها إلى البيت العتيق يأباه شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له
أي يتقربوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك
أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك وقرئ منسكا بفتح
السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى
الموضع فله أسلموا أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه

لوجهه

لوجهه سالما أي خالصا لا تشوبوه بإشراك وبشر المخبتين المتواضعين
الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الأرض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين
لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقرأ الحسن والمقيمي الصلوة
بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلوة
على الأصل والبدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة
لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالإبل حين قال البدنة
عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الإبل صارت
البدنة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله
وإلا فالبدن هي الإبل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن والبدن
بضمتين كثمر جمع ثمرة وقرأ ابن أبي إسحاق وبالضم وبتشديد النون
على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه
من شعائر الله أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله وإضافتها
إلى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج
أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف
أنه لم يملك إلا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال
سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن إبراهيم
من احتاج إلى ظهرها ركب ومن احتاج إلى لبنها شرب فاذكروا اسم الله
أن يقول عند النحر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك

ما ليكم صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن
من صفن الفرس وهو ان يقوم على ثلاث وينصب الرابعة
على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على الثلاث
وقرئ صوافي اى خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافا
بالتنوين عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم
صواف نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء ووجوب
الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط
ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها
وسكنت نسايسها فكلوا منها واطعموا القانع السائل
من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسألته قنوعا
والمعتر المتعرض بغير سؤال او القانع الراضى بما عنده وبما
يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المعترض بالسؤال
وقرأ الحسن والمعترى وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرأ
ابو رجاء القنع وهو الراضى لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع
من الله على عباده واستحمدا اليهم بان سخرها لهم البدن مثل التسخير
الذى ذكر وعلموا بأخذونها منقادة للاضطجاع فيعقلونها ويحبسونها
صافة قوائمها ثم يطعنون لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن
باعجز من بعض الوحوش التى هى اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتأبد
من الابل شاهدا وعبرة اى لكن يصيبه رضا الله والمقصود المتصدق بها

ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن
يرضى المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ
بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية
واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب
وان كثر ذلك منهم وقرئ لن ينال ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان
اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه
بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كرر تذكير النعمة
بالتسخير ثم قال لتكبروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه
ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير
معنى الشكر وعدى تعديته خص المؤمنين برفعه عنهم ونصرته
لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب جعل العلة في ذلك
انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفر الذين يخونون الله ورسوله
ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع
فمعناه يبالغ في الرفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل
المغالب يجيء اقوى وابلغ اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه
لدلالة يقاتلون عليه بانهم اى بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب
رسول الله كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون
رسول الله من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم

اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهي أول آية
أذن بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم
خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم والإخبار
بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام
الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة أيضا
أن يقولوا في محل الجر على الإبدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد
الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير
ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض بإظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة
ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى
متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع
ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون
في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب
الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع الله ولهدمت
بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لأنه يصلى فيها وقيل هي كلمة
معربة أصلها بالعبرانية صلوتا من ينصره أي ينصر دينه وأولياءه
هو إخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة
المهاجرين رضي الله عنهم إن مكناهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا
وكيف يقومون بأمر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله

ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما
أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله
تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم
من المهاجرين لا حظ في ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن
هم أمة محمد عليه السلام وقيل الذين منصوب بدل من قوله
من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا ولله عاقبة
الأمور أي مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده
من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم يقول لرسوله تسلية له لست
بأوحدي في التكذيب فقد كذبت الرسل قبلك أقوامهم وكفاك
بهم أسوة فإن قلت لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت
لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط
وفيه شيء آخر كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيبهم فكيف كان نكير
بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا
وبالعمارة خرابا كل مرتفع أظلك من سقيفة بيت أو خيمة أو ظلة
أو كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم إذا سقط
أو الخالي من خوى المنزل إذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل
وقوله على عروشها لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى
أنها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة

او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها اى قائمة واما ان تكون خبرا بعد خبر كانه قيل
هي خالية وهي على عروشها اى قائمة مظلة على عروشها على معنى ان
السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرارها الحيطان وبقيت
الحيطان ماثلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة فان قلت
ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت
الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة
على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل قرأ الحسن معطلة من اعطله
بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات
الاستقاء الا انها عطلت اى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها
والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكناها
وكم بير عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه
فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها
بمعنى مع اوجه وروي ان هذه بير نزل عليها صالح مع اربعة
آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت
وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البير
اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس
واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة
بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بيرهم وخرب قصورهم
يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله

بكفرهم

تكون جواب الاستفهام
او مصروف عن محذوم
اى سافروا فكم تكن

بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك
ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب
بالياء اى يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب
سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا
وفي قراءة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار
وفي تعمى راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها
وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة
الى عمى القلوب فان قلت اى فائدة في ذكر الصدور قلت
الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو
ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة
ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب
حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل
تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول
ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين
فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير
وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة
ولا سهوا مني ولكني تعمدت به اياه بعينه تعمدا انكر استعجالهم
بالمتوعد من العذاب العاجل او الآجل كانه قال ولم يستعجلونه
به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف

بالاستعجال وانما انتم المومنون وثوابهم ليغاظوا من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقراها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في اخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به

والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو صبور حليم لا يعجل وان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ يعدون بالتاء والياء ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيك وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا

شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء
من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله
الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان
من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف
المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب
المذبذبين وقيل تمنى قرا وانشد تمنى كتاب الله اول ليلة
تمني داود الزبور على رسل · اخرها لاقى حمام المقادر امنيته قراءته
وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام
فينسخ ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله اياته
اي يثبتها والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية
قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين يريد وان هؤلاء
المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع المضمر
قضاء عليهم بالظلم انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان
من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة وان الله لهادي الذين امنوا الى ان
يتاولوا ما يتشابه في الدين بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل
منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم
حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين امنوا بالتنوين
في مرية منه من القران او من الرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم
الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن

او لانه

او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب
بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم
اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال
الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة
مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكانه
قيل حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع
الضمير فان قلت التنوين في يومئذ عن اي جملة ينوب قلت
تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال
الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة لما جمعتهم المهاجرة
في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل
ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين
ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه
روي ان طوايف من اصحاب رسول الله قالوا يا نبي الله هؤلاء
الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك
كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الايتين تسمية الابتداء
بالجزاء لملابسته من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون
النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت
كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب
مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني

وهو عقيم في قول المشركين

على طريق المقابلة لا التقرير ومندوب اليه ومستوجب عند الله
المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر
وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله
وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن
لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه
ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به
من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل على صحة ذلك اي
ذلك النصر بسبب ان الله قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار
ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر
والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون
فان قلت ما معنى ايلاج احد الملوين في الاخر قلت تحصيل
ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذلك في مكان ظلمة
هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو
زيادته في احدهما ما ينقص من الاخر من الساعات وقرئ تدعون
بالتاء والياء وقرأ اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول
والواو راجعة الى ما لانه في معنى الالهة اي ذلك الوصف بخلق الليل
والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه

يعني قوله ثم بغي عليه لينصرنه الله

ويولج

هو ابو السميفع

الله الحق الثابت الهيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة
وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا قرئ مخضرة اي ذات خضر
على مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم
صرف الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر
المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو
شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان قلت
فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى
ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب
الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت
عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه
وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب
ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله
لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق
ومنافعهم ما في الارض من البهائم مذللة للركوب في البر
ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات
وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان تقع
الا بمشيئته احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة
ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم هو نهي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم

مِن أن ينازعوك وهو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روى
أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا
للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون
الميتة وقال الزجاج هو نهى له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك
فلان اى لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذى لا يكون الا بين اثنين
في الامر في الدين وقيل في امر النسائك وقرى فلا ينزعنك اى
اثبت ثباتا في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه
والمراد زيادة التثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا
يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن
ظهيرا للكافرين وهيهات أن ترتع همة رسول الله حول
ذلك الحمى ولكنه وارد للالهاب والتهييج
وقال الزجاج رحمه الله هو من نازعته فنزعته
أنزعه اى غلبته اى لا يغلبنك في المنازعة فإن قلت لم جاءت
نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت
لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآى الواردة في
امر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة
مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا أى وإن أبوا للجاجهم إلا

المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأن الله
اعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به
وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب
من الله للمؤمنين والكافرين اى يفصل بينكم بالثواب والعقاب
ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم
وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم
كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه
والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لأن العالم الذات
لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلقه بمعلوم ويعبدون ما لم يتمسكوا
في صحة عبادته ببرهان سماوى من جهة الوحى والسمع ولا
ألجأهم إليها علم ضرورى ولا حملهم عليها دليل عقلى وما للذين
ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم
المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى
الاكرام وقرى يعرف في المنكر والسطو الوثب والبطش
وقرى النار اى هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر
على البدل من شر من غيظكم على التالين وسطوكم
عليهم او مما اصابكم من الكراهة بسبب ما تلى عليكم وعدها الله
استئناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وان يكون
حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد فإن قلت الذى جاء به

من الكلوح والكلوح ...
مرحد ... ...

ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة الرائعة الملتقاة
بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة
لكونها مستحسنة مستغربة عندهم قرئ يدعون بالتاء والياء ويدعون
مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا
مؤكدا وتأكيده هاهنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل
مناف لاحوالهم كانه قيل محال ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم
اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في
تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان
قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار
على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا
وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره
واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم
وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيا
فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب
والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت
وجدت الطالب اضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو
غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم
كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه

الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله
ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون
وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو
سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى
ونعم النصير قران

حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها
ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب
فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به هذا رد لما انكروه من ان
يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين
ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال
المكلفين ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه منهم خافية والى الله ترجع
الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسال عما يفعل وليس
لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله لذكر
شان ليس بعده من الطاعات وفي هذه السورة دلالات
على ذلك فحق ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلوة التي هي
ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج
والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس
اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا
ان تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم
واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس
في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق اي
افعلوا هذا كله وانتم راجون الفلاح طامعون فيه غير
مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما

فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة الحج
بسجدتين وبذلك احتج الشافعي رحمه الله فرأى سجدتين في سورة الحج
وابو حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرون فيها الا سجدة واحدة
لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة
لا سجدة تلاوة وجاهدوا امر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى
وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض
غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الاكبر في الله اي في
ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا
وجدا ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة
وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال
وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص
فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله
صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته
وما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين
وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش
ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد
هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة
بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف

المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني
بالدين ملة ابيكم كقوله الحمد لله الحميد فان قلت لم يكن
ابراهيم ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده هو يرجع الى الله
تعالى وقيل الى ابراهيم ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب
الله سماكم من قبل وفي هذا اي من قبل القرآن في سائر الكتب
وفي القرآن اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم
ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على
الناس ان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة
فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه
فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها
بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثمان عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين
كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم
فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد
وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة

قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون

وتعالى افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف
أُفلِحَ على البناء للمفعول وعنه أفلحوا على أكلوني البراغيث
او على الابهام والتفسير وعنه أفلحُ بضمة بغير واو اجتزاء بها
عنها كقوله ولو أنّ الأطبا كانُ حولي **فان قلت** ما المؤمن
قلت هو في اللغة المصدّق واما في الشريعة فقد اختلف فيه
على قولين احدهما أنّ كل من نطق بالشهادتين مواطيا قلبه
لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها الا البرّ
التقي دون الفاسق الشقي الخشوع في الصلوة خشية القلب
والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء
فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء
اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن أن يشدّ بصره الى شيء
او يحدّث نفسه بشيء من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة
لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب
فيتوقى كفّ الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات
والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل
والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ابصر رجلا يعبث بلحيته
في الصلوة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه

والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون

ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين
فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث **فان قلت** لم اضيفت
الصلوة اليهم **قلت** لان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلّى له
فعنيٌّ وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته واما المصلى له فغني
متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول
او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة الغاءه واطراحه
يعني ان بهم من الجدّ ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع
في الصلوة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل
والترك الشاقّين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكوة اسم
مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكّي من النصاب
الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي
اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما
من مصدر الا يعبّر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب
فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا
الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال
لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين
أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن
لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشدوا لأمية بن ابي الصلت بيتا
المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات

والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون

ويحتمل ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء
وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة على ازواجهم في موضع
الحال اى الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان
على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة
اى واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة
فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال
تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين
كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اى يلامون على كل مباشر الا
على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين
من قولك احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن
قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك فالحاصل
كانه قال الذين هم لفروجهم الا على ازواجهم **فان قلت** هلا قيل
من ملكت **قلت** لانه اريد من جنس العقلاء ما يجرى مجرى غير
العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده
ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه
وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون
في العدوان المتناهون فيه **فان قلت** هل فيه دليل على
تحريم المتعة **قلت** لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج
اذا صح النكاح وقرئ لامانتهم سمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه
امانة

اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني
ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء
بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا
الشيء اى متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا
من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس
وعهودهم وقرئ على صلوتهم **فان قلت** كيف كرر ذكر الصلوة
اولا وآخرا **قلت** هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا
بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها
ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها
وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد
الخشوع في جنس الصلوة اى صلوة كانت وجمعت آخرا ليفاد
المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن
المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء
والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة
الحاجة وغيرها من النوافل اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون
الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين
يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى
الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان

غير حافظين ملومين

حافظون قطرت على صلواتهم

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين

لاصناف الثمر

الواسع الجامع لانواع الثمر وروى ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل حلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذري ثم غرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان

السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين

فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان فان قلت ما معنى جعل الانسان نطفة قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة

فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروى عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروى ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح قرأ ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع

فان قلت فاذن لا حيوة الا حيوة الانشاء وحيوة البعث

قلت ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة

الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة
النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة
ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها
اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها
غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به
الناس فانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها
وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم بقدر
بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار
ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه
ينابيع في الارض وقيل انزل خمسة انهار سيحون نهر الهند
وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل
نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها
الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف
معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته
وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل
والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه
وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايى عليه شيء اذا اراده
وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا
فمن ياتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء

ويقيدوها

وانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون

ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر خص هذه
الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف
النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين بانه فاكهة يتفكه بها
وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا
والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا
ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفة
يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها
طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات
وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون وشجرة
عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما
انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف
فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون
اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك
فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة
او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء
وحرباء ومن فتح فلم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء وقيل
هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى عليه السلام
وقرا الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت
وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت

الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون

وأنشد لزهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل والباء للحال ومفعوله محذوف
اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تُنبت بضم التاء وفتح الباء
وحكمه حكم تَنبت وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه تخرج الدهن
وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف أبيّ تثمر بالدهن
وعن بعضهم تنبت بالدهن في قراءة الاعمش صبغا وقرئ
وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل
هي اول شجرة مباركة قرئ تَسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام
ومنافعها ما يتعلق بها من الركوب والحمل وغير ذلك
كما يتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة
وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل
لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن
لانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها
يريد صيدحه غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف
تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا
عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها
واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة
في شيء ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويترأسكم كقوله
تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض بهذا اشارة الى نوح عليه السلم

نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة صح

صيدح اسم ناقة ذي الرمة

فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين

اولا

او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام
او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شأن
الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا
يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا في ذلك
لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عنّ لهم
من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد
علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا الجنة الجنون
او الجن اي به جن يخبلونه حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه
الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه
في نصرته اهلاكهم فكأنه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني
بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني
من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم
من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم بأعيننا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظا يكلؤونه
بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه
من الله عين كالئة ووحينا اي نأمرك كيف تصنع ونعلمك روي انه
اوحي اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطير روي انه قيل لنوح
اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في
السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امرأته فركب وقيل كان

تصحيح صح

تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينه وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة من كل زوجين من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي فان قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الاية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق

الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعوه بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينه او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسالته وهو قوله وانت خير المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبيه وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي قرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان هي المخففة من الثقيله واللام هي الفارقه بين النافية وبينها والمعنى ان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر قرنا اخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء فان قلت حق ارسل

ان يعدّى بالى كاخواته التى هى وجّه وانفذ وبعث فما باله عدّى فى القرآن بالى تارة وبفى اخرى كقوله كذلك ارسلناك فى امة وما ارسلنا فى قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اى فى عاد وفى موضع آخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعدّ بفى كما عدّى بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك فى قوله ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله فان قلت ذكر مقال قوم هود فى جوابه فى سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة قالوا يا هود وههنا مع الواو فاى فرق بينهما قلت الذى بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذى مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اى جوار الله فى مكة حذف الضمير والمعنى من مشربكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه اذا واقع فى جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اى تخسرون عقولكم وتغبنون فى آرائكم ثنّى انكم للتاكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثانى بالظرف

رسولا اى هودا وصالحا

تمامه: طبا فيها من ذوات الجبلام

ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل مضمر هو جزاء للشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم وقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفى قراءة ابن مسعود أيعدكم اذا متم قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بالتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع فى قوله فهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج فى تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نوّن فنزّله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هى موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هى النفس تتحمل ما حملت وهى العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التى نفت ما بعدها نفى الجنس نموت ونحيا اى يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتى قرن آخر ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له

وفيما يعزونا من البعث وما نحن بمصدقين فليك صفة للزمان
كقديم وحديث في قولك ما رايته قديما ولا حديثا في معنى عن
وما توكيد بمعنى قلته القلة وقصرها الصيحة صيحة جبرئيل صاح عليهم
فدمرتهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل
من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه فشبههم
في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق
والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا
في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا
ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر
التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا
اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين
بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون قرونا قوم
صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
بني اسرائيل اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب تترى فعلى
الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء
بدل من الواو كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد
من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى الامم ولقد جاءتهم
رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون
بالملابسة والرسل ملابسون المرسل اليهم جميعا فاتبعنا بعضهم بعضا والقرون

بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث
تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة
وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا فان قلت
ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان تراد العصا لانها كانت
ام ايات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها
حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر
بضربها بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا
ورشاء جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل
فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز ان تراد
الايات انفسها اي هي ايات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون
علا في الارض ليبغوا ويعلوا في الارض او متكبرين على الناس قاهرين
بالبغي والظلم البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين مثلنا
فاما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع
والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال
ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه
كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة
على الحقيقة موسى الكتاب اي قوم موسى التوراة لعلهم يهتدون

بشرائعها ومواعظها لا على خوف من فرعون وملائهم يريد آل فرعون
وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير
في لعلهم الى فرعون وملائه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل
بعد اغراق فرعون وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى فان قلت لو قيل آيتين هل كان يكون
له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح الله
القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر
من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية
وامه آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة
في رائها الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر
وهي الارض المرتفعة قيل هي ايلياء ارض بيت المقدس وانها
كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب
وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن رحمه الله فلسطين والرملة
وعن ابي هريرة رضي الله عنه الزموا هذه الرملة فلسطين فانها
الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض
مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل
الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه
الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا
انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه

اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه
من الماعون وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما
وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى
الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد
السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان
يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل
طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله
فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ
العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له
مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين
ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة
فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما
ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا
اقتداء بالرسل قرئ وان بالكسر على الاستئناف وان بمعنى ولان
وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا جمع زبور
اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت
من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل فرقة
من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن
النفس معتقد انه على الحق الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا

لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء
لما هم عليه من الباطل قال كأنني ضارب في غمرة لعب
وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا
او يموتوا سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن
الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وقرئ يمدهم ويسارع
ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع
ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد
ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم
يحسبونه مسارعة في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة
بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل
الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم
اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك
اهو استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع
من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره قلت هو محذوف
تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك
لمن عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع
أمن الالتباس يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا وفي قراءة رسول الله
وعائشة يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت
قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو كذلك

يخاف الله

يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق
وهو على ذلك يخاف الله ان لا يتقبل منه يسارعون في الخيرات يحتمل
معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها
والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم
الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا
وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا
في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة
لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون
في الخيرات لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون
الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث
عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر
ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر
يعني ان هذا الذي وصف به الصالحون غير خارج من حد الوسع
والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال
فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح
او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرءون منه يوم القيامة
الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم
احد او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف
ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه

ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا يظلم
احد من حقه ولا يحطّه دون درجته بل قلوب الكفرة في غفلة
غامرة لها من هذا اى مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين
ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اى لما وصف به المؤمنون هم لها
معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب
وحتى هذه التي يبتداء بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب
قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة
والقد والاولاد الجؤار الصراخ باستغاثة قال جأّر ساعات
النيام لربه اى يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع لكم
منا لا تنصرون اى لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم
نصر ومعونة قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا
يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوّغ هذا الاضمار
شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن لهم مفخرة الا انهم ولاته
والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي
ومعنى مكذبين فعدى تعديته او تحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا
فانتم مستكبرين بسببه او تتعلق الباء بسامرا اى تسمرون بذكر القرآن
وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة

سمرهم

سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
او تهجرون السامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سُمّرا وسُمّارا وتهجرون
وتُهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر
الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان افلم يدبروا القرآن
يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به
بل جاءهم ما لم يأت اباءهم فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما
ما انذر اباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر آياته واقاصيصه
مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يأت
آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه
وآباؤهم اسماعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسّا
فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مرّ
فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكّوا في ان
تبّعا كان مسلما وروي ان ضبّة كان مسلما على شرطة سليمان بن
داود ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم
وامانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش
والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى
برغائها مناديا الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم
عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق

ما تعلقوا عليه وتشبثوا بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له
مردا ولا مدفعا لأنه الحق الأبلج والصراط المستقيم فأخلدوا إلى البهت
وعوّلوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر
فإن قلت قوله وأكثرهم فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق
قلت كان فيهم من ترك الإيمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه
وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب
فإن قلت يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه قلت
يا سبحان الله كأن أبا طالب أخمل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ويخفى إسلام أبي طالب
دل هذا على عظم شأن الحق وأن السموات والأرض ما قامت
ولا من فيهن إلا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب
ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعد قوام أو أراد أن الحق الذي جاء به
محمد عليه السلام وهو الإسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله
بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة أن الحق هو الله ومعناه
ولو كان الله إلها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان
إلها ولكان شيطانا ولما قدر على أن يمسك السموات والأرض
بذكرهم أي بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو وصيتهم وفخرهم
أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين
لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم وقرئ خرجا فخراج وخرجا

فخرج

فخرجا وخرج فخراج وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل
من أجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك
أداؤه والوجه أن الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية
وخرج الكوفة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة
من قرأ خرجا فخراج ربك يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا
من عطاء الخلق والكثير من عطاء الخالق خير قد ألزمهم الحجة
في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذي أرسل
إليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلنه خليق
بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له
حتى يدعي بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك
سلما إلى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام
الذي هو الصراط المستقيم مع إبراز المكنون من أدوائهم وهو
إخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال
من غير برهان وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق
من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق وإعراضهم
عما فيه حظهم من الذكر عما أن هؤلاء صفتهم أنهم لا يؤمنون
بالآخرة لناكبون أي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله
إلى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد
ناكب لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة

تفسيره أن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط
لناكبون أي عن هذا الطريق المستقيم لعادلون
مجانبون

من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم
الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت
الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا
الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا
الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله
والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق
بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف
وما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم
بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو
اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة
وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك
او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رئي فيهم لين مقادة وهم كذلك
حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس
من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن استكان
قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل
استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون
اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما

يستكينون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة
استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم
باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا انما خص السمع والابصار
والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا
يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات الله
وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له
فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر
النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند ولا شريك اي
تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا ذرأكم خلقكم
وبثكم بالتناسل واليه تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وله اختلاف
الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما
غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو اي قال اهل مكة كما قال
الكفار قبلهم الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة اني واسطار
سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له
وجمع اسطورة اوفق اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان
عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات
ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء
الثانية ومعناه افلا تتذكرون فتعلموا ان من فطر الارض

ومن فيها اختلاقا على أن قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا
تشركوا به بعض خلقه في الربوبية قرئ الأول باللام لا غير
والأخيران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة
والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة فباللام
على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام
على اللفظ ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تكتب في الرواية
أفلا تتقون فلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله
أجرت فلانا على فلان إذا أغثته ومنعته يعني وهو يغيث
من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا تسحرون
تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان
والهوى وقرئ أتيتهم وأتيناهم بالفتح والضم بالحق بأن
نسبة الولد إليه محال والشرك باطل وإنهم لكاذبون حيث
يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب كل إله بما خلق
لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به
ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب
بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم
متغالبون وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا
أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء فإن قلت إذن
لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله

لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت
الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة
قوله وما كان معه من إله عليه وهو جواب لمن معه
المحاجة من المشركين عما يصفون من الأنداد والأولاد عالم
الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدإ محذوف ما والنون
مؤكدتان أي إن كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب
في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم
وعن الحسن رحمه الله أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم
يخبره أفي حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدعاء
فإن قلت كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين
حتى يطلب أن لا يجعله معهم قلت يجوز أن يسأل العبد ربه
ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهارا
للعبودية وتواضعا لربه وإخباتا له واستغفاره صلى الله
عليه وسلم إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك
وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر رضي الله عنه وليتكم
ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم
نفسه وقرئ ترئني بالهمز مكان تريني
وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء
حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب

ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز
ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار هو ابلغ من ان يقال بالحسنة
السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى
الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع
الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة
بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن عباس
هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام
يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة
باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين
او ازراء بمروة بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك
وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم الهمز النخس
والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين
يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب
حثا لها على المشي ونحو الهمز الاز في قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ
من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه والتعوذ من ان يحضروه
اصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القران وعن عكرمة
عند النزع حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا
الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم
مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار

فان قيل حتى هنا غاية لماذا
قلنا لقوله بما يصفون او لقوله لكاذبون
اي لا يزالون على سوء الذكر الى ان ياتي
هذا الوقت وهو وقت حضور الموت للكافر
معالم

منهم او على قوله وانهم لكاذبون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم
كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وقوله الا فارحموني يا اله محمد
اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على
ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال
لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي اتي بما تركته من الايمان
واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس تريد اسس اساسا
وابني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى
دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر
فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد
والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله
لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها
لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب
اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل
بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون
يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث
الا الى الاخرة الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالفتح والكسر
عن ابي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب
يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون

التواصل بينهم والتساؤل لانها لا تعاطف ولا تتلغوا الانساب لزوال التعاطف
والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه ولا يتساءلون بادغام التاء
في السين فان قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسئل حميم حميما
قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف
التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيامة مقداره
خمسون الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون
في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني
ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا
فتعارفوا وتساءلوا عن ابن عباس الموازين جمع موزون وهي
الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله
من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا في جهنم خالدون
بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل
لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف تلفح تسفع قال
الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان
تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية عن مالك
بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق برأس اخرج
من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط

التشويه ز شغلو كردن

ومصدر بالجمع القلوص والتركيب من الانضمام شيء بعضه الى بعض

التناكر التجاهل

السفلى

رأسه وتسترخي شفته العليا حتى تبلغ سرته وقرئ كالحون غلبت علينا
ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة
سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم قرئ شقوتنا
وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا
كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه
ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر
كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء
كعواء الكلاب لا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات
اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون
حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه
اذا دعي الله وحده فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون
انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم
فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون
الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها في حرف ابي انه كان
فريق بالفتح بمعنى لانه السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر
الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية
في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم
من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدتموهم والاول
مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة

العواء

ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم
بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني
فتخافوني في اوليائي وقرئ انهم بالفتح في الكشف فالكسر استيناف
اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء
والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال كم
في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة
والشام ففي قال ضمير الله او المأمور بسؤالهم من الملائكة وفي قل
ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار استقصارا لمدة لبثهم في الدنيا
بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل
ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم
كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم
يكن وصدقهم الله في مقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم
التي كانوا عليها وقرئ فاسأل العادين والمعنى لا نعرف من عدد
تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه
من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعد
ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون
اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي
الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء
المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس رضي الله عنه

انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين عبثا حال بمعنى عابثين
كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم
الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم الشاق من الطاعات
وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب
المحسن ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما
خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير
مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء الحق الذي يحق له الملك
لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه رب
العرش الكريم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته
الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ
الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد لا برهان له به كقوله
ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه
جيء بها للتوكيد لا ان في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان
ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن
الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح
بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه
انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من في
معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون
جعل فاتحة السورة قد افلح واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون

فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان
وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت روي ان اول سورة قد افلح
واخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من اولها
واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه
الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل
القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا
تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا
وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل
الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية وقيل اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدأ موصوف
والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب
على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت
في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى
فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها
واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان

فيها

وفرضناها اي فرضنا فيها اباحة الحلال
وحظر الحرام اذ فرضنا الحدود وفرضنا اي بينا
وجعلنا ما فرائض مختلفة

فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض
او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال
وتخفيفها رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه
على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون
الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي
وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما
كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات
ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل
يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر
وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك
ظهره وبطنه وراسه فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني
ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن
حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة رحمه الله ست
الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح
والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي
رحمه الله الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله عليه السلام
من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعليق
الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام

في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني
يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة
مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم
فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة
بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى أن الواجب على المؤمنين
أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين
والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم
أسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت
يدها وقوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج
وإلهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا
الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص
من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له أأنت أرحم بهم مني
فيؤمر به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك
فيؤمر به إلى النار وعن أبي هريرة رضي الله عنه إقامة حد بأرض
خير لأهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الإمام أن ينصب للحدود رجلا
عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه
إلا إزاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الأعضاء كلها
لا يستثنى منها إلا الثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد إشارة
إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع

من ثيابها

من ثيابها إلا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة رحمه الله
على أن الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رحمه الله
على وجوب التغريب من قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة
وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ
عنده وعند أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب
من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد
ثلاثة أقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما
يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال أبو حنيفة رحمه الله وبهذه
الآية نسخ الحبس والأذى في قوله فأمسكوهن في البيوت
وقوله فآذوهما قيل تسميته عذابا دليل على أنه عقوبة
ويجوز أن يسمى عذابا لأنه يمنع من المعاودة كما يسمى نكالا الطائفة
الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي
صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس
في تفسيرها أربعة إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن
عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا
وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة
هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح أن هذه الكبيرة
من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله تعالى بالشرك وقتل النفس
في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقال ولا تقربوا الزنى

انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يا معشر الناس اتقوا الزنى فان فيه ست خصال ثلاث
في الدنيا وثلاث في الاخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء
ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب
السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه
عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه
القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود
فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة
يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه
المؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل
ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله
الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى والتقحب لا يرغب
في نكاح الصوالح من النساء اللاتي على خلاف صفته وانما يرغب
في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة
المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون
عنها وانما يرغب فيها من هو في شكلها من الفسقة او المشركين
ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه
بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنى محرم عليه محظور لما فيه
من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء

المقالة

المقالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخاطئين كم فيها
من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد
نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب
فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه
فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة
ليس له ان يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه
ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام
لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين
احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد
والثاني فساد المعنى واداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية
والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول
الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل
الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب فان قلت اي فرق
بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت معنى الاولى صفة الزاني
بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة
الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما
معنيان مختلفان فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني
اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الآية لعقوبتهما على

المزاوجة جفت شدن

السفاح الزنا يقول سافحه مسافحة وسفاحا فجر

ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لانها لو لم
تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت
اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر
النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه
يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي
ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ من ليرحمك ويجوز
ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن
ان لا يدخل نفسه تحت هذه العاده ويتصونن عنها وقرئ وحرم
بفتح الحاء القذف يكون بالزنى وبغيره والذي دل على ان المراد
قذفهن بالزنى شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني
والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنى يكفي فيه
شاهدان والقذف بالزنى ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة
يا زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد
الزانية لست لرشدة والقذف بغير الزنى ان يقول يا اكل
الربوا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث
يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد
وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف رحمه الله يجوز ان
يبلغ به تسعة وسبعون وقال الامام ان يعزر الى المائة وشروط
احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام

وتقول هو لرشدة خلاف قولك هو لزنية صحاح

والعف

والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة فان قلت
كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين قلت الواجب عند ابي حنيفة
واصحابه رحمهم الله ان يحضروا في مجلس واحد وان جاؤا متفرقين
كانوا قذفة وعند الشافعي رحمه الله يجوز ان يحضروا متفرقين
فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم قلت
يجوز عند ابي حنيفة واصحابه خلافا للشافعي فان قلت كيف يجلد
القاذف قلت كما يجلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه
الا ما ينزع عن المرأة من الفرو والحشو والقاذفة ايضا كالزانية
واشد الضرب التعزير ثم ضرب الزنى ثم ضرب شرب الخمر
ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب
الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت
فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان
يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة
القاذف معلق عند ابي حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد
فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته
واذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار
الاتقياء وعند الشافعي رحمه الله يتعلق رد شهادته بنفس القذف
فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة
وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط

الذي هو الركن في الحد ردّ الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا
مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله
واولئك هم الفاسقون كلاما مستأنفا غير داخل في حيز جزاء الشرط
كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية
والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله
غفور رحيم والشافعي رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا
غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة
والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية
وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه
عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي
يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن
جزاء الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم
وردّوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والردّ
والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله
يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين
فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته
بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل
شهادته عند ابي حنيفة كأن القذف مع الكفر اهون من القذف
مع الاسلام قلت المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانهم

شهروا

فيكون الاستثناء منصرفا اليها لا الى ما قبله

شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر
من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف
من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف
او للامام ان يعفو عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل ان تشهد
الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف
ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ
ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت
لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح
ان يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث الحد قلت عند ابي حنيفة
لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحد لا يورث ويورث
عند الشافعي واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط
وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال
في عائشة رضي الله عنها قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا عاقلا
بالغا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة
صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية
او زنيت او رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف
والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام
لم يجب اللعان واللعان ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة

ان غضب الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا
ثم تقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما
رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان
من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي رحمه الله
يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل
قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له
اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان
بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس
في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له
دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع
الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر
فان الفرقة تقع بالتعانهما وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي
تقع بلعان الزوج ثم تكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة
عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب الرجل
نفسه بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر
والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله هي فرقة بغير طلاق
توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان آية
القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر

فقام

فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل
مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق
وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء
باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج
فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت
على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال
هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته
ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته
على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله عند قوله
وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم
آمين وقال لها ان كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون
عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها
الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد
فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين
فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله
بشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شان وقرئ ولم تكن بالياء
لان الشهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من
قرأ اربع ان ينصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو
لانه مضاف الى المصدر

فشهادة احدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم
اربع شهادات بالله وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على
تخفيفها ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب
وقرئ بنصب الخامسة على معنى وتشهد الخامسة فان قلت
لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها
لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها ولذلك كانت مقدمة في آية
الجلد ويشهد لذلك قوله عليه السلم لخولة فالرجم اهون عليك
من غضب الله الفضل الفضل جواب لولا متروك وتركه دال
على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به
الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان
لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه مأفوك
عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها والعصبة
الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا
اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان
بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله
لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص
وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث الافك
من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب

العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان
مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا
عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها فقال امرأة نبيكم
باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله
هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى
كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء
مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة
مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضي الله عنها وتطهير لاهل البيت
وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف
للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد دينية واحكام
وآداب لا تخفى على متأمليها بانفسهم اي بالذين منهم من المؤمنين
والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى
ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال
فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله
سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله
فعائشة خير مني وصفوان خير منك فان قلت هلا قيل
لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب

الى الغيبة وعن الضمائر الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة
الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه
مقتض ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب
ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه
ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه
بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا بلفظ المصرح
ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال
وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك
تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات جعل الله
الفصل بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود
الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم تكن لهم
بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه
وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك
فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف
في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به
اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين
الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله
لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى
ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي

من

من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو
والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك
يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض اذ ظرف
لمسكم او لافضتم تلقونه يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى
القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وقرئ على
الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه
من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض
وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتلقونه
محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت امي تقرأ
اذ تثقفونه وكان ابوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود
فان قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم
قلت معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه
اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على ألسنتكم ويدور
في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي تحسبونه صغيرة وهو
عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم انه جزع عند الموت
فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم
وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله
نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس

[margin:] صورته تتلقونه
[margin:] هم الكاذبون اي القاذفون عندهم

العذاب العظيم بما اخضتما تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل
كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع
وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثاني التكلم بما لا
علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم
فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظرف
شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا
تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فان قلت فاي
فائدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا قلت الفائدة فيه
بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك
عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم فان قلت
فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم
بهذا قلت معناه ينبغي ويصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول
ما ليس لي بحق وسبحانك للتعجب من عظم الامر فان قلت
ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الاصل في ذلك ان
يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل
في كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة
فان قلت كيف جاز ان تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح
ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة قلت لان الانبياء مبعوثون
الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب الا يكون معهم ما
ينفرهم

ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم
المنفرات ان تعودوا كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظت
فلانا في كذا فتركه وابدا ما داموا احياء مكلفين وان كنتم مؤمنين
فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم
بالايمان الصاد عن كل مقبح ويبين الله لكم الآيات الدالة على علمه
وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة
ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل
لما يفعله بدواعي الحكمة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد
الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الحد ولقد ضرب رسول الله
عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه
ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد والذي تولى
كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضمائر وانتم لا
تعلمون يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه
عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا
كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة
وكذلك في التواب والرؤوف والرحيم الفحشاء والفاحشة ما
افرط قبحه قال ابو ذؤيب ضرائر حرمي تفاحش غارها
اي افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه
ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى

خطوات الشيطان خطاها او آثارها او تخطيه الحلال الى الحرام او تزود المعاصي وانتقاله من معصية الى معصية
عصام المعاني

بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة
الممحصة لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله
يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم
واخلاصهم هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم
ما الوت جهدا اذا لم يدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن
ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان
او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء
لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم
مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت
في شأن مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان
فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه
ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك
الاشتغال بالمكافأة للمسيء ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح
نفقته فقال والله لا انزعها ابدا وقرأ ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا
بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم الغافلات
السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر
لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات
العرافات قال الاعشى ميمون بن قيس ولقد لهوت بطفلة ميالة

تطلعني

بلهاء تطلعني على اسرارها وكذلك البله من الرجال في قوله صلى الله عليه وسلم
اكثر اهل الجنة البله وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة
للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت
عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في افك
عائشة رضي الله عنها ولا انزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد
الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب
من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة
واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث
لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم
بالعذاب العظيم في الآخرة وبان ألسنتهم وايديهم وارجلهم تشهد
عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم
اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك
واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين
عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى
سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت
توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله عنها وهذا منه مبالغة
وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه
بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرأ موسى عليه السلام

من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرّأ مريم عليها السلم
بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها إني عبد الله وبرّأ عايشة
بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر
مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة
أولئك وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم وخيرة الأولين
والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة
شأنه وتقدم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق
فليتلق ذلك من آيات الإفك وليتأمل كيف غضب الله له في
حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن عايشة رضي الله عنها **فإن قلت**
إن كانت عايشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات **قلت** فيه
وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأن يخصصن بأن من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به وإذا
أردن وعايشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله كانت
المرادة أولا والثاني أنها أم المؤمنين فجمعت إرادة لها ولبناتها
من نساء الأمة الموصوفات بالإحصان والغفلة والإيمان
كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي أراد عبد الله بن الزبير
وأشياعه وكان أعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا
وكنيته المشهورة أبو بكر إلا أن هذا في الاسم وذاك في الصفة

فإن قلت

فإن قلت ما معنى قوله هو الحق المبين **قلت** معناه ذو الحق المبين
أي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف
بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسيء ولا إحسان
محسن فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه أي الخبيثات من القول
تقال أو تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون
للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون وأولئك إشارة
إلى الطيبين وأنهم مبرؤون مما رميت به من قول الخبيثات
في النزاهة والطيب ويجوز أن يكون أولئك إشارة إلى أهل البيت
وأنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك وأن يراد بالخبيثات والطيبات
النساء أي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك أهل الطيب
وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله وأعتدنا لها رزقا كريما وعن عايشة
لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلم
بصورتي في راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجني
ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وإن رأسه
لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وإن الوحي
لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وأنا معه
في لحافه فهو وإني لابنة الصديق خليفته ولقد نزل عذري من السماء
ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا
كريما تستأنسوا فيه وجهان أحدهما أنه من الاستيناس الظاهر الذي

خلفت أي تركت ساكنة مع قبر النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي

وإني لابنة خليفته وصديقه

صح
الذي

هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا
فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استانس
فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان
يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس
يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستئناس
الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشيء
اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا
الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا
واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت
النابغة على مستانس وحد ويجوز ان يكون من الانس وهو
ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا
يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة
والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام
عليكم اادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه انه اتى باب عمر رضي الله عنه فقال
السلام عليكم اادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاث واستاذن رجل على
رسول الله عليه السلام فقال االج فقال صلى الله عليه وسلم لامراة يقال لها
روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له

يقول

يقول السلام عليكم اادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل
الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا
وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد
فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب
الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب
الاستئذان من ذلك بينا انت في بيتك اذ رعف عليك الباب
بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية
وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله ولكن اين
الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها و
تستاذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستاذنوا
فاخطا الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفي قراءة ابي حتى
تستاذنوا ذلكم الاستئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية
والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو
الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت
عينه استئذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ااستاذن على امي قال نعم انها ليس لها خادم غيري
ااستاذن كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا
قال فاستاذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة
ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستئذان

يحتمل فإن لم تجدوا فيها أحداً من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحداً من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه وإلا أشبه الغصب والتغلب فارجعوا أي لا تلحوا في إطلاق الإذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب منتظرين لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصاً إذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة فإذا نهي عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس وعن أبي عبيد ما قرعت باباً على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون فإن قلت هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد أن جزم النهي عن الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم يبق شبهة

في كونه

في كونه منهياً عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن فإن قلت فإذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب إنكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيراً ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه فإن قلت كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر

الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن
واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى
وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما امر الفرج فمضيق
وكفاك فرقا ان اباح النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما
استثنى منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها
عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو
عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم
وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم
وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر
في كل حركة وسكون النساء مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل
للمراة ان تنظر من المراة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب
اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة
قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فاقبل
ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا
فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال افعمياوان انتما
الستما تبصرانه فان قلت لم قدم غض الابصار على حفظ
الفروج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى
فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت
به المراة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة

والكحل

والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار
والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط
فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة
في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع
من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق
والعضد والعنق والراس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين
نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل
ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع
انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء
حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فان قلت
ما تقول في القراميل هل يحل النظر اليها قلت نعم فان قلت
اليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها
وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة
قلت الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه
لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على
الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته
فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه فان قلت
ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه منه
قلت الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية

وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطيها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت

كل

كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم وقرئ او نسائهن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية وعن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم اية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم

حتى جاز النظر للاجانب والخادم

اي لا يقبل في عظايم الامور الا امر منكشوف ظاهر

الحياء لانهم بُلْهٌ لا يعرفون شيئا من امر النساء وشيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غيرَ بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرآن اذا اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل **فان قلت** لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال **قلت** سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناءهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف

يقدر

يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة **فان قلت** قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة **قلت** اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايهُ المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبتا والايم للرجل والمراة وقد آم وآمت وتايما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقزم والمراد انكحوا من تايم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند طلب المراة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله عليه السلام من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به

ذروا الاشكال على قول ابن عباس رضي الله عنهما

حركتها

فلم يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن رسول الله والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن النبي عليه السلام اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث ياتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزبة فان قلت لم خص الصالحين قلت ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشانهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا وعن النبي عليه

التمسوا

وقوله وهي مشيئته اشارة الى ما ذكر بعدها بقوله قد جاءت الشريطة منصوصة وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء اذا اغنا الايامى النكاح

التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رايته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا فاصبحت الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء

او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت
الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة
وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها
عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت
بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء
بالمال وكتبت علي العتق ويجوز عند ابي حنيفة رحمه الله
حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم
وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز
الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا
فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل
عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة
وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة
الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما تبنى به وان كاتبه
على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لانه
يجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق
وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له
وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن رحمه الله ليس
ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه
هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود

خيرا قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان
ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتأمرني
ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم امر للمسلمين على وجه الوجوب
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال
كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله فان قلت
هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان يأخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك
اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى
ما اخذه لانه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة
كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه قوله عليه السلام
في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي رحمه الله
هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا
وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس رضي الله عنه
يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر رضي الله عنه انه كاتب عبدا له
يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فأتاه باول نجم فدفعه
اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم
فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهو عند ابي حنيفة رحمه الله على وجه
الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل
معنى وآتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا
وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك

يقال له الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت كانت اماء
اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي راس النفاق
ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن
على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله
فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث
ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي
فان قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا قلت لان الاكراه
لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا تسمى
مكرهة ولا امرها اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان
المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد
من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم او لهن
ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم فان قلت
لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنى بخلاف المكره
عليه في انها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة
من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب
عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي
تعذر فيه فتكون آثمة مبينات هي الآيات التي بينت في هذه السورة
واوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها
فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود

جعل

جعل الها على المجاز ومن بين معنى تتبين ومنه المثل قد بين الصبح
لذي عينين ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم
كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة
ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة
في دين الله لولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
نظير قوله الله نور السموات مع قوله مثل نوره ويهدي الله
لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده
والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات والارض
الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف
النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على
سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض
واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به
مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة كمشكاة
كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج
ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر
شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير
كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح
من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت

ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها نبتت في الارض التي
بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به
فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام
واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا مقناة ولكن
الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات
في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه
الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة
والعشي جميعا فهي شرقية غربية ثم وصف الزيت بالصفاء
والوبيص بقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور
اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف فقد تناصر فيه المشكاة
والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده
اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان
متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان
الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على
زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لنوره لهذا النور
الثاقب من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر
بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه

يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس
وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه نور السموات
والارض اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب
اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من امن به وقرئ زجاجة
الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلالئ
ودريء بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرئ كمريق
ودري كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل
للزجاجة ويوقد بالتخفيف وتوقد بالتشديد ويوقد بفتح الياء
وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء
لان التانيث ليس بحقيقي والضمير فاصل في بيوت متعلق بما
قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل
مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت
وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت
وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله
في تسع ايات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها
بناؤها كقوله بناها رفع سمكها واذ يرفع ابراهيم القواعد
وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع
من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم
ويذكر فيها اسمه اي فيقوله وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس

ترفع عن الانجاس وتطهر تبنى او تعظم من الرفعة
او ترفع فيها الحوائج الى الله عز وجل

أن يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد
الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه
يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر
بالتاء وفتح الباء ووجهها أن يسند الى اوقات الغدو
والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها
كصيد عليه يومان والمراد وحشهما والآصال جمع اصل وهو
العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال
وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم التجارة صناعة
التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما أن يريد لا يشغلهم
نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل
من قبل أن التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية
من صناعته ألهته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في
الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك مظنون واما أن يسمي الشرى
تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة
رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شرى وقيل التجارة لاهل الجلب تجر
فلان في كذا اذا جلبه التاء في اقامة عوض من العين الساقطة
للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام
حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر الذي
وعدوا تتقلب القلوب والابصار اما أن تتقلب وتتغير في

انفسها

تصطرب

في انفسها وهو أن تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما أن تتقلب احوالها وتتغير
فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر
الابصار بعد أن كانت عمياء لا تبصر احسن ما عملوا اي احسن
جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون
ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى
قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل
وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق
ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه
على حسب الاستحقاق السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس
وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري والقيعة
بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض
كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات في ديمة
وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة
شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة
التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة
امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد
غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد
زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم

والغشا قوم من الزنج فالمطلة فيهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت
في عتبة بن ربيعة بن امية فقد كان تعبد ولبس المسوح والتمس
الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام اللجي العميق الكثير الماء منسوب
الى اللج وهو معظم ماء البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها
مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله
قول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات
نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجد من خدعه من بعيد شيئا
ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد
عنده الزبانية تعتله الى النار ولا يقتل ظمأه بالماء وشبهها
ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق
بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم
يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له
وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان
والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات
على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر
ظلمات بدلا من ظلمات الاولى صافات يصففن اجنحتهن في الهواء

والضمير

والضمير في علم لكل او لله وكل كل في صلوته وتسبيحه والصلوة
الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر
العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها يزجي يسوق
ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب
يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد منه
يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى
بين اجزائه كما في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم
بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه
جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله ومن جبال تشديد ويكاد سنا
برقه على الادغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق
كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة
فعلات كظلمات وسنا برقه على المد المقصور بمعنى الضوء
والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع وبرقه
بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة عن المبرد
المرتفع وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهورها في
حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير
بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب
التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر
منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما

بتقضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم
ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما
بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده
وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر
فان قلت متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من
في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر
من جبال برد في السماء حتى قيل له الم تر قلت علمه من جهة
اخبار الله تعالى اياه بذلك على طريق الوحي فان قلت ما
الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال
فيها من برد قلت الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض
والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض
ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول
مفعول ينزل من جبال فان قلت ما معنى من جبال فيها برد
قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء جبال برد
كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر
الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرئ خالق كل دابة
ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز
فاعطي ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم
وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم

قوائم فان قلت لم نكر الماء في قوله من ماء قلت لان المعنى انه خلق
كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص
وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها
بهائم ومنها الناس ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الاكل فان قلت فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي
قلت قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا
الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه
وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار
خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه فان قلت لم جاءت الاجناس
الثلاثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرق في القدرة وهو
الماشي بغير آلة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على اربع فان قلت
لم سمي الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا
في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له
امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة
ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين واولئك
بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم
فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا
الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان
من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد

وطائفة منهم تتولى بعقبته التولي والإعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين
دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون
على الإيمان الموصوفون في قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا معنى إلى الله ورسوله إلى رسول الله كقولك أعجبني زيد
وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه
أراد قبل فرط القطا روي أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي
حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله والمنافق يجره
إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا يحيف علينا وروي أن المغيرة بن وائل
كان بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وأرض
فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف
أن يحيف علي إليه صلة يأتوا لأن أتى وجاء قد جاءا معديين بإلى أو
يتصل بمذعنين لأنه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته
ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق
المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه
من أشداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا
إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم
الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى
القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه
ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله بل أولئك هم الظالمون أي لا يخافون أن يحيف عليهم

لمعرفتهم

لمعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم
جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن ثم يأبون المحاكمة إليه وعن الحسن رحمه الله قول المؤمنين بالرفع
والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما في التعريف
وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين
وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد وما يكون لنا أن نتكلم
بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فإن قلت إلام أسند يحكم ولا بد له
من فاعل قلت هو مسند إلى مصدره لأن معناه ليفعل الحكم
بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ
بينكم منصوبا أي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله
دعوا قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل
وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف
كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله سبحانه
في هذه الآية أسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها
ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى
من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية
كافية فتليت له هذه الآية جهد أيمانهم مستعار من جهد نفسه
إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها
ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه

واصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهداً فحذف الفعل وقدّم المصدر فوضع موضعه مضافاً إلى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر أي أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلّص من المؤمنين الذين طابق باطنهم ظاهرهم لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة إن الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمّله الله وكلّفه من أداء الرسالة فإذا أدّى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلّفتم من التلقي بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى فالنفع والضر عائدان إليكم وما الرسول إلا ناصح وهاد وما عليه إلا أن يبلّغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ

بمعنى

بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية ومعنى المبين كونه مقروناً بالآيات والمعجزات الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة وأن يمكّن الدين المرتضى وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وأن يؤمّن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن رسول الله وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس فيه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزّقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملّك الله من يشاء فيصير ملكاً ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدّلنّهم بالتشديد فإن قلت أين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنّهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنّهم أو نزّل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم الله ليستخلفنّهم

فان قلت ما محل يعبدونني قلت إن جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وإن جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم الله فأولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم قلت أوضح دليل وأبينه لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم وأقيموا الصلوة معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه أن يكون معجزين في الأرض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الأرض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله وأطيعوا الرسول وأن يكون الأصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول وكأن الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأواهم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله

قوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض
اي فائتين حتى يعجزونني عن ادراكهم وهنا مضمر اي هم
مقدور عليهم ومحاسبون

ومأواهم النار والمراد بهم المؤمنون [illegible] أمر بأن يستأذن العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ثلاث مرات في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لأنه وقت التجرد والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها أعور الفارس وأعور المكان والأعور المختل العين عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأدى إلى الحرج روي أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي عليه السلام فوجده وقد نزلت عليه هذه الآية وهي إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا

وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو الحلم بالسكون
وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات اي اوقات ثلاث
عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل
ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع
على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان
واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في
تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء
وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون
يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة الاطفال منكم
اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم
من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال
ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا
اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا
السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة
ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين
لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة
وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس اية لا يؤمن بها
اكثر الناس اية الاذن واني لامر جاريتي ان تستاذن علي وسأله

عطاء

عطاء أأستاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه
الاية وعنه ثلاث ايات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم
عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود
عليكم ان تستاذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست
منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان
وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يقولون هي منسوخة لا والله
ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم
فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة رحمه الله ثماني عشرة سنة في الغلام
وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي
رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ
الفرزدق في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار
واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سئل
عن غلام فقال هل اخضر ازاره القواعد التي قعدت عن الحيض
والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب
الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات
بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي اراد في قوله
ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج
ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن
لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال

وانفسها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا خير لكم
فإن قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه
من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى
بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا أنه اختص
بأن تتكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها وبدا وبرز
بمعنى ظهر من أخوات تبرج وتبلج كذلك كان المؤمنون يذهبون
بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم والحميم
بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين
والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا أن يلحقهم فيه حرج وكرهوا أن يكون
أكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم
ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم
من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الأنصار في أنفسها
قزازة وكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا وقيل
كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي إلى
الكراهة من قبلهم ولأن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت عين
أكيله إليه وهو لا يشعر والأعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه
فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي أو جرح يبض أو
أنف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا إذا خرجوا إلى الغزو خلفوا الضعفاء
في بيوتهم ودفعوا إليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم
فكانوا

وكانوا يتحرجون يحكى عن الحارث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد
في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندي شيء
ولم يحل لي أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما
تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح
وكذلك إذا فسر بأن هؤلاء ليس عليكم حرج في القعود عن الغزو
ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في أن
كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا أن يستفتيك المسافر
عن الإفطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر
فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم
الحلق على النحر فإن قلت هلا ذكر الأولاد قلت دخل ذكرهم تحت
قوله من بيوتكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث
إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم
من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ولأن الولد أقرب ممن عدد
من القرابات فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو
أقرب منهم أولى فإن قلت ما معنى أو ما ملكتم مفاتحه قلت
أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر
بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه
وقيل بيوت المماليك لأن مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه فإن قلت
فما معنى أو صديقكم قلت معناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا

وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو وعن الحسن رحمه الله انه
دخل داره واذا حلقة من اصدقايه وقد استلوا سلالا من تحت سريره
فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت
اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة
ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غايب
فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها
سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله
الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس
والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين
ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات فقالوا
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال
على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان
وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا
او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة
كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى
الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار
اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع
على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض
فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدءوا بالسلام

على

على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة
من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والتحية
من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن
يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس رضي الله عنه قال
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين
فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته
وكنت واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال
الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله
قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت
بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار
الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت
ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية
بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا اراد عز وجل
ان يريهم عظم الجناية في مذهب الذاهب عن مجلس رسول الله عليه
بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى
يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط
لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه

بموضع لما طالت صلته بذكر الايمانين ثم عقّبه بما يزيده توكيداً
وتشديداً حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين
يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمّنه شيئا آخر
وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرّض بحال
المنافقين وتسللهم لواذاً ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه لم
يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم الا تراه كيف علّق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيئته
واذنه لمن استصوب ان يأذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس
فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو
او تشاور في خطب مهم او تضامّ لارهاب مخالف او تماسح
في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ
امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل
لا بدّ لرسول الله فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه
ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم
في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعّث عليه رأيه فمن ثم
غلّظ عليهم وضيّق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط
ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله
لبعض شأنهم وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الاحسن
الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل
نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن قالوا كذلك

ينبغي

ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدّميهم في الدين والعلم يظاهرونهم
ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن
مفوّض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه
رأيه اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر
فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء
بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته
ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به ابواه
ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم
والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربكم
مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما اجابه وربما
ردّه فان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة
يتسللون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرّج وتدخّل واللواذ الملاوذة
وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في
الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذاً حال
اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استأذن
فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذاً بالفتح يقال
خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صدّ عنه دونه
ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدّون عن امره دون المؤمنين

قوله اذا ذهب اليه اي ذهب الى جهة
تقول خالفه عن القتال اذا جبنت انت عنه
واقدم هو وخالفه الى القتال اذا جبن هو
واقدمت انت

وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه
الضمير في امره لله سبحانه او للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته
ودينه فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة وعن ابن عباس
فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط
عليهم سلطان جائر ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين
والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت
على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير
في نحو قوله فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود
ونحو قول زهير اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله
والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما
فكيف تخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها
عن العيون واخفائها وسينبئهم يوم القيامة بما ابطنوا من سوء
اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم
ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين
على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون
للمنافقين والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل
مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان
مكية وهي سبعون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره
وتكاثره او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان
مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله
بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا
بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه
على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال
ومشركي كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله
وامته كما قال لقد انزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما انزل الينا والضمير
في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة
ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا
كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر الذي له
رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه
فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما
بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكأن المبدل منه
لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق
كل شيء فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث
كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له
مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه

للتكاليف

فقدّره للتكليف والمصالح المنوطة بهما في بابي الدين والدنيا وكذلك
كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدّرة بأمثلة
الحكمة والتدبير فقدّره لأمر ما ومصلحة مطابقا لما قدّر له غير متجافٍ
عنه أو سمّي إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا على
وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك
أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد
كل شيء فقدّره في إيجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى
ومعناه فقدّره للبقاء إلى أمد معلوم الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله
إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا والمعنى أنهم آثروا على
عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون
على شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا
وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون
أي لا يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب
النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور
التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز قوم آخرون هم اليهود وقيل عدّاس
مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي
وأبو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار
جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعدّيان تعديته وقد يكون على
معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل

الفعل وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقّن من العجمي الرومي كلاما
عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور أن بهتوه
بنسبة ما هو بريء منه إليه أساطير الأولين ما سطره المتقدّمون
من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة
كأحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكب الماء
واصطبه إذا سكبه وصبّه لنفسه وأخذه وقرئ اكتُتِبها على البناء
للمفعول والمعنى اكتتبها له كاتب لأنه كان أميا لا يكتب بيده وذلك
من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار
إياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا وبقي
ضمير الأساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فإن قلت كيف قيل
اكتتبها فهي تملى عليه وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه
وجهان أحدهما أراد اكتتابها أو طلبه فهي تملى عليه أو كتبت له وهو
أمي فهي تملى عليه أي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لأن صورة الإلقاء على الحافظ
كصورة الإلقاء على الكاتب وعن الحسن أنه قول الله سبحانه
يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى
الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله أفرح أن أرزأ الكرام
وحق الحسن أن يقف على الأولين بكرة وأصيلا أي دائما أو
في الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون إلى مساكنهم أي
يعلم كل سر خفي في السموات والأرض ومن جملته ما تسرّونه

يريد هذا الشاعر أخوه فأخذ الدية فقيل له فرح بقتل أخيه فأنكر ذلك وقال هذا البيت

أنتم من الكيد لرسول الله مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فإن قلت كيف طابق قوله إنه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة أو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون أي إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف ثم نزلوا أيضا فقالوا وإن لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير

أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ يكون بالرفع أو يكون له جنة بالياء والنون فإن قلت ما وجها الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على أنزل ومحله الرفع ألا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون إلا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك ضربوا لك الأمثال أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا إليه تبارك الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وإن أتاه خليل يوم مسألة

يقول لا غابت مالي ولا حرم ويجوز ان يجعل كلا اذا ادغمت
ان تكون للام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه
جواب الشرط بالواو بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا
باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه
كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب
وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون
بالآخرة السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه
اسم من اسماء جهنم رأتهم من قولهم دورهم تتراءى اي تتناظر
ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى
بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر
في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ
والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا
غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق
كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها
السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور
والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق
والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا
كما روي عن ابن عباس في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج
في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل

قرنت

قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر
شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك
ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك
لا تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن
ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه
واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان
كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم
بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم الراجع الى الموصول محذوف
يعني وعدها المتقون وما يشاءونه وانما قيل كانت لان ما وعده
الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان او كان مكتوبا في اللوح
قبل ان برأهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم
فان قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو
كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه
كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه
لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته
للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة
الموضع وضيقه وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك
ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاءون والوعد
الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا

صح

أن يسأله ويطلب لأنه جزاء واجب مستحق وقيل قد سأله الناس
والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم
يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ نحشرهم بكسر الشين
وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير
وعن الكلبي الأصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا
فإن قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع
على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شبحا من بعيد
ما هو فإذا قيل لك إنسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم
من لما يعقل أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ألا تراك
تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني أطويل
أم قصير أفقيه أم طبيب فإن قلت ما فائدة أنتم وهم وهلا
قيل أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل قلت ليس
السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما
هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام حتى
يعلم أنه المسؤول عنه فإن قلت فالله سبحانه قد سبق
علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته أن
يجيبوا بما أجابوا حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيبهتوا
وينخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله

وعذابه

شبحا مردم

وصفها لمن يعقل لأن من للعقلاء

لولا وجوده

صح

وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك
ويكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم
أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه
أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤون عن إضلالهم ويستعيذون
به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة
على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون
سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم
فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي
هو عمل الشياطين إليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل
أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضل
بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار
إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته
في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب
العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال
عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وضل مطاوع أضله
وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه
الطريق والأصل إلى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير في معنى
جعله ضالا أي ضائعا لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة
احتياط في حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أم لم يكن سبحانك

تعجب منهم فتحيّروا ما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون
فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك
ليدلوا على انهم المسبّحون المتقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق
بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون
له ملك او نبي او غيرهما ندًّا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم
ونحن معصومون ان نتولى احدًا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل
غيرنا على ان يتولانا دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين
في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء
الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
وقرأ ابو جعفر المدني نُتَّخَذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني
اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليًّا والى مفعولين كقولك
اتخذ فلانًا وليًّا قال الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال
واتخذ الله ابراهيم خليلًا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد
وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتأكيد معنى
النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل
والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء
من حيث هم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر
ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به
الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ وهذه

البور قد يجيء جمع بائر من البوار وهو الهلاك ...
كقولهم حائر وهو دون حور ... وقد هو لفظ
يصلح للواحد والجمع وهو في الاصل مصدر كالزور والنور
قال ابن الزبعرى في الواحد يا رسول المليك ان لساني
راتق ما فتقت اذ انا بور ...

المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها
الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وجل يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان
اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا وقرئ يقولون
بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة
ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا
ان نتخذ من دونك من اولياء فان قلت هل يختلف حكم الباء
مع التاء والياء قلت اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا
بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون
وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون بالتاء
والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم
وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف
اي يحتال او فما تستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان
ينصروكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق
بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم
لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه
ضمير الله او ضمير مصدر يظلم الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف
والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين

وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله
عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد
وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس
ولو قرئ يمشّون لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج
على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
فتنة محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله على ما قالوه واستبدعوه من اكله
الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول
وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض
والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة
واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم
الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك
من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم
بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب
فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان
في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له
عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه
جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته
ومشيئته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم
لانك

لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك
للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك
خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل
والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون
ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان
ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض اي لا
يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء
في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا
جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا
من الآيات ان ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صادق
حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه
ولا يخلو اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء
وان لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا
عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات
التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين
قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى
في انفسهم قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر
والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم
ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف

عُتُوًّا كَبِيرًا بالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم
الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف
وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي اسلوبها قول القائل
وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها وفي فحوى
هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد
استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يَوْمَ يَرَوْنَ
منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون
البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون
الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر
في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حِجْرًا مَحْجُورًا ذكره
سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها
نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو
موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال
سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره
اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه
فكان المعنى اسال الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل
او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان
قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر عوذ
بربي منكم وحجر فان قلت فاذ قد ثبت انه من باب المصادر

فما معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة لتاكيد معنى الحجر
كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الاية
انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت
او يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا
بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو
الموتور والشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه
حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله
ذلك حراما عليكم ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت
حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة
ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم
ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم
الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق
ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء
الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة
للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم
بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته
قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف
ان شبههم بالعصف حتى جعله مأكولا ولم يكف ان شبه عملهم
بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي جامعا

لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ
والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة المستقر المكان الذي يكونون
فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل
المكان الذي يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن
وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب
روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار وفي معناه قوله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم
في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون قيل
في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان
دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ
الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة
الصور الى غير ذلك من التحاسين والتزايين وقرئ تشقق بحذف
بعضهم التاء وغيرهم ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع
الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام
بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به فان قلت
اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات
قلت معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به
ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه
والمعنى ان السماء تنفتح بغمام تخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون

وفي ايديهم صحائف اعمال العباد وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة
الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا
لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا
ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقرئ وننزل الملائكة
وننزل وتنزل الملائكة ونزلت الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة
ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل قراءة
اهل مكة الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى
الا ملكه عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان
وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة
لانها من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع
الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة
والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت
في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها
رسول الله فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين
ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة
قال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت
فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام
ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه

فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر
وامر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن
اقلح الانصاري وقال لابي محمد الحربين المشبعة قال الخالد
وطعن رسول الله ابيا باحد فرجع الى مكة فمات واللام في الظالم
يجوز ان تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان تكون
للجنس فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه
طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به الضلالة والهوى
او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي
في صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل
ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء
الفا كما في صحارى ومدارى فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية
عن الاجناس فاذا اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا
فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا
كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله
او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة
الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا
لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد
ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله

او اراد

او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان
حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله وقال الرسول يقرأ على الادغام
والاظهار والادغام اكثر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه
قريش ... عنه تشكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية
وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه
قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا وموسيا
وواعدا النصرة عليهم فقال وكذلك كما نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه
وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم
مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر
فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا
اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي
جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه
هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه
هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى
اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي
وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة نزل ههنا بمعنى انزل
لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم

وانتحاجاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا
هلا انزل عليه دفعة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة وما له
انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول
من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به
لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك جواب لهم اي كذلك
انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه
لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا
عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول
صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى عليه السلام وداود
وعيسى كان اميا لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له
بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل
في ثلاث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث
وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى
ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة
الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك
انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه
لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا ان
ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور
فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة

وفزعوا

وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل عليه جملة واحدة كانهم
قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف
على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه
ومعنى ترتيله ان قدرناه آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة
ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل
القرآن ترتيلا اي اقراه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة
رضي الله عنها في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع
ان يعد حروفه لعدها واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها
يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل
هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة
وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا ياتونك بمثل بسؤال
عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك
نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى
ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل
عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام
كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او ولا ياتونك بحال وصفة
عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك
ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك
القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا
ومشيئتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت

ومشتبها أن نحطاه. وما هو أحسن تكشيفا لما بعث عليه وكالدلالة على صحته بغيه لأن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل إن حاملكم على هذه الأسئلة أنكم تضللون سبيله وتحقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقه قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وأن يراد الدار والمسكن كقوله أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا. الوزارة لا تنافي النبوة وقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة بطولها أعني إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم

وعنه

وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا إغراقهم أو قصتهم للظالمين إما أن يعني بهم قوم نوح وأصلوا أعتدنا لهم إلا أنه قصد تظليمهم فأظهروا وإما أن يتناولهم بعمومه عطف على هم في جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة وأما المنصرف فعلى تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر قيل في أصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله إليهم شعيبا فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن أبي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح ع وقيل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب الأخدود وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيها بين ذلك أي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود

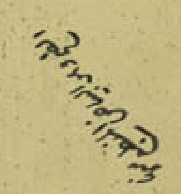
والرس هو الاخدود

ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم
ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير
التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا
الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا
لانه فارغ له اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك
الله اربعا باهلها وبقيت واحدة مطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا
مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من
السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى اثار عذاب الله ونكاله ويذكرون
بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع
التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا
بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون بطمعهم في الوصول
الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية ان الاولى نافية والثانية
مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزأ به
والاصل اتخذه موضع هزء او مهزوءا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا
استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على
غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزءوا لقالوا اهذا
زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا
دليل على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع
في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا

دينهم

دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم
ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد
للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت
مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله من اضل
سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله الى الضلال
من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول
ابي جهل لعنه الله من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي به
ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه
فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه
الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او
ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم
بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى
به واخذ الآخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل
تحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حققت بالاضراب عنها اليها
وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا
ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم
ارجح ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل اتخذ هواه الها قلت ما هو الا
تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل
عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده الا

عن الاسلام الاداء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت
كيف جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها
وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب
ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهولاء لا ينقادون لربهم ولا
يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون
الثواب الذى هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو اشد المضار
والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى الم تر
الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد
وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اى لاصقا باصل كل مظل
من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى امتداد الظل وانبساطه
تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون
بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا
ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك
وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اى على مهل وفي هذا القبض
اليسير شيئا بعد شىء من المنافع ما لا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة
واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم في
هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة
كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في
الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو انه مد الظل حين
بنى



بناء السماء كالقبة المضروبة ودحى الارض تحتها فالقت القبة ظلها
على الارض فيناء ما في اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا
مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اى سلطها
عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص
ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان
ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقى
الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء
اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك
حشر علينا يسير شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات
الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة وهذا كقوله وهو الذى
يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته
ياباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الاية مع دلالتها على قدرة
الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير
من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما
بالموت والحيوة اى عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمن انه قال لابنه يا بني كما
تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر قرئ الريح والرياح نشرا احياء ونشرا
جمع نشور وهي المحيية ونشرا بتخفيف نشر وبشرا بتخفيف بشر جمع بشور
وبشرى وبين يدى رحمته استعارة مليحة اى قدام المطر طهورا
بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا

النير الشمس

لغيره فإن كان ما قاله ثعلب شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تع وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على
وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم
قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت
طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله ع لا صلوة الا بطهور اي
بطهارة فإن قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها
على الظن تغير احد اوصافه الثلاثة او لم يتغير او استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي
حنيفة وعند مالك بن انس ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فإن قلت فما تقول في قوله ع
حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه وطعمه او ريحه قلت قال
الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال ميتا لان البلدة في معنى
البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل و
قرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا الاناسي
جمع انسي او جمع انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والاصل اناسين و
ظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم فإن قلت انزال الماء
موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول
حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه [الوحش] قلت لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل
له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله
لهم الطهارة وارادهم عليها ان يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربأوا با
نفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما رباهم ربهم فإن قلت لم خص الانعام من

بين

بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب
بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي
انعامهم كالانعام بسقيهم فإن قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة
قلت معنى ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع
الماء ففيهم غنية عن سقي السماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من
رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء
المتبعدين من مظان الماء فإن قلت فلم قدم احياء الارض وسقي الانعام على
سقي الاناسي قلت لان حياة الاناسي بحيوة ارضهم وحيات انعامهم فقدم
ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم
ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه هذا القول بين الناس في القرآن
وفي سائر الكتب والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال
القطر ليذكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا
كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان
المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود و
رذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا
صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين
عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره
في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب في تنكير
البلدة والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض

الانعام والاناسي ذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء
قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان يكون هو والانواء من خلق الله فهو كافر
وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلايل وامارات عليها لم يكفر يقول لرسوله
ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى لبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وانما
قصرنا عليك الامر وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل
ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا
تهييجه وتهييج المومنين وتحريكهم والضمير للقران او لترك الطاعة الذي يدل عليه
ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك
وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا [illegible] من كونه نذير
كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت
على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم
بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة سمى الماءين الكثيرين
الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه
ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما
التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الاخر
ممزوج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله عز وعلا
بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقرى ملح على فعل وقيل كانه
حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا
ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة

على سبيل

على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا
يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد
منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة
احسن م
فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان
وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر و
الانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى
الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر
يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير
الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان
بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا
الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به
اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم في
الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء و
من م
استثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب
منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك
المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه
فافاد فائدتين احدهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان
حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة
وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب

ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم
الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب
بالصدقة والنفقة لتنفقه في سبيل الله امره الله سبحانه بان يثق به ويسند امره اليه في
استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته
وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل
على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذي عقل ان
يثق بعدها بمخلوق ثم اراه انه ليس اليه من امر عباده شيء امنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم
كاف في جزاء اعمالهم في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ
نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الاخرة وكل يوم الف سنة وعن مجاهد اولها يوم
الاحد واخرها الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى للملئكة تلك الايام المقدرة بهذه
الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت
التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون
سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة
وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملئكة
الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور
اثنى عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد
النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله
وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحب النار
الا ملئكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين

تحميده م

امنوا ايمانا

امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين
في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم
جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في انه لم خلقها في لحظة وهو
قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر
على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل
اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق
مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ
محذوف او بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي
وقرئ فاسأل عنه الباء في به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب
واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
فسأل به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه
كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل
خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او
او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته
والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد
فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله مذكور
في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم
من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا
يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له

فسأل رجلا خبيرا به

رحمن اليمامة وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم
ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون
سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم
والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما تامرنا اي للذي تامرناه
بمعنى تامرنا سجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ
بالياء كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا
المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن
لانه هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة السيارة
الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج
التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها
واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله
وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب
الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة
قمراء كانه قيل وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه
اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف
اليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل
يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد
والعرب والعرب الخلفة من خلف كالركبة من ركب

التي

التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة
اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان
كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان
خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر
وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم
ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل
بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون
بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين
والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الاخر
وعن الحسن رحمه الله من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار
كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار
مستعتب وعباد الرحمن مبتدأ خبره في اخر السورة كانه
قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة
ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا
وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال
او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر
موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث
احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل

اذا عز اخوك فهن، ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون
بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون
بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق
ولقوله ويمشون في الاسواق سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم
ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر اي نتسلم منكم تسلما
فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول
يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة
الادب وسوء الرعة من قوله الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها
اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك
المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة واسلم
للعرض والورع البيتوتة خلاف الظلول وهو ان يدركك الليل
نمت او لم تنم وقالوا من قرا شيئا من القرآن في صلوة وان قل
فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب
والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل
او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما غراما هلاكا
وخسرانا ملحا لازما قال يوم النسار ويوم الجفار
كانا عذابا وكانا غراما وقال ان يعاقب يكن غراما
وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه ولزامه

وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم
هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف
العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ساءت
في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص
بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير
هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان تكون
ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز
والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين وان يكونا من كلام الله
وحكاية لقولهم وقرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء
وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي
هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة وصفهم
بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف
وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير
وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه شكر عبد الملك بن مروان حين
زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت
وجاء بكلام جيد فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا
المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر

شكر صح

لا تستحسن هذا فانه كلام متين

خط مولانا حافظ الدين

فنيًّا له عن نفقته وأحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية. قيل لا نعم يا بني أهذا أيضا. وقيل أولئك أصحاب محمد عليه السلام كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم عن الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهي رجل شيئا إلا اشتراه فأكله. والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص. والمنصوبان أعني بين ذلك قواما جائز أن يكونا خبرين معا وأن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وأن يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت. وهو من جهة الإعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لأن ما بين الإسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة. حرم الله أي حرمها والمعنى حرم قتلها. وإلا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف أو بلا يقتلون. ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين

من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه. والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقه. وقرئ يلق فيه أثاما. وقرئ يلقى بإثبات الألف وقد مر مثله. والأثام جزاء الإثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقا والعقوق له أثام. وقيل هو الإثم ومعناه يلق جزاء أثام. وقرأ ابن مسعود أياما أي شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب. يضاعف بدل من يلق لأنهما في معنى واحد كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا. وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الإخلاد والتخليد. وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات. يبدل مخففا ومثقلا وكذلك سيئاتهم.

فإن قلت ما معنى مضاعفة العذاب وإبدال الحسنات سيئات.

قلت إذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه. وإبدال السيئات حسنات أنه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة والتقوى. وقيل يبدلهم بالشرك إيمانا

ويبدل المسلمين قبل المشركين فيها الزنى عفة واحصانا ويبدلهم بترك
المعاصي ويندم عليها ويرغب في العمل الصالح فانه بذلك تائب
الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه
تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون
والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب
لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد
والعقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا
واي مرجع ويحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين
فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله
وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه
ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء
فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب
وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان
النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام
اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة رحمه الله
مجالس الباطل وعن ابن الحنفية رضي الله عنه اللهو والغناء
وعن مجاهد رحمه الله اعياد المشركين اللغو كل ما ينبغي ان يلغى
ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا

معرضين

والي

الثلم رخنه كردن

معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم
كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي
وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا
وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه لم يخروا عليها ليس بنفي الخرور
وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما
هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها
حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها
سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين
يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين
الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها
ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم قرئ ذريتنا وذرياتنا
وقرة اعين وقرات اعين سألوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا
عمالا لله تعالى يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب
ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده
مطيعين لله وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا راه يكتب الفقه
وقيل سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذريتهم في الجنة ليتم سرورهم اماما
اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس
كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد

التسفيه بي خرد خواندن

الخرور بروى افتادن

التذكير ياد دادن

الاكباب بروى افتادن واقبال كردن

ليتم سرورهم

جمع آمّ كصائم وصيام او اراد واجعلنا اماماً واحداً لاتحاد ديننا واتفاق
كلمتنا وكوننا يداً واحدة كامام واحد وعن بعضهم في الآية ما يدل
على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل
نزلت هذه الآية في العشرة المبشرين بالجنة فان قلت
من في قوله من ازواجنا ما هي قلت يحتمل ان تكون بيانية كأنه
قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله
من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو
من قولهم رأيت منك اسداً اي انت اسد وان تكون ابتدائية على
معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة فان قلت
لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلت اما التنكير فلاجل تنكير
القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كأنه
قال هب لنا منهم سروراً وفرحاً وانما قيل اعين دون عيون
لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم
قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين
انها اعين خاصة وهي اعين المتقين اولئك يجزون الغرفات وهي
العلالي في الجنة فوحدت اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس
والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ
في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات
وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه

لاجل

لاجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ يُلقَّون كقوله ولقّاهم
نضرة وسروراً ويَلقَون كقوله يلق اثاما والتحية دعاء بالتعمير والسلام
دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد
مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع
اهل جنتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك لما وصف عباده
وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم
الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاولئك
وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر
رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم
عنده انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم
يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئاً يبالى به
والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب
وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم
يعني انكم لا تستأهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم
وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح
همومي ومما يكون عبئاً عليّ كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت
به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي
اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان يكون ما نافية فقد كذبتم

يقول إذا علمتكم أن حكمي أني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم
بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره
في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه إن من عادتي أن
أحسن إلى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى
ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا
دعاؤه إياكم إلى الإسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم
معه آلهة فإن قلت إلى من يتوجه هذا الخطاب قلت إلى الناس
على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون
فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب
الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل
يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى
اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير
منطوق به بعد ما علم أنه مما توعد به لأجل الإبهام وتناول
ما لا تكتنهه الوصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة
آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب سورة الشعراء
مكية إلا قوله والشعراء إلى آخر السورة وهي مائتان
وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

أي يموت على الإسلام
خط مولانا رحمه الله

طسم بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها الكتاب المبين
الظاهر إعجازه وصحة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن
والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب
المبين البخع أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار
وذلك أقصى حد الذبح ولعل للإشفاق يعني أشفق على نفسك أن
تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك أن لا يكونوا مؤمنين
لئلا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة باخع
نفسك على الإضافة أراد آية ملجئة إلى الإيمان قاسرة عليه فظلت
معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لأنه لو قيل أنزلنا لكان صحيحا
ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق وقد قرئ لو شئنا لأنزلنا
وقرئ فتظل أعناقهم فإن قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الأعناق
قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان
موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقولهم ذهبت أهل اليمامة
كأن الأهل غير مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء
قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم
ومقدموهم شبهوا بالأعناق كما قيل لهم الرؤوس والنواصي والصدور
قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس
يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم
لها خاضعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية فينا

في بني امية قال سيكون لنا عليهم الدوله فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسيأتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامه ما الشي الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وباسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في ذلك لآية ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل

كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت ما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا فيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال آيات قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لآية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبق لهذا الوجه نظائر سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة

نافعة وضارة
نسخة الصغاني

ظلمهم انفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل
باستعبادهم وقرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني
فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة فان قلت
بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه عز وجل
ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام
من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب
وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا
من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت
همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون على الخطاب
فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار
والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه
والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه
قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول
له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان قلت فما فائدة هذا الالتفات
والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت
اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم
في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه
وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى
وكم من اية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين
تدبرا

تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي الا تتقون بالياء وكسر النون وجه آخر
وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا ويضيق
وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما
على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلاث
علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان
والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة فان قلت
في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان
وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك
كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف
بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان
زائدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت
بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك
هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق
اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها
ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع
حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة
الالسنة وبسطة المقال وهارون كان بتلك الصفة فاراد
ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هارون هو افصح
مني لسانا ومعنى فارسل الى هارون ارسل اليه جبرئيل عليه

واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد
بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال
فارسل الى هارون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله
في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم
الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي
القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على
ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات
الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما
فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يأمره الله
بامر فلا يتقبله بسمع ولا طاعة من غير توقف وتشبث بعلل
وقد علم ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه
التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره
وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه بعد ذلك
وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف
في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على
التقبل لا على التعلل اراد بالذنب قتله القبطي كان خباز فرعون
واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل
فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا
كما سمى جزاء السيئة سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك
الثلاث

الاستنباء الاستنبار خبر خواستن

وقيل

الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه
الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق
من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل
عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة في الدفع
جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه
بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه المؤازرة
باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته
وهو هارون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا
قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى
عما تظن فاذهب انت وهارون وقوله انا معكم مستمعون
من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه
اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر
شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون
مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت
مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى
يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف
بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع
من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي
الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ويقال

بدل
كالناصر معه

يعني الاستماع سبب للسمع كما ان النظر سبب الرؤية والله تعالى منزه عن الاستماع والنظر

استمع الحديث وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلم من استمع حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم **فان قلت** هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله انا رسولا ربك **قلت** الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكمهما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما

سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك حذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقتل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وجل عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون

الشعبي صح

والإلهية أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة
يعبدونها يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ وإلاهتك
فأجابه موسى صلوات الله عليه بأن تلك الفعلة إنما فرطت منه
وهو من الضالين أي الجاهلين وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه
من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل
والسفه كما قال يوسف لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف
وأخيه إذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد
للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله أن تضل
إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب فرعون ودفع الوصف
بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع
الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على
امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله واستأصله من سنخه
وأبى أن يسمي نعمته إلا نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه
تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب
في حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت
وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته
إذا اتخذته عبدا قال علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم
أباعر ما شاءوا وعبدان فإن قلت إذن جواب وجزاء معا
والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون

[في الهامش: والمعنى من الفاعلين صح]

[في الهامش: أباعر جمع بعير جمع بعير]

وفعلت فعلتك فيه معنى إنك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له
موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لأن نعمته كانت عنده
جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء فإن قلت لم جمع الضمير
في منكم وخفتكم مع إفراده في تمنها وعبدت قلت الخوف
والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين
بقتله بدليل قوله إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان
فمنه وحده وكذلك التعبيد فإن قلت تلك إشارة إلى ماذا
وأن عبدت ما محلها من الإعراب قلت تلك إشارة إلى
خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي إلا بتفسيرها ومحل أن عبدت
الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا إليه ذلك
الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني إسرائيل
نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع
نصب المعنى إنما صارت نعمة علي لأن عبدت بني إسرائيل
أي لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم لما قال له بوابه
إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله
وما رب العالمين يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال
لا يخلو إما أن يريد به أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت
وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله
الخاصة ليعرفه أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام

[في الهامش: التي صح]

[أسفل الصفحة: ليس صح]

والاعراض وانه شئ مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شئ
واما ان يريد به اى شئ هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته
الخاصة ما هى فاجابه بان الذى اليه سبيل وهو الكافى فى معرفته
معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك
واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التى هى فوق فطر العقول
فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب
للحق والذى يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون
سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه
الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه
حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى
قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير اخر احتد
واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيرى وهذا يدل على صحة
هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما بينهما على
التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت اريد وما بين الجنسين
فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال فى الهيجا جمالين فان قلت
ما معنى قوله ان كنتم موقنين واين عن فرعون وملائه
الايقان قلت معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى
اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم
موقنين بشئ قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله

فان

التعنت طالبة

فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا
خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر
السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى
ذكرهم وذكر ابائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم
اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم واباءهم لان اقرب المنظور
فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل
على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت
ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع
الشمس من احد الخافقين وغروبها فى الاخر على تقدير مستقيم
فى فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به و
لظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء
والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذى كفر وقرئ رب المشارق
والمغارب الذى ارسل اليكم بفتح الهمزة فان قلت كيف قال
اولا ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا
فلما راى منهم شدة الشكيمة فى العناد وقلة الاصغاء الى عرض
الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون
فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين
ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان
معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته

من الكبير

أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة
العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل و
الواو في قوله أولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام
معناه أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين أي جائياً بالمعجزة وفي قوله
إن كنت من الصادقين أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه
لأن المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب
ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من أهل
القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين
بالمعجزات وتقديره إن كنت من الصادقين في دعواك أتيت به
فحذف الجزاء لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه ثعبان مبين ظاهر
الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة
بالشعوذة والسحر وروي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء
قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول
يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك
إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا للناظرين دليل على أن
بياضها كان شيئاً يجمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة
وكان بياضاً نورانياً روي أن فرعون لما أبصر الآية الأولى
قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها
فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد

الأفق

الأفق فإن قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين
نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر
في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال
ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري في أي طرفيه هو
حتى زل عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية
وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفاً وفرقاً وبلغت به الاستكانة
لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أن طفق يؤامرهم
ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه وأحس به من جهة موسى
وغلبته على ملكه وأرضه وقوله إن هذا لساحر عليم قول
باهت إذا غلب ومتمحل إذا لزم تأمرون من المؤامرة وهي
المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي جعل العبيد آمرين
وربهم مأمورين لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة
وماذا منصوب إما لكونه في معنى المصدر وإما لأنه مفعول به
من قوله أمرتك الخير قرئ أرجئه وأرجه بالهمز والتخفيف
وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة
وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم
مرجون لأمر الله والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة
وقيل احبسه حاشرين شرطاً يحشرون السحرة وعارضوا
قوله إن هذا لساحر عليم بقولهم بكل سحار فجاؤوا بكلمة الإحاطة

التمحل حيلت كردن

وصفه المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ
الاعمش بكل ساحر اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت
الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام من يوم
الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى
والميقات ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت
الاحرام هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه
استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق
اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان
الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تابط شرا هل
انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق
يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة اي في
دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس
غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى
فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا
متبعين لموسى عليه السلام وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان
قوله ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله
وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت
اذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم
ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به

لناهم

موسى القربة عنده والزلفى فاقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان
الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام
الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله
والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله
وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم
ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا
بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب
في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد
منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم
يعتد بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم
جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف ما يأفكون ما يقلبونه
عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون
في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين
او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة روي انهم قالوا ان يك
ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان يك من عند الله فلن يخفى
علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما افكوا علموا انه من الله فآمنوا
وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور
بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة
وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا

أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا
طرحاً فإن قلت فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله
عز وجل بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزة
الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلاً لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا
رب موسى وهارون عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون
لعنه الله كان يدعي الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى إضافته
إليهما في ذلك المقام أنه الذي يدعو إليه هذان والذي أجرى
على أيديهما ما أجرى فلسوف تعلمون أي وبال ما فعلتم الضر والضير
والضور واحد أرادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما
يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع
الأعواض الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل إنه لا بد لنا
من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها
أو لا ضير علينا في قتلك إنك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع
في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان وخبر لا محذوف
والمعنى لا ضير في ذلك أو علينا. أن كنا معناه لأن كنا وكانوا أول جماعة
مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد
وقرئ إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بأمره
المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره
قول العامل لمن يؤخر جعله إن كنت عملت لك فوفني حقي
ومنه

ومنه قوله عز وجل إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي
مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك قرئ أن أسر بقطع الهمزة ووصلها
وسر إنكم متبعون علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده
آثارهم والمعنى أني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا
ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه
عليهم فأهلكهم روي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم
ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي أن الله
أوحى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت
ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر الملائكة
أن لا يدخلوا بيتاً على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط
واخبزوا خبزاً فطيراً فإنه أسرع لكم ثم أسر
بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيك أمري فأرسل فرعون في أثره
ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج
فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف [illegible]
كل رجل على حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى
وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً وسماهم شرذمة قليلين
إن هؤلاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة
ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعاً ذكرهم بالاسم
الدال على القلة ثم جعلهم قليلاً بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب

منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل
على أقلة وقلل ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة
العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم
ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا
التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج
سارعنا إلى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن
لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون
وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد
حذره وقيل المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا
لنفسه والحادر السمين القوي قال أحب الصبي السوء من أجل أمه
وأبغضه من بغضها وهو حادر أراد أنهم أقوياء أشداء
وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم
وعن مجاهد سماها كنوزا لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله
والمقام الكريم المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك
المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل ثلاثة أوجه النصب
على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا والجر على أنه
وصف لمقام أي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع
على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك فأتبعوهم فلحقوهم
وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق

من

من شرقت الشمس شروقا إذا طلعت سيهلكني طرائق الغواة
من أدركهم وأضلهم وقرئ فلما تراءت الفئتان إنا لمدركون
بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء إذا تتابع ففني
ومنه قوله تعالى بل ادرك علمهم في الآخرة قال الحسن
جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة أبعد بني أمي
الذين تتابعوا أرجي الحياة أم من الموت أجزع والمعنى
إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد الفرق
الجزء المتفرق وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم
المنطاد في السماء وأزلفنا ثم حيث انفلق البحر الآخرين
قوم فرعون أي قربناهم من بني إسرائيل أو أدنينا بعضهم
من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد أو قدمناهم إلى البحر
وقرئ وأزلقنا بالقاف أي أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا
عزهم كقوله تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان
إذ زلت بأقدامها النعل ويحتمل أن جعل الله طريقهم في البحر
على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن
السائب أن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون
فكان يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل
القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى إلى البحر
قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت

أبعد لفظه لفظ الاستفهام والمعنى معنى التوجع

العبس القبيلة وذبيان ايضا القبيلة

باولكم مطلع

١٨١

فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال الهرب بالعد
ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك
البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق
وروى ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا
فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء
وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى قال
عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن
بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر
من وراء مصر يقال له إساف ان في ذلك لآية اي آية وآية لا توصف
وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم
ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى عليه
المخصوصين بالانجاء قد سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل
وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه
الرحيم باوليائه كان ابراهيم صلوات الله عليه يعلم انهم
عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس
من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت
تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال
فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان
القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون

قل

قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
قلت هؤلاء قد جاؤوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين
فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم
من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد
فنظل لها ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول
لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول ألبس البرد الاتحمي فاجر ذيله
بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار
دون الليل لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه
هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يسمعونكم اي هل يسمعونكم
الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع
ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال
الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط
وهذا ابلغ في التبكيت لما اجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم
رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين
الاولين منكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة
والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام
الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى
اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسألة

في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة
للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها
نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا
ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه
ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال
فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض
وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه
فربما قاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رحمه الله ان رجلا
واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع
رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق
يجيئان في معنى الوحدة والجماعة وقال وقوم علي ذوي مئرة اراهم
عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر
للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين
استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين الذي فهو يهدين يريد انه
حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي
لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي
بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة
والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات
المعاش في المعاد والمعاش مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب

المرض

يحدث

يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك
ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا
التخم وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان
الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي
الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست خطايا يطلب
لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي
تكفر فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان
تغفر له قلت الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء تواضع
منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم
القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي
والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قلت لم علق
مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا قلت لان اثرها
يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم الحكم الحكمة او الحكم
بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة او ذو حكم
بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به
في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه
في الآخرة لمن الصالحين والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية
وهي الحياء وهذا ايضا من استغفارهم مما علموا انه مغفور يوم يبعثون

صح

نحوه

ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم الا من اتى الله
الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب
وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال
وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين
عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت
الكلام على المعنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله
بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله
وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير
المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي
من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا
ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل
للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال
ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله
ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز
على الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين
ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي
ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص
ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له

وجعلت المال والبنين في معنى الغنى صح

بدل ينفعان

في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير
تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي
سلم وسلّم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتب ابراهيم عليه السلام
كلامه مع المشركين حين سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم
ثم انحى على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر
ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان
يكون شبهة فضلا من ان يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم
حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وجل فعظم شانه وعدد نعمته
من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته
ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال
الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما
يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه
من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا الجنة
تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون
بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء
بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى
وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين
كفروا يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم
فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم

هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم
وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اى الآلهة والغاوون
وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير
في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه اذا ألقي في جهنم ينكب
مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار
وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن
يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم
ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين
الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين
اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول
من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما نرى
المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق حميم كما نرى لهم
اصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار
فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون
في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين
الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والا

والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم
من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو
الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة
وهو الصديق الخاص فان قلت لم جمع الشافع ووحد
الصديق قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق
الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة
وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم تسبق له
باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي
يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل
عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق
الجمع الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني
كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي
في التقدير ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا
كيت وكيت القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله
المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب
ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان
منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت
الحماسة لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش

الانوق على فعول طائر وهو الرخم
في المثل اعز من بيض الانوق لانها
تحرزه فلا يكاد يظفر بها لان اوكارها
في رؤوس الجبال والاماكن الصعبة
البعيدة وهي تحمق مع ذلك صحاح

فليت صح

وأطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق عليه على هذا الامر
وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون
فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق
كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني
حسم طمعه عنهم وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد
او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها
قد في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله
هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم
لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات
الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت
قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع
الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم الا ترى الى هرقل
حين سأل ابا سفيان عن اصحاب رسول الله فلما قال ضعفاء الناس
واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه
هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة
وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه
على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم
في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة
كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم اراذلنا بادي الراي ويجوز ان يتغابى

العوغاء الجراد الصغير وبه سمي سفلة الناس

لهم

لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم بالارذلين بما هو الرذالة عنده
من سوء الاعمال وفساد العقيدة ولا يلتفت الى ما هو الرذالة
عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر
دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل
سيئ فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز
لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث
سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا
وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب
نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شاني ان اتبع
شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم
طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح
الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم ليس هذا اخبارا
بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد
اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وانما ادعوك لاجلك
ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني
وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق
كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات الفلك السفينة جمعه
فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن
قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا

العقائد

ان قومي كذبون

على فعل لأنها أخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد وقالوا أسد وأسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشهور أن الهجان يقال للمذكر والمؤنث والواحد والجمع قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في صفة الظعن في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كأنه سحل ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقهم أعلاما طوالا فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف أبي كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا وإذا بطشتم بسوط أو سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال أمدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى

وعند

وتحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد فإن قلت كيف قرن البنين بالأنعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها فإن قلت أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه وهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ من قرأ خلق الأولين بالفتح فمعناه أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الأولين ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه أتتركون يجوز أن يكون إنكارا لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله إياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الأمن والدعة فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل فإن قلت لم قال ونخل بعد قوله وجنات والجنة تتناول النخل أول شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى إنهم ليذكرون الجنة

أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلق الأولين نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا

ولا يقصدون إلا الغيلة كما يذكرون النعم ولا يريدون الإبل قال زهير
تسقي جذة سحقا **قلت** فيه وجهان أن يخص النخل بإفراده
بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله
عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لأن اللفظ يصلح لذلك
ثم يعطف عليها النخل الطلعة وهي التي تطلع من النخلة كنصل
السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع
كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم
كشح هضيم وطلع إناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل
جفاء وكذلك طلع البرني ألطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله
في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لأن الإناث ولادة التمر
والبرني أجود التمر وأطيبه ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت
جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت
الحمل الكثير وإذا كثر الحمل هضم وإذا قل جاء فاخرا وقيل
الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره وقرئ
الحسن وينحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة
الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الأمر
وارتسامه كما عنا أمر المطاع أو جعل الأمر مطاعا على المجاز
الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي إمرة مطاعة وقوله
تعالى ولا تطيعوا أمري **فإن قلت** ما فائدة قوله ولا يصلحون

النحل

قلت فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء
من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح
المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر
الرئة وأنه بشر الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت
للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي أنهم قالوا نريد
ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر
فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت
الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن أبي موسى
رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعا وعن قتادة إذا كان يوم
شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم معلوم لا تشرب
فيه الماء لا تمسوها بسوء بضرب أو عقر أو غير ذلك عظم اليوم لحلول
العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت
إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد روي أن مسطعا
ألجأها إلى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت
ثم ضربها قدار وروي أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا
أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين
فتقول نعم وكذلك صبيانهم **فإن قلت** لم أخذهم العذاب وقد ندموا
قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على
العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الأمور رأيا فاسدا ويبني عليه

من بين ولد آدم ... على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتكم او اتاتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء ان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما تكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة ومن القالين ابلغ من ان يقول

بان صح

انی

اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة **فان قلت** فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا **قلت** معناه انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرضة والراضي بالمعصية في حكم العاصي **فان قلت** كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلبت لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم **قلت** الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان **فان قلت** في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم **قلت** معناه الا عجوزا مقدرا غبورها والمعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه

اي كيف يكون الكافر من اهل الانبياء كيف يصح الاستثناء من الاهل وهو ليست باهل

اي كانت وقت التنجية حتى يكون من الغابرين اي الهالك ... في الاهلاك وهذا يقتضي ان لا يكون باقي

هم الذين ... القوم وليسوا من ... بلدهم

مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما
باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم قرئ
اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه
ومن قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم فتوهم قاد اليه
خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص
بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح
وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب
النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت
في سايرها على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم
لا يعرف وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف
وكان شجرهم الدوم **فان قلت** هلا قيل اخوهم شعيب
كما في ساير المواضع **قلت** قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة
وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة
الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزايد فامر بالواجب
الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزايد
وكانه تركه عن الامر والنهي دليل انه ان فعله فقد احسن وان لم
يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو
الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل
وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي

وقيل

بلد صح

في سورة ص

الدوم شجر المقل

وقيل هو بالرومية العدل تعالى تبخسوا حقه اذا نقصته اياه
ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم
وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه
الا باذنه تصرفا شرعيا تقول عثى في الارض وعثى وعاث وذلك
نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون
ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك وقرئ الجبلة
بوزن الابلة والخلقة ومعناهم واهل الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين
فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة
ثمود **قلت** اذا ادخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف
للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان
يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد
الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم **فان قلت**
ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني
مفعوليه **قلت** اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك
ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت
من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد
لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا وقرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما
جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع
والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب لعله اظله

اي لا يظلم

وهو صح

وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا اخر فاليه الحكم والمشية فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة واخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها

ولا

الومد والوهد حر الهواء والكرب الذي يأخذ الانفاس الومد يسمى [illegible]

وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والايات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد عليهم السلم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير

عن صح

تكلم باللغة وان كان غير عارف بها كما ينطق اقوام في الفاظ لا يعرفون معانيها
فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه وانه لفي
القران يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماويه وقيل ان معانيه
فيها وبه يحتج لابي حنيفه رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية في
الصلوة على ان القران قران اذا ترجم بغير العربيه حيث قيل
وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح وقرئ يكن بالتذكير
وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث
وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة
اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل
في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على
هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا عن آية ويجوز
مع نصب الآية تانيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
ومنه بيت لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها
وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره
قال الله تعالى واذا تتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا
من قبله مسلمين فان قلت كيف خط في المصحف علمؤا بواو
قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى
هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذي لا يفصح

ومن

وفي لسانه عجمة والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد
وقرا الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا
يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين
وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد
ولا عربيا شاقه صوت اعجما سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى
انا انزلنا هذا القران على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به
وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم
الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله
وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح
بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به
وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق
محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن
العربيه فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا فصيحا
معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه
سحرا ثم قال كذلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه
فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له
وضعناه فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم
فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده كما قال ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا

سحر مبين فإن قلت كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته
قلت أراد به الدلالة على تمكنه مكذباً في قلوبهم أشد التمكن
وأثبته فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم هو مجبول
على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور الخلقية أثبت من العارضة
والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به
فإن قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين
قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لأنه مسوق لثباته مكذباً
مجحوداً في قلوبهم فأتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به
وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالاً أي سلكناه فيها غير
مؤمن به وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك
وفي حرف أبي ويروه بغتة فإن قلت ما معنى التعقيب في قوله
فيأتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب
ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الشدة
كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد
منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك
أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك لا
تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين
وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب
الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم

الموضح والملخص

فجاءة اي بغتة وهو الساعة

صح

اي العظة

يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه أفبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم
بإنكاره وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب
يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفة عين
فلا يجاب إليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم
يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر
متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه
غير كائن ولا لاحقهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن
فقال عز وعلا أفبعذابنا يستعجلون أشراً وبطراً واستهزاءً واتكالاً
على الأمل الطويل ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم
فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم
وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف
فكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال
ميمون لقد وعظت فأبلغت وقرئ بالتخفيف منذرون رسل
ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة إما لأن أنذر وذكر متقاربان
فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإما لأنها حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم
ذوي تذكرة وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل
الموعظة والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى
هذه ذكرى والجملة اعتراضية بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا
ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها ووجه آخر وهو أن يكون

يمتعون صح

او صفة صح

ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين
الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة
وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما
غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت
الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة
لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله
سبعة وثامنهم كلبهم كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس
ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل
للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع
كلام اهل السماء وقرا الحسن الشياطون ووجهه انه راى
آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على
النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون
كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرين ويبرون وفلسطين
وفلسطون وحقه ان تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له
الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها النون
التي على هجاءين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج
ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع
مع انا نعلم انهما لم يقرا به الا وقد سمعا فيه فنعلم ان ذلك الكثير

ولكنه

ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف
لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك
مما انزلنا اليك فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب
من قومه ويبدا في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم
انذارهم على انذار غيرهم كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه لما
دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما
اضعه ربا العباس والثاني ان يؤمر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب
من العطف والرافة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي انه
صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال
يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس
عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيئا
سلوني من مالي ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم
يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس
على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم
انذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل
خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف
افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة
بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية
[illegible]

اي شبعوا من طعام قليل وذلك من معجز النبي صلى الله عليه وسلم

بنت عمة محمد اشتريا انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا الطاير
اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان
ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط
مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم وانت الشهير
بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا ينهاه عن الكبر بعد التواضع
فان قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم
هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت
فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم
ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف
صدق واتبع رسول الله فيما جا به وصنف ما وجد منه الا التصديق
فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق
لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم
يعني انذر قومك فاذا اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك
فان عصوك ولم يتبعوك فتبرا منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله
وغيره وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم
والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه
وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو
معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سال غيره
خلاصه لم يخرج عن حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به

من

اي لا تكن في رفعه ... (margin note, partly legible)

ثم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول (margin note)

عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل
وبه قرا نافع وابن عامر وله محملان في العطف ان يعطف على فقل
او فلا تدع على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك
عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة
وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه
في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث
لا يشعرون ويستبطن سر امرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون
لاخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت
اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم
من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير
لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين
المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة
وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده
وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سال ابا حنيفة رحمه الله هل
تجد الصلوة في الجماعة في القران فقال لا يحضرني فتلا له هذه الاية
ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين
في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله
وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله صلى الله عليه
وسلم اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري اذا ركعتم

طاف صح

يتقبل صح

وسجع وقرئ يتقبل كل أفاك أثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح
ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم
يسمعون إلى الملأ الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه
من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم من أولئك وأكثرهم كاذبون
فيما يوحون به إليهم لأنهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع
أي المسموع من الملائكة وقيل الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين
فيتلقون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس
وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم وترى
أكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها
في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب فإن قلت
كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له
صدر الكلام ألا ترى إلى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد
مررت قلت ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين
معا معنى الاسم ومعنى الحرف وإنما معناه أن الأصل أمن فحذف
حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل
والأصل أهل قال أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم فإذا
أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك
كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت
فإن قلت يلقون ما محله قلت يجوز أن يكون في محل النصب

قبل صح

يسمعونهم ما لم صح

دخل صح

على الحال أي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل أفاك لأنه
في معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن قائلا قال لم تنزل
على الأفاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فإن قلت كيف
قيل وأكثرهم كاذبون بعد ما قضي عليهم أن كل واحد منهم أفاك
قلت الأفاكون هم الذين يكثرون الإفك ولا يدل ذلك على أنهم
لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق
منهم فيما يحكي عن الجني وأكثرهم مفتر عليه فإن قلت وإنه
لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من
تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات قلت أريد التفريق
بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع إلى المجيء بهن وتطرية ذكر
ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذي نزلن فيه من المعاني
التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث
وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره
ولا ينفك عن الرجوع إليه والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره
ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه
من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسيب بالحرم
والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ويستحسن ذلك منهم
ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل
الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش

عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن
عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا
نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب
من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرا عيسى بن عمر
الشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد
كان الغالب عليه حب النصب قرا حمالة الحطب والسارق
والسارقة وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم
بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه
تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم
بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس
على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البرية ويفسقوا
التقي وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن
بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب
عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درا الله عني الحد بقوله
وانهم يقولون ما لا يفعلون استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين
الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القران وكان ذلك اغلب عليهم
من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه
والحكمة والموعظة والزهد والاداب الحسنة ومدح رسول الله
والصحابة وصلحاء الامة وما لا باس به من المعاني التي لا يتلطخون

منها

بدر الجمحي

فيها بذنب ولا يتلبسون بشائبة ولا منقصة وكان هجاؤهم على
سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو
جواب لقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وعن عمرو بن عبيد رحمه الله ان رجلا من العلوية قال له ان صدري
ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان
الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام
وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت
والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب
بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم
فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان
قل وروح القدس معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء
اهيب ولا انكى لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين
وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين
ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها
ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح
يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظالم بالكافر تعليل
ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس

أي منقلب ينقلبون ومعناها أن الذين ظلموا يطمعون أن
ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه
الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين
عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له
من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به
وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم السلام

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون آية وقيل أربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طس قرئ بالتفخيم والإمالة تلك إشارة إلى آيات السورة
والكتاب المبين إما اللوح وإبانته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن
فهو يبينه للناظرين فيه إبانة وإما السورة وإما القرآن وإبانتهما أنهما يبينان
ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف
وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم
لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه فإن قلت
لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون أفخم كقوله تعالى
في مقعد صدق عند مليك مقتدر فإن قلت ما وجه عطفه على
القرآن إذا أريد به القرآن قلت كما يعطف إحدى الصفتين
على الأخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لأن القرآن

المنزل

المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة
بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك تلك آيات كتاب مبين
وقرأ ابن أبي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فإن قلت ما الفرق
بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت
لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم
والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه
جانب على جانب وضرب فيه يترجح الأول نحو قوله وقولوا
حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني
نحو قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم
هدى وبشرى في محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هادية
ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة والرفع على ثلثة
أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن
يكون خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى
والمعنى في كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة في هداهم قال الله تعالى
فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا فإن قلت وهم بالآخرة هم
يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل أن يكون من جملة صلة
الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه
قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلوة

وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه
عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها
وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان
والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق فإن قلت
كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله
وزين لهم الشيطان أعمالهم قلت بين الإسنادين فرق وذلك أن
إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله مجاز وله طريقان
في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة
والثاني أن يكون من المجاز الحكمي فالطريق الأول أنه لما متعهم بطول
العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه
إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه
ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة
فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه أشارت الملائكة في قولهم ولكن
متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن إمهاله الشيطان
وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه لأن المجاز
الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي أعمال الخير التي وجب
عليهم أن يعملوها زينها الله لهم فعمهوا عنها وضلوا ويعزى إلى
الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق
وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال

رايت

رأيت الناس عمهين أراد مترددين في أعمالهم وأشغالهم سوء العذاب
القتل والأسر يوم بدر والأخسرون أشد الناس خسرانا
لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع
خسران النجاة وثواب الله لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند أي
حكيم وأي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما
يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته
ودقائق علمه إذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على أثر ذلك
خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم
روي أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله
عنها بالأهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله
امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب
إلى القبس لأنه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس
بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق
لأنه كان قد ضله فإن قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها
بخبر كالمتدافعين لأن أحدهما ترج والآخر تيقن قلت قد يقول
الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة
فإن قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لأهله أنه
يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة فإن قلت فلم جاء
بأو دون الواو قلت بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه

جميعا

بدل مجيئهما

جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة
بسنة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده عز الدنيا وعز الآخرة
ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك
فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي
بانه بورك والضمير ضمير الشان قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت
فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في
النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها
البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله
تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة وتدل
عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار
والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر
ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه واظهار المعجزات
عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك
الخير في اقاصيها ويبث آثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك
الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم
موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان
في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد
جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك

وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة

ان صح

ضمير صح

فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم
احياء وامواتا فان قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى
بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر
منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله تعجيب لموسى من ذلك
وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان
الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون الهاء في انه يجوز ان يكون
ضمير الشان والشان انا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر
وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان
لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره
على يده افعله بحكمة وتدبير فان قلت علام عطف قوله والق
عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق
عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له
الق عصاك والدليل على ذلك قوله عز من قائل وان الق عصاك بعد
قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك
ان حج واعتمر وان شئت ان حج واعتمر وقرأ الحسن جأن على لغة
من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة
عمرو بن عبيد ولا الضألين لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل
اذا كر بعد الفرار قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا
يوم الكريهة منزلا وانما رعب لظنه ان ذلك الامر اريد به ويدل عليه

ان الشان انا الله
مطلب

من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله

الا لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل
كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم
اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس
وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى وهو من التعريضات
التي يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي
فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ
الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا
في تسع آيات كلام مستانف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى
اذهب في تسع آيات الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام فقال
منهم فريق نحسد الانس الطعاما ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك
وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل
ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا
والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم المبصرة
الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لانهم لا
بسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة
الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار فرعون
وملائه لقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر فتهدي
لان العمى لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم

كلمة

مع عليه السلام بوكزه القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى صلى الله عليه وسلم صح

الانس

كلمة عوراء وكلمة عيناء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي
ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن
الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه
التبصر الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو
الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا
وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون
وقرئ علياً بالضم والكسر كما قرئ عتيا وفائدة ذكر الانفس انهم
جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان
ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش
من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات بينة واضحة جاءت من عند
الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه علما طائفة
من العلم او علما سنيا غزيرا فان قلت اليس هذا موضع
الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر
قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما
احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف
عليه التحميد كانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا
حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير
المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه

انما فضّلا على كثيرٍ وفُضّل عليهما كثيرٌ وفي الآية دليل على شرف العلم
وإنافة محلّه وتقدّم حملته واهله وانّ نعمة العلم من اجلّ النعم
واجزل القسم وانّ من اوتيه فقد اوتي فضلاً على كثير من عباد الله
كما قال والذين اوتوا العلم درجاتٍ وما سمّاهم رسول الله ورثة
الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوّام بما بُعثوا
من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها
ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير
بالتواضع وان يعتقد العالم انه ان فُضّل على كثير فقد فُضّل عليه
مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس افقه من عمر وورث منه النبوّة
والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر
تعبّدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله قال يا ايها الناس تشهيرا
لنعمة الله تعالى وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاءً للناس الى التصديق
بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم
الامور والمنطق كل ما يصوّت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير
المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح
فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل
صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علّمه سليمان من منطق
الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى
انه مرّ على بلبلٍ في شجرة يحرّك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون

ما يقول

ونبيه

ما يقول قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة
فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول
ليت ذا الخلق لم يُخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين
تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله ايها المذنبون
وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بالٍ وصاح
خطّاف فقال يقول قدّموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة
فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح
قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأ يقول
كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء
تقول ويل لمن الدنيا همّه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون
والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب
يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي
القدوس واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول
فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصّاده ورجوعه
الى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله واوتيت من كل شيء
ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر
اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علّمنا واوتينا
وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه

الببغاء طوطي بالتشديد مقصور وبالتخفيف ممدود

وإياه والتاكيد لأن هذا النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان
سليمان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان
عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد تتعلق بتجمل الملك وتفخيمه
وإظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك إذا وفد عليه
وفد واحتاج أن يرجح في عين عدوه ألا ترى كيف أمر العباس
بأن يحبس أبا سفيان حتى تمر عليه الكتائب وروي أن معسكره
كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وعشرون
للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش
وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وإبريسم
فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب
وفضة فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة
فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة
وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير
بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط
فتسير به مسيرة الشهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف
تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء
والأرض إني قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح

في سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما
فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت إليك لئلا
تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتي
آل داود يوزعون يحبس أولهم على آخرهم أي توقف سلاف العسكر
حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة
العظيمة قيل هو واد بالشام كثير النمل فإن قلت لم عدي أتوا
بعلى قلت يتوجه على معنيين أحدهما أن إتيانهم كان من فوق فأتى
بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب ولشد ما قربت عليك الأنجم
لما كان قربا من فوق والثاني أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم
أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع
الوادي لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ
نملة يا أيها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الأصل النمل بوزن
الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع
قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها النمل الآية
فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة
أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة
رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت
ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين
عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا

اقله
فلتشبقا ما وردت قدرك حاسد

من تكاوس البعير إذا مشى
على ثلاث قوائم صحاح

لغلّاب والغلبة وذلك لأنّ النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميّز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي وقرئ مسكنكم
لا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطّمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في أولي
العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم فإن قلت لا يحطمنكم
ما هو قلت يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون نهيا بدلا من الأمر
والذي جوّز أن يكون بدلا منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم
على طريقة لا أرينّك ههنا أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما
هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومعنى فتبسم ضاحكا
تبسّم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني أنه قد تجاوز حدّ التبسّم
إلى الضحك وكذلك ضحك الأنبياء وأما ما روي أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد
منه من الضحك النبوي وإلا فبدوّ النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند
الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا فإن قلت ما أضحكه
من قولها قلت شيئان إعجابه بما دلّ من قولها على ظهور رحمته
ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى
وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره
بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من إدراكه بسمعه ما همس به بعض
الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن إحاطته بمعناه ولذلك

ومن حقها أن يقول إشفاق نفسي وإنما جاء بذلك للمبالغة

الحكل الذي لا يسمع له صوت من الحيوان

اشتمل

اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك وعلى
استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة أوزعني اجعلني
أزع شكر نعمتك عندي وأكفّه وأرتبطه لا ينفلت عني حتى لا
أنفكّ شاكرا لك وإنما أدرج ذكر والديه لأن النعمة على الولد
نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة إلى الدين فإنه
إذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين
لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي أن النملة
أحسّت بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان الريح
فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى
أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من أهل الجنة أم هي
المنقطعة نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالي لا أراه على
معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له
أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل
عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم إنها لإبل أم شاء وذكر من قصة
الهدهد أن سليمان حين تمّ له بناء بيت المقدس تجهّز للحج بحشره
فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرّب كل يوم طول مقامه
بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة
ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا
فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء

أعينهم خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد
قناقنه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى في الزجاجة فتجيء
الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون الماء ففقده
لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه
فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك
بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف
وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت
نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد
خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده
علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت
فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله عز وجل وقال بحق الله الذي قواك
وأقدرك علي إلا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك أمك إن نبي الله
قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى أو ليأتيني بعذر
مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على
الأرض تواضعا له فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه فقال
يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه
ثم سأله تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله ليعتبر به أبناء جنسه
وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه
وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله

وقيل

وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين إلفه وقيل
لألزمنه صحبة الأضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة
الأضداد وقيل لألزمنه خدمة أقرانه **فإن قلت** من أين
حل له تعذيب الهدهد **قلت** يجوز أن يبيح الله له ذلك لما رأى
فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل
وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من أجله إلا
بالتأديب والسياسة جاز أن يباح له ما يستصلح به وقرئ
ليأتيني وليأتين والسلطان الحجة والعذر **فإن قلت** قد حلف
على أحد ثلاثة أشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه
على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول والله
ليأتيني بسلطان مبين **قلت** لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي
هو الحلف آل كلامه إلى قولك ليكونن أحد الأمور يعني إن كان
الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما
وليس في هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعل
وحي من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله أو ليأتيني
بسلطان مبين عن دراية وإيقان فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها
غير بعيد غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة
للدلالة على إسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له
ولبيان ما أعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل

أو كان أحدهما واقعا

أحطت بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق ألهم الله الهدهد
فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة
والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على أن في أدنى خلقه
وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر
إليه علمه ويكون لطفا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها
فتنة والإحاطة بالشيء علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم
قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة إن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا
يكون في زمانه أحد أعلم منه سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي
بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالألف كقولهم ذهبوا أيدي سبا
وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم
يصرف ومن جعله اسما للحي أو الأب الأكبر صرف قال من سبأ الحاضرين
مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما وقال الواردون
وتيم في ذرى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة
مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أد
ويحتمل أن يراد المدينة والقوم والنبأ الخبر الذي له شأن وقوله
من سبأ بنبأ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن
الكلام التي تتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعا أو يصنعه عالم
بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء هاهنا زائدا
على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبأ
بخبر

السباء
معافر صح

بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها
وصف الحال المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها
وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت
هي وقومها مجوسا يسجدون للشمس والضمير في تملكهم راجع إلى سبأ
فإن أريد به القوم فالأمر ظاهر وإن أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها
وقيل في وصف عرشها كان ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين وكان
ثلاثين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكانت قوائمه
من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات
على كل بيت باب مغلق فإن قلت كيف استعظم عرشها مع
ما كان يرى من ملك سليمان قلت يجوز أن يستصغر حالها إلى حال
سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله
وإن عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون
للملك الذي يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله
ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد أمر عظيم أن وجدتها وقومها
يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة
وهي مسخ كتاب الله فإن قلت كيف قال وأوتيت من كل شيء مع قول
سليمان وأوتينا من كل شيء كأنه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لأن سليمان
عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع
أولا إلى ما أوتي من النبوة وأسباب الدين ثم إلى الملك وأسباب الدنيا

والحكمة صح

شرحبيل

النوكى بالضم الحمقى قال قيس بن الخطيم
وداء النوك ليس له دواء ...
أنوك ... لا مستوى

وعطف الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا
اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفي على
سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطته وبين بلدها قريبة وهي
مسيرة ثلث بين صنعاء ومارب قلت لعل الله عز وجل
اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب
فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود
له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت
لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان
المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها
ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخر له
الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرأ بالتشديد
اراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون
لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف
فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف
كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله
وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله
هلا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم
سركم وما تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما
مما خبأه عز وجل من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف

والخبا

والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار
ووجهها ان تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا
ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول
الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ تخفون وتعلنون
بالياء والتاء وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد
وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبء امارة على انه من كلام
الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام
من يخرج الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه
ولا يكاد تخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص
بصناعة او فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد
ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت اسجدة التلاوة
واجبة في القراءتين جميعا ام في احداهما قلت هي واجبة فيهما
جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن
تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق
ابو حنيفة والشافعي رحمهما الله على ان سجدات القرآن اربع عشرة
وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي حنيفة رحمه الله سجدة تلاوة
وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج
من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه
فان قلت هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم اذا خفف

ووقف على فهم لا يهتدون ثم ابتداء ألا يا اسجدوا وإن شاء وقف
على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وإذا شدد لم يقف إلا على العرش العظيم
فإن قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله
في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لأن وصف
عرشها بالعظم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك
ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق
من السموات والأرض وقرئ العظيم بالرفع سننظر من النظر
الذي هو التأمل والتصفح وأراد أصدقت أم كذبت إلا أن كنت
من الكاذبين أبلغ لأنه إذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين
كان كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به
تول عنهم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه
بمسمع منك ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم إلى بعض
القول فيقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة
فإن قلت لم قال فألقه إليهم على لفظ الجمع قلت لأنه قال
وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم
اهتماما منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتب
على لفظ الجمع لذلك كريم حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم
لأنه من عند ملك كريم أو مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه
وكان عليه السلام يكتب إلى العجم فقيل له إنهم لا يقبلون إلا كتابا
عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه
فقد استخف به وقيل مصدر

النمل

كأنه من سليمان

مصدر بسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما ألقي إليها
كأنها لما قالت إني ألقي إلي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو
فقالت إنه من سليمان وإنه كيف وكيت وقرأ عبد الله وإنه
من سليمان وإنه عطفا على إني وقرئ أنه من سليمان وأنه بالفتح
على أنه بدل من كتاب كأنه قيل ألقي إلي أنه من سليمان ويجوز أن تريد لأنه
من سليمان ولأنه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره
ببسم الله وقرأ أبي أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة
وأن في ألا تعلوا مفسرة أيضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك
وقرأ ابن عباس بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى
أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس
ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي
وأتوني مسلمين وكانت كتب الأنبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون
وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة
في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت
المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها
وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها
والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون
حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة
عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت

إنه من صح

الزم رض برواز زدن مرغ
بر جستن از فوائد الدسا

وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين
الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء
في السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها
من الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم
واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا
معها قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية اي لا ابت
امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر
رجلا كل واحد على عشرة آلاف ارادوا بالقوة قوة الاجساد
وقوة الآلات والعدد وبالباس النجدة والبلاء في الحرب
والامر اليك اي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك
نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء
الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي والتدبير
فانظري ماذا تامرين فلما احست منهم الميل الى المحاربة
رات من الراي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت
الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطا فيه بان الملوك
اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها ومن ثم قالوا
للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا
فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون
ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت

في بيت

في بيت الملك القديم فسمعت بخبر ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك
حديث الهدية وما رأت من الراي السديد وقيل هو تصديق
من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الآية
ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له
بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم بهدية
اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه
حتى اعمل على حسب ذلك فروي انها بعثت خمسمائة غلام
عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة
راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب
المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان
والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة
الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو
وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان
والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا
ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك
وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان
فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان
بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا

المصانعة الرشوة وفي المثل من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة

شُرَفُه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر التي ربطوها
عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير
فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه
واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ
والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا
بُهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم
ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم
وقال اين الحق واخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر
الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت
دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا
بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها
والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم
فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف
قَيْل تحت كل قيل الوف في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلما جاءوا
اتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله
اتحاجوني وبنون واحدة اتمدني الهدية اسم المهدى كما ان العطية
اسم المعطى فتضاف الى المهدي والى المهدى له تقول هذه هدية فلان
تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه
والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه

الحظ

كان صح

الارضة دودة تاكل الخشبة

بيده صح

شخص من بلد الى بلد شخوصا اي ذهب

النمل

الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف
يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم
وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان
وترك المجوسية **فان قلت** ما الفرق بين قولك اتمدني بمال وانا اغنى منك
وبين ان تقوله بالفاء **قلت** اذا قلته فقد جعلت مخاطبي عالما
بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته
بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه فانا اخبره الساعة بما لا احتاج
معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه
ورد قوله فما آتاني الله **فان قلت** فما وجه الاضراب **قلت**
لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب
الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى
اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة
الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون
فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون
عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها
ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة
وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقرأ
ابن مسعود رضي الله عنه لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبا والذل

بالواو صح

حالي صح

بدل علم على

أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك فالصغار أن يقعوا
في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا
يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام فجعل عرشها في آخر
سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت
الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحي إلى سليمان عليه السلام
باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض
ما خصه الله به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم
قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها وعن قتادة أراد
أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذها إلا
وقيل أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا
لعقلها وقرئ عفرية والعفر والعفرية والعفريت والعفرية
والعفارة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه
ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي
على حمله أمين آتيك به كما هو لا أختزل منه شيئا ولا أبدله الذي عنده
علم من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم
وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت وقيل يا ذا الجلال
والإكرام وعن الحسن رحمه الله الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا
كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو
جبريل عليه السلام وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل هو

أي يورد عليها أمرا غريبا

سليمان

سليمان كأنه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول
وعن ابن لهيعة بلغني أنه الخضر عليه السلام علم من الكتاب من الكتاب المنزل
وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل
وآتيك في الموضعين يجوز أن يكون فعلا أو اسم فاعل الطرف تحريكك أجفانك
إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بإرسال
الطرف في نحو قوله وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر
وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل أن يرتد
إليك طرفك أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش
بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد
عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم
نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرتد طرفه
ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك
افعل ذلك في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك
تريد السرعة يشكر لنفسه لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها
عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل
الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة وفي كلام بعض
المتقدمين إن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها
فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم
أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا

رجع الطرف وهو موضع النظر

لاستقصار بدل

أقشعت اقتنعت

غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله عليه السلام
عند روية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة ابنا جنسه من انبيا الله
والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون
النعمة المودعة بجميل الصبر نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته
وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه
موخره واعلاه اسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع
على الاستئناف أتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب وبالرفع
على الاستئناف فاذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان
اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت
عليه الابواب ونصبت عليه الحراس هكذا ثلث كلمات
حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل أهذا عرشك
ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كأنه هو ولم تقل
هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل
وأوتينا من كلام سليمان وملائه فان قلت علام عطف هذا
الكلام وبم اتصل قلت لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها
وأجابت به مقاما اجرى فيه سليمان وملاؤه ما يناسب قولهم وأوتينا
العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد اصابت في جوابها
وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة
الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر

وبهذه

العلم صح

فاجابت صح

وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا
نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عند الله قبل علمها ولم نزل
على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله
والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها
بين ظهراني الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه
هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه
المعجزة او قبل هذه الحالة يعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر
ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت
فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما
كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على
انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها الصرح القصر وقيل صحن الدار
وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤقا فأجرى عليه الواحد
والممرد المملس وروي ان سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر
من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك
وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن
والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا
على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم
لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له
فطنة الانس والجن فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد

وأقطع نعالها وقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار
فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت
عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره
وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة
امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها
وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة
فيقيم عندها ثلثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك
همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له
المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها
فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي
بسوء ظني وقرئ ان اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فريقان
فريق مومن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل
ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي السيئة العقوبة
والحسنة التوبة فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة
وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى قلت كانوا
يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه
تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت
وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم
واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم

ترحمون

سليمن صلح

ترحمون تنبيها لهم على الخطاء فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه كان الرجل
يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشائم
فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله
وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة
ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه
الخير والشر لا طائرك الذي تتشائم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اي
تشائمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه
خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء
حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم
وفتنة ومنه قوله تعالى طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره
في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشائم به
وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان
بوسوسته اليكم الطيرة المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط
لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط
والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة
والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب
غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن
مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين
سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم

تيمن

منه صح

ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط شيء من الصلاح
كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح تقاسموا يحتمل ان يكون
امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا
وقرئ لنبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه
الوجهان ومع الياء لا يصح الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم
كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا
وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك
استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك
ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فان قلت
كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف
المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله
فجمعوا بين البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب
قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم
الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين
حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب مكرهم ما
اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث
لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح
مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا
الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب

ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين صح

فقالوا

يصلي صح

وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة
من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم
يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه
ونجى صالحا ومن معه وقيل جاءوا بالليل شاهري سيوفهم
وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة ولا
يرون راميا انا دمرناهم استئناف ومن قرا بالفتح رفعه بدلا من العاقبة
او خبر مبتدا محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى
لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار خاوية حال عمل
فيها ما دل عليه تلك وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع على انه
خبر المبتدا المحذوف واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد
ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون
من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله
انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة
لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة
وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم
العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم
كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض
خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس بنى على مذهبهم
قوله وبح باسم ما تاتي وذرني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

منهم صح

[يرون الحجارة صح]

دمغه دمغا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ واسمها الدامغة

وانما لم نقدر العطف على صالحا [illegible]

[illegible]

أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فإن قلت فسرت
تبصرون بالعلم وبعده بل أنتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء
قلت أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك
أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا
عليها فإن قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه
لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء
وكذلك بل أنتم قوم تفتنون قلت اجتمعت الغيبة والمخاطبة
فغلبت المخاطبة لأنها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة وقرأ الأعمش
جواب قومه بالرفع والمشهورة أحسن يتطهرون يتنزهون
عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا إنكارهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو استهزاء قدرنا كونها من الغابرين
كقوله إنها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور
في المعنى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات
الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته
وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده
وفيه تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن
بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى
السامعين وإصغائهم إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي
يبغيها المستمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ

كابرا

لأن الاسم أخص من الخبر كما هو الأصل

قدرناها صح

قدرنا

النمل

كابرا عن كابر هذا الأدب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله أمام كل علم مفاد
وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه
أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن
وقيل هو متصل بما قبله وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلوة
على الأنبياء وأشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام
أن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه
من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلا حتى
يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وإنما هو إلزام لهم وتبكيت
وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله ولا يؤثر
عاقل شيئا على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم
مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا
لينبهوا على الخطاء المفرط والجهل المورط وإضلالهم التمييز ونبذهم المعقول
وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون
أم أنا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه أنه ليس لموسى عليه السلام
مثل أنهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي
هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء وقرئ تشركون بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم فإن قلت
ما الفرق بين أم وأم في أما تشركون وأمن خلق قلت تلك متصلة لأن المعنى

أورطه وورّطه أوقعه في الورطة وهي كل أرض مطمئنة لا طريق فيها

أيُّما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لمّا قال آلله خير أم الآلهة قال بل
أمّن خلق السموات والارض خير تقريراً لهم بان من قدر على خلق العالم
خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش أمَن بالتخفيف ووجهه ان يجعل
بدلاً من الله كانه قال أمّن خلق السموات والارض خير ام ما تشركون
فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله
فانبتنا قلت تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات
الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع
حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشّح
معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء
اراد ان تأتّي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ
في تخطئة رأيهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة
وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء
ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به ءاله مع الله اغيره
يقرن به ويجعل شريكاً له وقرئ ءالهاً مع الله بمعنى اتدعون او تشركون
ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون
غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد أمّن جعل وما بعده بدل
من أمّن خلق فكان حكمها حكمه قراراً دحاها وسوّاها للاستقرار عليها حاجزاً
كقوله برزخاً الضرورة الحالة المحوجة الى اللجاء والاضطرار افتعال منها
يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه

مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له
ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عمّ المضطرين
بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت
الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء
العبد الا شارطاً فيه المصلحة واما المضطر فمتناول للجنس مطلقاً
يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل على البعض
وقد قام الدليل صح
وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض
خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرناً بعد قرن
او اراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء والادغام وبالتاء
مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة اي تذكرون
تذكراً قليلاً والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي يهديكم
بالنجوم في السموات والعلامات في الارض اذا جن الليل عليكم
مسافرين في البر والبحر فان قلت كيف قيل لهم أمّن يبدأ
الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين
من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار من السماء الماء
ومن الارض النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الهاً فاين دليلكم
عليه فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون
ممن في السموات والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون

ما في الدار احدٌ الا حمارٌ يريدون ما فيها الا حمار كأنّ احداً لم يذكر ومنه قوله
عَشيّةَ ما تغني الرماحُ مكانَها ولا النبلُ الا المشرفيُّ المصمّمُ وقولهم ما
اتاني زيدٌ الا عمروٌ وما اعانه الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى
اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية
حيث أخرجَ المستثنى مخرجَ قولِه الا اليعافيرُ بعد قوله ليس بها
انيسٌ ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض
فهم يعلمون الغيب يعني أنّ علمهم الغيبَ في استحالته كاستحالة
ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافيرُ
انيساً ففيها انيسٌ بتّاً للقول بخلوّها عن الانيس فان قلت
هلّا زعمت ان الله تعالى ممن في السموات والارض كما يقولُ
المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكأنّ ذاته
فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يأبى ذلك انّ كونه في
السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم
بعبارة واحدة حقيقةً ومجازاً غير صحيح على ان قولك من في السموات
والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهامُ تسويةٍ
والايهامات مُزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام
لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيبُ القوم انت وعن عائشة
رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غدٍ فقد اعظم على الله الفرية
والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب

الا اللهُ وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يُطلع عليه احداً
لئلا يأمن احدٌ من عبيده مكرَه وقيل نزلت في المشركين حين
سألوا رسول الله عن وقت الساعة ايّان بمعنى متى ولو سُمّي به
لكان فَعّالاً من آن يئين ولا ينصرف وقرئ ايّان بكسر الهمزة
قرئ بل أدرك بل ادّارك بل ادّرك بل تدارك بل أأدرك بل آأدرك
آأدرك على الاستفهام بلى أدرك ام تدارك ام أدرك فهذه ثنتا عشرة
قراءة وادّارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادّرك افتعل
ومعنى أدرك علمهم انتهى وتكامل وادّارك تتابع واستحكم وهو على
وجهين احدهما انّ اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة
كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومُكّنوا من معرفته وهم شاكّون جاهلون
وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن
في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نُسب فعلهم الى الجميع
كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناسٌ منهم فان قلت ان الآية
سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وانّ العباد لا علم لهم بشيء منه
وانّ وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به
فكيف لاءم هذا المعنى وصفُ المشركين بانكارهم البعث مع استحكام
اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون
الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بياناً
لعجزهم ووصفاً لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزاً ابلغ منه وهو

أنهم يقولون للكائن الذي لا بد أن يكون وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون
مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به الوجه الثالث
أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لأجهل الناس
ما أعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن إثباته الذي
الطريق إلى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق
إلى معرفته وفي أدرك علمهم وادارك وجه آخر وهو أن يكون أدرك
بمعنى انتهى وفني من قولك أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التي عندها
تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان إذا
تتابعوا في الهلاك فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك على سبيل
الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك علمهم وكذلك
من قرأ أم أدرك وأم تدارك لأنها أم التي بمعنى بل والهمزة فإن قلت
فمن قرأ بلى أدرك وبلى أأدرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون
كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك علمهم في الآخرة على
سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت
الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع إلى نفي الشعور على أبلغ ما يكون
وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون
ثم أنكر علمهم بكونها وإذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور وقت
كونها لأن العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في
شأن الآخرة فإن قلت هذه الإضرابات الثلاث ما معناها قلت

ومعناها صح

ما هي

ما هي إلا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث
ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية
فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف
المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها
وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو
أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه
وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل
الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لأن الكفر
بالعاقبة والجزاء الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون
ولا يتبصرون العامل في إذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج
لأن بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام
وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف إذا اجتمعن والمراد
الإخراج من الأرض أو من حال الفناء إلى الحياة وتكرير حرف الاستفهام
بإدخاله على إذا وإن جميعا إنكار على إنكار وجحود ودليل على كفر مؤكد
مبالغ فيه والضمير في إنا لهم ولآبائهم لأن كونهم ترابا قد تناولهم
وآباءهم فإن قلت قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي
آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد
اتخاذ البعث المقدم هو الغرض [illegible] بالذكر وأن الكلام إنما سيق
هو الذي تعمد بالكلام

ثم صح

سمع صح

هو صح

عقيب جحود صح

بالذكر وأن الكلام إنما
سيق لأجله ففي إحدى الآيتين
دل على أن صح

لاجله فهي اخرى الاثنين دلّ على هو الذي تعقيبا للكلام وفي الاخرى
على انا تجاذ كالمبعوث بعد الصدر لم تلحق علامة التانيث
بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان
آخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ
الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى
الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولا
تحزن عليهم لانهم ابوا ان يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش
كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم كان ولا تبال بذلك
فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا
بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال الله
ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم
استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردف لكم بعض
وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم
او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم
ولحقكم وقد عدّي بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا
والمنية تعنق يعني دنونا من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم
بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف
في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك

بعد

بعد وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام
لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم
وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى
وعد الله ووعيده الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل
في قومه وفضول ومعناه انه متفضل عليهم بتاخير العقوبة
وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه
ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش قرئ تكن يقال
كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم
ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه سمي الشيء الذي
يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية
والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء
غير صفات ويجوز ان تكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية
في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء
شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته
في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة
وقد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر
في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان
ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى
اختلفوا

وقوع العذاب
في

الاكثر الرواية

للمؤمنين لمن أنصف منهم وآمن أي من بني إسرائيل أو منهم ومن غيرهم
بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به فإن قلت ما معنى يقضي
بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما
يحكم به وهو عدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكماً
أو أراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز
فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه أو العزيز في
انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين أمره
بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه
على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب
الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وأن مثله لا يخذل
فإن قلت إنك لا تسمع الموتى يشبه أن يكون تعليلاً آخر للتوكل
فما وجه ذلك قلت وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسبباً عما كان
يغيظ رسول الله من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه
وتشييع ذلك بالعداوة والأذى فلاءمه ذلك أن علل توكل متوكل
مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس منه فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم
والاستكفاء لشرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح
الحواس لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا
أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم
لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك

فكانوا أقماع القول لا تعيه

تشبيههم

تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون
الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم هداة بصراء
إلا الله عز وجل فإن قلت ما معنى قوله إذا ولوا مدبرين قلت
هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن تولى عنه مدبراً
كان أبعد عن إدراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت
بهادي العمي على الإضافة وتهدي العمي وعن ابن مسعود رضي الله عنه
وما أن تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة
أي أبعده عنها بالسقي وأبعده عن الضلال بالهدى إن تسمع
أي ما يجدي إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي
يصدقون بها فهم مسلمون أي مخلصون من قوله تعالى بلى من أسلم
وجهه لله يعني جعله سالماً لله خالصاً له سمى معنى القول ومؤداه
بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه
حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع
التوبة ودابة الأرض الجساسة جاء في الحديث أن طولها ستون
ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي لها أربع قوائم
وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور
وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر
وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً
بذراع آدم عليه السلام وروي لا تخرج إلا رأسها يبلغ أعنان السماء.

الأيل فيه لغتان الكسر والضم وقيل الإبل جمع أيل الأنثى بوعل الجبل

او بلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون
وما بين قرنيها فرسخ للراكب ولا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام

وعن الحسن صح

وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون
فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين
تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام
وروي انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج
بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة
واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم
عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة
وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول
ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون
بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين
وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن
ابن عمر رضي الله عنه تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه
ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي
تخرج من اجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت
ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق
الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى
وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى

فتنكت

فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه
او فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن
وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه
وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم
انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان
انت من اهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم
بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير
يقال فلان مكلم اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم
التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه لنحرقنه وان
يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس
على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة
اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك
او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك فان قلت اذا حكاية لقول الدابة

كانت صح

فكيف تقول باياتنا قلت قولها حكاية لقول الله او على معنى بايات
ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه
اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا
وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف الجار
اي تكلمهم بان فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا
فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه

كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة
الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس
ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي
اهل مكه وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار فان قلت
اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض والثانية
للتبيين كقوله من الاوثان الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي
من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة
بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم
لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجيء
بكتاب فيقول عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقرأه و
يتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت
لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا
ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب ومثاله
ان تقول لراعيك وقد علمته رويعي سوء اتاكل نعمي ام ماذا تعمل
بها فتجعل ما ابتدأت به وجعلته اصل كلامك واساسه هو الذي
صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع
علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه
الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف
ذلك او اراد اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب

بآيات

بآيات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم
لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون
بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم
يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله
فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون جعل الابصار
للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا
ومبصرا حيث كان احدهما علة والآخر حالا قلت هو مراعى من حيث
المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا
فيه طرق التقلب في المكاسب فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع
قلت لنكتة وهو الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة
واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل
وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون
الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم
جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء
وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم
موسى لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقرئ اتوه واتاه
وداخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر
الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية

ونحو أن يراد بجموعهم الجامدة والتبادهم له جامدة من جمد بمكانه
اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر
اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا
كما تمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا
تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش
بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج
صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله
الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ
في الصور فكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين
ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة
الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله
الذي اتقن كل شيء يعني ان مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب
من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم
بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم
لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى اخر الايتين فانظر الى بلاغة
هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماده ورصانة تفسيره
واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى
واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد
بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان

الارعن سپاه انبوه كه بسان كوه ماند

الرصين المحكم الثابت وقد رصن بالضم رصانة

الا ترى

الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعدما
وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء
ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله
وقرئ تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف وان العمل
يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل
فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس
الحسنة كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف
الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين
قلت الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة
تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن لحاق
الضرر كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وان كانت ساعة
اعزاز وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب
فان قلت فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين
من فزع وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب
والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية
تقتضي ذلك وفي الاخبار والاثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط
الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امن يعدى بالجار
وبنفسه كقوله افأمنوا مكر الله وقيل السيئة الاشراك
كبت وجوههم يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكانه قيل

ضاً

وقلب وجاب

واحد

فيكبوا في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه
ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات
وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول امر رسوله بان يقول
امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت
قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلوا
القران من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك
والبلدة مكة حرسها الله اختصها من بين سائر البلاد باضافة
اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده
وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما
بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب
بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها
اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط
وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك
قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها
الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم
لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجي اليها
امن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها
تحتها وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة العظيمة الشان
قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل

هل تجزون

حزون وحزورة بمكة
مشهورة بمكة يقع عليها
اذا خرجت من باب ابراهيم

ذي

ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التي حرمها
وان اتل عليهم هذا القران عن ابي عمرو رضي الله عنه وان اتل عن ابن مسعود
فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه
والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه
راجعة اليه لا الي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر
وما على الرسول الا البلاغ المبين ثم امر ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة
التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من اياته التي
تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها ايات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة
يعني في الاخرة عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما
حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم الاية وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة
والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين وقرئ تعملون
بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به
وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية غير آية نزلت بالجحفة قوله ان الذي فرض عليك وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

من نبإ موسى وفرعون مفعول نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين
كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة

اي نتلوا

انما تشيع هولاء دون غيرهم ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير للمجمل
كان قايلا قال وكيف كان نباهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني
ارض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا
يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه قال
الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يسخر
صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله
ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة
وهم بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل
وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل
يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون
فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه
القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او
كلام مستانف ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين
بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل
تحته صدق الكاهن او كذب فان قلت علام عطف قوله
ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد قلت هي
جملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في
وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية

دلجتها اي ظلمتها

حال

حال ماضية ويجوز ان تكون حالا من يستضعف اي يستضعفهم فرعون
ونريد ان نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله
المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت اخر قلت
لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت
ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ائمة مقدمين في الدين
والدنيا يطا الناس اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم
في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله
وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما
كان لهم مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطاه
ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر
والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت
في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرئ
ويرى فرعون وهامان وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب
ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم اليم البحر قيل هو نيل مصر
فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الاخر
قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح
خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف
من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة
من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف

فإن قلت ما الفرق بين الحزن والخوف قلت الخوف غم يلحق الإنسان
لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما
جميعا وأومنت بالوحي إليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها
ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده إليها وجعله من المرسلين
وروي أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروي أنها
حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات
بحبالى بني إسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها
فلما وقع على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها
ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون
ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء
عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم
تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا
وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد
جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب
الولدان أوحى الله إليها فألقته في اليم وقد روي أنها أرضعته ثلاثة
أشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله اللام في ليكون هي لام كي
التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى
التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم
إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير أن ذلك

أقربت من الإقراب نزديك شدن زنان وكوسفند بردن

لابنك صح

الطيش الخفة

لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه الفعل بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل
لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب
في قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث
استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد
وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء
فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم أو كانوا مذنبين مجرمين
فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم
وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب إلى الخطأ روي
أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه
فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت
نورا فعالجته ففتحته فإذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص إبهامه
لبنا فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الأطباء
لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه إنسان دواؤها ريقه
فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت
إلى وجهه برأت فقالت إن هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه
فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا في
قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون
لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك
لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان

من الخطو الصواب

عتوه مطبوع على قلبه كآسية لما قتله فلما ولاه سلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتداء محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتداء ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلايل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتفاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتخذه ولدا فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك فالتقطه وهم لا يشعرون حال ذو حالها قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم فارغا صفرا من العقل والمعنى انها لما سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان

الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء

وذلك

ان

وفي قراءة عبد الله لا تقتلوه قرة عين لي ولك سواد

ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين م

ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ قرعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اخطرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يشعرون انها اخته وكان اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه

[illegible]

وعن قتادة يعني عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب

الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا
وكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع
وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني
الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روي انها لما قالت
وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما
اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شايب الفساد
فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون
يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها
استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى
كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا
اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به
الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها
ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت
علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها
قلت ما كانت تاخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي
كانت تاخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون
داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين
سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤادها فارغا يروى انها

حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى
كرهت ان يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله
فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه فقالت وقع في يد العدو فنسيت
وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان
لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون
بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين
وذهاب الحزن واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي
لا يزاد عليه كما قال لقيط واستحملوا امركم لله دركم شزرا مريرة
لا قحما ولا ضرعا وذلك اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا
على راس اربعين سنة العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء
سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة
وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث وكان
لا يفعل فعلا يستجهل فيه المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر
وحين غفلتهم ما بين العشائين وقيل وقت القايلة وقيل يوم عيد لهم
هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق
وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرا سيبويه
فاستغاثه من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل
وقيل هو السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو
فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون

ضرعا

اشتهار طلعة الحلاء ... رجلا شديد القوة لا كبيرا ولا صغيرا الشزر من الفتل ما كان الى فوق المريرة رسن ... ناح

منف ناحية ومنع الصرف لاجتماع التانيث والعجمة والعلمية

والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرا ابن مسعود
فلكزه باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل قتل الكافر
من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلت لانه قتله
قبل ان يوذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس
لنبي ان يقتل ما لم يومر بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه
محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون
ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني
بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين
واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته
وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد
وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى
الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المودية الى القتل الذي لم يحل له
وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن
اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا
وعن عطاء ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه
قال فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري
قال فاين قول موسى وتلا هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد
يوم القيامة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى
من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به

اي لا اكون عونا للمظاهر للظالمين

في جهنم

في جهنم وقيل معناه وبما انعمت علي من القوة فلن استعملها
الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب
احدا من بني اسرائيل يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار
وما يقال فيه وصف الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو
يقاتل آخر وقرئ يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه
ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي
يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا
يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله
ولما قال هذا افشي على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون
وهموا بقتله وقيل رجل الرجل مومن آل فرعون وكان ابن عم فرعون
ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا للرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص
بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا
الوصف الايتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل
واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون
بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين يترقب التعرض له في الطريق
او ان يلحق تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلم
سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر
مسيرة ثمان وكان موسى عليه السلم لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس
خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل

ورقي الى 99

ان يكون صح

جيل صح

وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر
فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس بيده عنزة
فانطلق به الى مدين ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي
ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه فوق شفيره ومستقاه
امة جماعة كثيفة العدد من اناس مختلفين من دونهم
في مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان
لان على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل
كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما وقيل
تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما خطبكما ما شانكما
وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب
خطبا كما سمي المشؤون شانا في قولك ما شانك يقال شانت شانه اي قصدت
قصده وقرئ لا نسقي ونسقي ويصدر ويصدر والرعاء بضم الراء والرعاء
بالكسر اسم جمع كالرخال والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس
كصيام وقيام كبير كبير السن يسقي بها فنسقي عنه لاجلها وروي
ان الرعاة كانوا يضعون على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة
رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله
وحده وروي انه سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا
استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض
ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء

العنس بالتحريك الطول من العصاه واعصى الرمح وفسخ كرمح الرمح صحاح

وجد صح

شانت صح

الرخال جمع رخل ... والرخلان جماعه صحاح

حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا
رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء
وقد ازدحمت عليه امة من الناس مختلفة متكاثفة العدد وراى الضعيفتين
من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطات همته في دين الله
تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع
ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه
وقوة ساعده وما اتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة
الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة
وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصه وبعث على الاقتداء
في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان قلت لم ترك المفعول
غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض
هو الفعل الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي
ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى
يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف طابق
جوابهما سؤاله قلت سالهما عن سبب الذود فقالتا السبب
في ذلك انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال
ومزاحمتهم فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم
بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابدتا
اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله

فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز صح

ومسقيهم ابل صح

الذي هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت
الأمر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه وأما المروءة فالناس مختلفون
في ذلك والعادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال
العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا
إذا كانت الحالة حالة ضرورة إني لما أنزلت إلي من خير فقير
عدي فقير باللام لأنه ضمن
معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وإن خضرة البقل تتراءى في بطنه
من الهزال ما سأل الله إلا أكلة ويحتمل أن يريد إني فقير من الدنيا
لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان
عند فرعون في ملك وثروة وقال ذلك رضى بالبدل السني وفرحا به
وشكرا له وكان الظل ظل سمرة على استحياء في موضع الحال
أي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روي أنهما
لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما
قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه
لي فتبعها موسى فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال
لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته قال لا تخف
فلا سلطان لفرعون بأرضنا فإن قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام
أن يعمل بقول امرأة وأن يمشي معها وهي أجنبية قلت أما العمل
بقول امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان أو عبدا ذكرا كان
أو أنثى في الأخبار وما كانت إلا مخبرة عن أبيها بأنه يدعوه ليجزيه أو أنثى

أو أنثى في الأخبار وما كانت إلا مخبرة عن أبيها بأنه يدعوه ليجزيه
وأما مماشاته امرأة أجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط
والتورع فإن قلت كيف صح له أخذ الأجر على البر والمعروف
قلت يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف
وقبل إطعام شعيب وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجر ولكن
على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه
أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم
خصوصا في دار نبي من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار
الفقر والفاقة طلبا للأجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي
أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم إليه الطعام امتنع وقال إنا
أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا
حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب
رفع صوته بدعائه ليسمعها فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت أي
جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص كبراهما كانت
صفراء والصغرى صفيراء والصغرى هي التي ذهبت به وطلبت
إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
أن شعيبا عليه السلام أحفظته الغيرة فقال لها وما علمك بقوته وأمانته
فذكرت إقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه حين بلغته
رسالته وأمرها بالمشي خلفه وقولها إن خير من استأجرت القوي الأمين

والعلل والنقل سقي بعد سقي

الى صح

كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اجتمع هاتان الخصلتان اعني الكفاية
والامانة في القايم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال
هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته
وامانته فان قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي
الامين خبرا قلت هو مثل قوله الا ان خير الناس حيا وهالكا اسير ثقيف
عندهم في السلاسل في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى
جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي
للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت
لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلثة
بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر
رضي الله عنهما روي انها صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه كانت له
غيرهما تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له
ابا وثماني حجج مفعول به ومعناه رعيه ثماني حجج فان قلت كيف صح
ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح
ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال
قد انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت فكيف صح ان يمهرها
اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى
ان ابا حنيفة رحمه الله منع ان يتزوج امراة بان يخدمها سنة
وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة

لانه

نكتة
وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم آجركم الله ورحمكم صح

لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو
العبد او الدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة على ما ذكرت
واما الشافعي رحمه الله فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال
والخدمة اذا كان المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك
كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا اخر وانما اراد
ان يكون راعي غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين
وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذاك
على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره لرعيه
ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل
قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عمل
عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي
يعني لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع
والا فلا وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت
ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته
ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه
وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه
لا يشق عليه فيما استاجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل
المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات
والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة عن حد الشرط

وهكذا كان الانبياء عليهم السلم آخذين بالاسمح في معاملات الناس
ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي
فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني
ان شاء الله من الصالحين يريد بالصلاح حسن المعامله
ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم
ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشية الله فيما
وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل
الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه ذلك مبتداء وبيني
وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك
الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قايم بيننا جميعا لا
يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت
على نفسك ثم قال اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما او اقصرهما
الذي هو الثماني فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة
عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي
هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان
بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر
كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني
اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء
اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة

الذي هو العشر

الي اي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون
متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة
علي وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه اي الاجلين ما قضيت
وقرئ ايْما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي
من الغيث استهلت مواطره وعن ابن قطيب عِدوان بالكسر
فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت
وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها
وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على
قضائه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما
استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك
روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى عليه
بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا
هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت
الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع
في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها
جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي موسى عليه بها ليلا
وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه
بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها
فدفعها اليه ثم تندم لانها وديعة فتبعه فاختصما ورضيا

اتيت صح

الاستفاضة بالكثرة شمنى

المكفوف الضرير والجمع المكافيف وقد كف بصره ايضا عن الاعمى والاعرج ضننت به اضن ضنا وضنانة اذا بخلت به وهو ضنين به قال الفراء وضننت بالفتح اضن لغة صحاح

أن يحكم بينهما أول طالع، فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له
فعالجها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج
ومنها كانت عصاه، ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق
الطريق فلا تأخذ عن يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن
فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم، فأخذت الغنم ذات اليمين
ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله
فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب
موسى دامية، فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك،
ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة
اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له
إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء، فأوحي إليه
في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت
واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه، سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى قال أبعدهما
وأبطأهما، وروي أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما، وهذا خلاف
الرواية التي سبقت. الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن
جميعا العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن، قال
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر
وقال وألقى على قيس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها

الشجر أسهل رفعها موسى وكان عن الخضر ... ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها

أي أخذها من عرض الشجر أي أخذها من الأبعاد

الريف أرض فيها زرع وخصب والجمع أرياف ... أي حضرت الريف صحاح

الأدرع من الخيل والشاء ما اسود رأسه وابيض سائره والأنثى درعاء، ومنه قيل لليالي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر درع لأنها سود الصدور وسائرها أبيض على غير قياس لأن قياسه درع بالتسكين لأن واحدها درعاء صحاح

حواجب

من ١١

القصص

من الأولى وهما لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل
الشجرة، ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة
كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم، وقرئ
البقعة بالضم والفتح، والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم
وسكون وهو الخوف. فإن قلت ما معنى واضمم إليك جناحك من الرهب
قلت فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا
حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له
إن اتقاءك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية
فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل
الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى، والمراد
بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر فإذا أدخل
يده اليمنى تحت عضد اليسرى فقد ضم جناحه إليه، والثاني
أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند
انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب، استعارة من فعل
الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان
إليه مشمران، ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله
أن كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل
وانكسر فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم إليك جناحك
وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي

غض منه يغض بالضم أي وضع ونقص من قدره يقال الشيء عليك غضاضة أي عضاضة صحاح

ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب
عند رؤيه الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه
سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى اضمم اليك جناحك
وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف
بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان
الغرض في احدهما خروج اليد بيضا وفي الثاني اخفاء الرهب
فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما
وفي الاخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله
واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح
المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحد
من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم
بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته
في اللغه وهل سمع من الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري
كيف موقعه في الآيه وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل
على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة
من صوف لا كمي لها فذانك قرئ مشددا ومخففا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى
ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان فان قلت لم سميت الحجة برهانا
قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين
واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا
جاء

الاثبات صح

مخففا

الحجة صح

جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت
لانارتها يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به
كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل وردئي كل ابيض
مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول وقرئ ردا بالتخفيف كما قرئ
الخب ردءا يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا
يرثني سواء فان قلت تصديق اخيه ما يفيد فيه قلت ليس الغرض
بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو
ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل
الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق
القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخي هارون هو افصح مني لسانا
فارسله وفضل الفصاحه انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت
فان سحبانا وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان
حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هارون لانه
السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازي ان التصديق
حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقه وليس في السبب تصديق
ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما يلابسه
الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله اني اخاف ان
يكذبون وفي قراءة من قرا ردءا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بالجزم
يصدقني العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة

ابني لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها عضد ويقال في دعاء الخير
شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك
باخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد لشدة
العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان
الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه
يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة
واضحة بآياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات اي اذهبا
بآياتنا او بنجعل لكما اي نسلطكما بآياتنا او بلا يصلون اي تمتنعون
منهم بآياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة
على الموصول ولو تأخر لم يكن الا صلة له ويجوز ان يكون قسما
جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم سحر مفترى
سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او
موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر بكونه فيهم ولا يخلو من ان
يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم
لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى
ومجيئه بما جاء به وهذا دليل انهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به
ما جاءهم من الآيات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها
يقول ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث
جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه

وليس بمعجزة من عند الله في
آبائنا حال منصوبة عن هذا
اي كائنا في زمانهم وايامهم
يريدون ما حدثنا صح

ولو كان

ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم
لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون
وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل
اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر
لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان
تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند
الموت فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح
ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر
فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر
قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة واراد
بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا
خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها
الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير
واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار
وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وكذلك هي في مصاحف اهل مكة
وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم
به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى
ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن
الناظر بين القول والقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر

وبعضها تنبيل الاشياء وقد يحتمل ان يكون للبناء والبناء وروى انه لما امر
ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى
الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب
المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق وكان
الباني لا يقدر ان يقوم على راسه يبني فبعث الله جبريل عند
غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلث قطع وقعت قطعة
على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة
في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا وقد هلك
ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة
نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة
بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل
لهدمه والله اعلم بصحته فقد نفى علمه باله غيره نفي وجوده
معناه ما لكم من اله غيري كما قال عز وجل قل اتنبئون الله بما لا
يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم
تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء
معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده
لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز
ان يكون على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده ولكنه
مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى

كاذبا

النجر النحت والجص بكسر الجيم وفتحها

٢٢٠

كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها
غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلم
بقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب
لعله يطلع بزعمه الى اله موسى وان كان جاهلا مفرط الجهل به
وبصفاته حيث حسب انه في مكان نحو مكان وانه يطلع اليه
كما يطلع اليه اذا قعد في عليته وانه ملك السموات كما انه ملك
الارض ولكن ترى بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته
وجهل اهله وملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات
بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك
من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن
واشبههم بالبهائم بذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة وان صح ما
حكي من رجوع النشابة ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء
التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة
ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله فقلت
لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم
واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم
ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان
على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر

اليه

اي لو لم يكن عالما بصحة قول موسى ان الله اله ما تكلف للبناء الصرح

كان ان ح

العلية الغرفة والجمع العلالي

دجج شكته بالسلاح مغطاها بها فهو مدجج ومدجج

وهو تعليمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن
وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان وهو وزيره ورديفه
بالايقاد على الطين مناذى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظيم
والتجبر وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر الى الشام ورأى
القصور المشيدة بالاجر قال ما علمت ان احدا بنى بالاجر غير فرعون
والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى
الاستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة
اي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير
الحق يرجعون بالضم والفتح فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم من كلام الفخم الذي دل على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه
شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير والجم الغفير
بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله
والقينا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات وتمثيلات
لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته
فان قلت ما معنى قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار قلت

معناه

معناه ودعوناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار
كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك
جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة
في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وجل وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم
الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون كما
ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى
الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم
على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية
لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه
فكانه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا ائمة فيه دعاة اليه والى
سوء عاقبته فان قلت واي فائدة في ترك المردوف الى الرادفة
قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف
مع الدليل الشاهد لوجوده فيكون ذكر الرادفه اقوى لاثباته
من ذكره الا ترى انك تقول لولا انهم مصمم على الكفر مقطوع امره
مبتوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع الالطاف يحصل العلم
بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده
ويتضح هذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون كانه قيل وخذلناهم
في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة

اي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيامة هم من المقبوحين اي من
المطرودين المبعدين بصائر نصب على الحال والبصر نور القلب
الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه
التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف
حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون في الضلال ورحمة
لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة
ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد به
ترجي موسى عليه السلم لتذكرهم به كقوله لعله يتذكر الغربي
المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات
موسى من الطور وكتب الله له في الالواح والامر المقضي الى موسى
الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول وما كنت حاضرا المكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا كنت
من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين
اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر
موسى في ميقاته وكتبة التوريه له في الالواح وغير ذلك فان قلت
كيف يتصل قوله ولكنا انشأنا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون
استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه
ولكنا انشأنا بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم
وهو القرن الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست

معطوف على تطاول

العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء
وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا
اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به
على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذا هذا الاستدراك
شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين
وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا تقرؤها عليهم
تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا
ارسلناك بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة
وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتاهم
من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسماية وخمسون سنة
ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم ولولا الاولى امتناعية
وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاءين للعطف
والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر
باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد
والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك
والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك
لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا
الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا

رسولا فنتبع آياتك فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد
جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف
الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون
سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة هي السبب للقول وكان
وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال
بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا
عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا
قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه
الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا وانما السبب في قولهم
هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم
وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه
فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت
اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح
الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع
في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل
فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر
المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا
اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب
العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاؤوا بالاقتراحات

المتعنتة

لما كانت صح

على كفرهم وقد عاينوا ما
الجئوا به الى العلم اليقين
لم يقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا صح

المتعنتة على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك
وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم
عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى وعن الحسن رحمه الله
قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفروا
آباؤهم قالوا في موسى وهارون ساحران تظاهرا اي تعاونا
وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما
سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل واحد منهما
فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت
باولم يكفروا ولك ان تعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة
الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن
فقد كفروا بموسى وبالتورية وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا
وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم
عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انه نعته وصفته وانه
في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا
عند ذلك ساحران تظاهرا هو اهدى منهما مما انزل على موسى
ومما انزل علي هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق
لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم
متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان قلت
ما الفرق بين فعل الاستجابة وبينه في قوله فلم يستجيبوا عند كل

بطل صح

نوعان صح

او في الكتابين سحران تظاهرا صح

شرط صح

٢٣٤

مجيب حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء
بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب
فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له
دعاءه اما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فان قلت
فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء هاهنا قلت قوله فأتوا
بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه
قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم
قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل
ممن لا يتبع في دينه الا هواه بغير هدى من الله اي مطبوعا على
قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم الثابتين
على الظلم الذين اللاطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع
الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه وقرئ وصلنا بالتشديد
والتخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا
وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان يتذكروا فيفلحوا
او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله وما يأتيهم
من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت
في مؤمني اهل الكتاب عن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة
وانا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الكتاب الانجيل
اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام

والقصص من قبله للقرآن فان قلت اي فرق بين الاستئنافين
انه وانا قلت الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله
حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون
ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان
اباءهم القدماء قرؤا في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم
من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام
لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي بما صبروا بصبرهم
على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان
بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين
واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة
بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى سلام عليكم
توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي
الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت من خاطبوا
بقولهم ولكم اعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله
واذا سمعوا اللغو لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخل
في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم
لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل
في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه
وان الالطاف تنفع فيه فيقرب به الطافه حتى يدعوه الى القبول

اي ابناءهم نزلوا بعد الاباء ايضا

وهو اعلم بالمهتدين بمن له لطف فيقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في اخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فقال قريش وقيل ان القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت

الخرع بالخاء والراء المهملة الضعيف والخور ومنه الخروع لرخاوته ولذا وصف الجبان بالخروع

وحدها وهم كفرة عبدة الاصنام فكيف يستقيم ان نعرضهم للتخوف الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز تجبى اليه تجلب وتجمع وقرئ بالتاء والياء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقوله تجني الى فيه وتجني الى الخافه ثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا انداده فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى تجبى اليه ثمرات كل شيء وترزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصبت معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان اصله بطرت

الخافه الريش من الجلد

في هذا دليل على ان الحال اذا كان نكرة لا يلزم تقديم الحال

الغمط بالسكون هو ازدراء الشيء ... وغمطها بالفتح اي بطرها وحقرها

ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت
معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو
ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس رضي الله عنه
لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شوم
معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق
فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي
تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض
تتخلف الاثار عن اصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع وما كان
عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي
هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام
الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله
وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة
رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة
وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث
اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم
مع كونهم ظالمين الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسول ولا
يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين
كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله
بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله

في غناه

في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله
ليضيع ايمانكم واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع
وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة المتقضية وما عند الله وهو ثوابه
خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد وقرئ يعقلون
بالياء وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله
تعالى خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن والمنافق
والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع هذه الاية
تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع
دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك
سمى الله الجنة بالحسنى فهو لاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه
فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه
لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله
وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر
والوليد بن المغيرة فان قلت فسر لي الفائين وثم واخبرني
عن مواقعها قلت قد ذكر في الاية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا
وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبها بقوله افمن وعدناه على معنى
ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الاخرة وابناء الدنيا
فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب
لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير

وأما ثم فللتراخي حال الإحضار عن حال التمتيع لا للتراخي وقته عن وقته
وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عَضْد في عَضُد تشبيهاً للمنفصل بالمتصل
وسكون الهاء في فهو وهو وهي أحسن لأن الحرف الواحد لا
ينطق به وحده فهو كالمتصل شركائي مبني على زعمهم
فإن قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم أزعمك عن ذاك معزلا
فأين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي
ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على أحدهما
الذين حق عليهم القول الشياطين أو أئمة الكفر ورؤوسه ومعنى
حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين وهؤلاء مبتدأ والذين أغوينا صفته
والراجع إلى الموصول محذوف وأغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر
محذوف تقديره أغويناهم فغووا غياً مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغو
إلا باختيارنا لا أن فوقنا مغوين أغوونا بقسر منهم وإلجاء أو دعونا
إلى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لأن إغواءنا لهم
لم يكن إلا وسوسة وتسويلاً لا قسراً وإلجاء فلا فرق إذن بين غينا
وغيهم وإن كان تسويلنا داعياً لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله
لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل
وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ
والزواجر وناهيك بذلك صارفاً عن الكفر وداعياً إلى الإيمان وهذا

الجنة وصح

الصحيح دعونا بصيغة ... من دعوا الأمر ... دعونا

معنى ما حكاه الله عن الشيطان إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني
ولوموا أنفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى أول شيء حيث قال
لإبليس إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين
تبرأنا إليك منهم ومما اختاروه من الكفر بأنفسهم هوى منهم للباطل
ومقتاً للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا إيانا
يعبدون إنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم وإخلاء
الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى لو أنهم كانوا
يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب لو أنهم
كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه أو تمنوا لو كانوا مهتدين أو تحيروا
عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقاً حكى أولاً ما يوبخهم به من اتخاذهم
له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة
الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها
ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم
عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل
وإزاحة العلل فعميت عليهم الأنباء فصارت الأنباء كالعمى عليهم
جميعاً لا تهتدي إليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضاً كما
يتساءل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعاً في عمى الأنباء
عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعُمِّيت والمراد بالنبأ الخبر

السند والسراب ... أسمراً ... من حد علم

عما اجابت به المرسل اليه رسوله واذا كان الانبياء لهول
ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السوال ويفوضون
الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب
فما ظنك بالضلال من اممهم فاما من تاب من المشركين من الشرك
وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى
من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه
قال فليطمع ان يفلح الخيرة من التخير كالطيرة من التطير
تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله
ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا
لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله تعالى في افعاله وهو اعلم بوجوه
الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه
قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل
معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم
واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة
لمختار فان قلت فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا
جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف
فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله

اي الله بريء من اشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم
عليه ما لا يختار وما تكن صدورهم من عداوة رسول الله وحسده
وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره
في النبوة وهو الله وهو المستاثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو
تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد
في الدنيا ظاهر فما الحمد في الاخرة قلت هو قولهم الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد
لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي
الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده
ارايتم من رايت وعرفوا الهمزة وليس بحرف قياسي ومعناه اخبروني
من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه
قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة
ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل
بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء
وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس
التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمه
قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر
من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون
لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون

وغير ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضله في الاخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الاية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شي اجلب لغضب الله من الشرك به كما لا شي ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشي الضايع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب قارون اسم اعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه كان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرا بني اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت لموسى النبوة والمذبح والقربان الى هارون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة

فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه صح

والحبورة لهارون يقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شي الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تاتي باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجي كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزاين وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتح خزاينه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود وقيل من جلود الابل وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة وقرا بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزاين ويعطيها حكم ما اضيف اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة ويجل ان ينصب بتنوء

ذكر جمع الكثير نظرا الى المضاف اليه وان كان بعله موحدا

لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل ولست بمفراح اذا الدهر سرني
وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن اليها فاما من قلبه الى الآخرة
ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن
ما قال القائل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة بان تفعل فيه
افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك
الى الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وهو ان تأخذ منه ما يكفيك
ويصلحك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك او احسن بشكرك لله
وطاعتك كما احسن اليك ولا تبغ الفساد في الارض ما كان عليه من الظلم
والبغي وقيل ان القائل موسى عليه السلم وقرئ واتبع على علم
اى على استحقاق واستيجاب لما فيّ من العلم الذي فضلت به الناس
وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتورية وقيل هو علم الكيميا
عن سعيد بن المسيب كان موسى يعلم علم الكيميا فافاد يوشع
بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون
حتى اضاف علمهما الى علمه وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا
وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى اخته فعلمته
اخته قارون وقيل هو بصره بانواع التجارة والدهقنة وسائر
المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا
كأنه قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال

قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اى هو في ظني ورأيي هكذا ويجوز ان يكون
اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى
لانه قد قرأه في التورية واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ
والايام كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة
ماله وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم
عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه
ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى
يقي به نفسه مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا
فان قلت ما وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما
قبله قلت لما ذكر قارون من اهلك من قبله من القرون الذين
كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على
ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر
على ان يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم
وما اشبه ذلك في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج
على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه
اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر
وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي
والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم
رؤي فيه المعصفر كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة

في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله
وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى
مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد الذي ان تكون نعمة صاحبه له
دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد
قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاه الخبط
الحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود مبخوت
يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود
ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث
على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف
في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء
او للثواب لانه في معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان
والعمل الصالح الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله
من القليل عن الكثير كان قارون يؤذي نبي الله موسى عليه السلام
كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه
عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره
فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى امركم على كل شيء
وهو يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت
قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل
فجعل

فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا
من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يومئذ قام موسى عليه السلام
فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى
وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت
انت قال وان كنت انا فقال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت
بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية
ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا
على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت
رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة
لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون
فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا
غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا ارض خذيهم
الى الاوساط ثم قال خذيهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون
الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم
لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى
ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا
مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون
بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله
حتى خسف بداره وامواله من المنتصرين من المنتقمين من موسى

اي ما حكمت البغي من ماله

الاستبداد خودسر بكار
استادن

أو من المنتصرين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي
منعه منه فامتنع قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك
ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا
وي مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطاء وتندم ومعناه أن
القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي
قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون أي ما أشبه الحال
بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه
قال وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر
وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه
وراء البيت وعند الكوفيين ويك بمعنى ويلك وأن المعنى
ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن يكون الكاف كاف الخطاب
مضمومة إلى وي كقوله ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام
لبيان المقول لأجله هذا القول أو لأنه لا يفلح الكافرون
كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ
كأنه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الأعمش لولا من الله علينا
وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله عز وجل ولا نخسف بنا كقولك
انقطع به ولتخسف بنا تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني
تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها لم يعلق الموعد بترك
العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه
أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه
فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأماني
ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ومن
الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا
بقوله إن فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض
ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة
ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر
معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير
لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة
تبغيض السيئة إلى قلوب السامعين إلا ما كانوا يعملون إلا مثل ما
كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي
السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبع مائة وهو معنى
قوله فله خير منها فرض عليك القرآن أوجب عليك تلاوته وتبليغه
والعمل بما فيه يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك
عليها ثوابا لا يحيط به الوصف لرادك بعد الموت إلى معاد
أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك
وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده إليها يوم الفتح
ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له

لما عناه بغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لأهلها
وظهوره عن الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة
مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه
يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه
حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه
وحرم إبراهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق إلى مكة قال نعم فأوحاها
إليه **فإن قلت** كيف اتصل قوله قل ربي أعلم بما قبله **قلت** لما
وعد رسوله الرد إلى معاده قال قل للمشركين ربي أعلم من جاء
بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو
في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم
فإن قلت قوله إلا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه
قلت هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقي إليك الكتاب
إلا رحمة من ربك ويجوز أن يكون إلا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن
لرحمة من ربك ألقي إليك وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده
وهي في لغة كلب وقال أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم
صدود السواقي عن أنوف الحوائم بعد إذ أنزلت إليك بعد وقت
إنزاله وإذ تضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ
ويومئذ وما أشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك
من باب التهييج الذي سبق ذكره إلا وجهه إلا إياه والوجه

الإبل العطاش

يعبر

يعبر عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص
كان له من الأجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض
إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا فإن كل شيء هالك إلا وجهه
له الحكم وإليه ترجعون **سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل
ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى
تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم
أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون
ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته
عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان
حتى يتم لك غرضك **فإن قلت** فأين الكلام الدال على المضمون الذي
يقتضيه الحسبان في الآية **قلت** هو في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا
وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم
آمنا فالترك أول مفعولي حسبت ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين
فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته
جزر السباع ينشنه ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول
تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام
فإن قلت أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع

الجواد مزد واسب نيك

هو

خبر مبتداء قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب
وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته
تأديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت
ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتداء وخبرا والفتنة
الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء
وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر
والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال وبمصابرة الكفار
على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة
على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون بذلك غير ممتحنين
بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم
وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ
في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال
لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور وروي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله
قد جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب
في الله وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم
اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت
كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل

ومنهم

٧١

ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى
الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا
موصول باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن
من هو خير منه يعني ان اتباع الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن
والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي
قاتل معه ربيون كثير الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين
ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم
وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين
صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه فان قلت كيف وهو
عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا
الا اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز
ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن
الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري رحمه الله وليعلمن
من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او ليسمنهم بعلامة
يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقها
ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا

الزرقة كبودي

في الشوك ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة
وإصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره
وما هم بمعجزين في الأرض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون
فإن قلت أين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة أن على مسند
ومسند إليه سد مسد المفعولين كقوله أم حسبتم أن تدخلوا
الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب
فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذلك يقدر أنه
لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس
الذي يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص
بالذم لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث
والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده
بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فإما أن يلقاه
ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله
من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة
من الله والبشرى فإن أجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر
العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله
والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده
ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف
من قول الهذلي في صفة عسال إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها

فإن قلت

فإن قلت فإن أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت
إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع
فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو
لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء
الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة
ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فإنما يجاهد
لها لأن منفعة ذلك راجعة إليها وإنما أمر الله ونهى رحمة لعباده وهو
الغني عنهم وعن طاعتهم إما أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساءوا
في بعض أعمالهم وسيئاتهم مغفورة مكفرة بحسناتهم فهو تكفيرها عنهم أي يسقط
عقابها بثواب الحسنات ونجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون أي أحسن
جزاء أعمالهم وإما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله
عز وجل يكفر سيئاتهم بأن يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر
والمعاصي ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام ووصى حكمه حكم أمر
في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته
بأن يفعل ومنه بيت الإصلاح وذبيانية [illegible]
ومنه قوله ووصى بها إبراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها
وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهده ومراعاته
ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وصيناه
بإيتاء والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا أي فعلا ذا حسن

او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا
وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا
باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او
افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا له
اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير
ان وقف على بوالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير
الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان
ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم
كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم وقدّم بوالديه
وامره بالاحسان اليهما ثم نهيه عن طاعتهما اذا اراداه على
ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك
فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي كما اني لا امنعهما
رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات
والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد وروي ان سعد بن ابي
وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن
امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني
سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام
حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلثة ايام

فجاء

لان معناه احسن حسنا

فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما مر

الضح ضوء الشمس

فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت
هذه الاية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فامره رسول الله ان
يداريها ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة
المخزومي وذلك انه هاجر هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة
امراة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين
محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب
ولا تاوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا
منه في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك
علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر
فقال عمر رضي الله عنه اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا
بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء
قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل
ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد
مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع
عن دين محمد فنزلت لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ
صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية
عن سليمان وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابراهيم
وانه في الاخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة
وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية

مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحارث بن هشام

الذروة سر كوهان والغارب ميانه كوهان

وما زال فلان يفتل من فلان في الذروة والغارب [illegible]

[illegible]

هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فاذا مسهم أذى من الكفار وهو
المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله
صارف للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا
واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم
اى متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم ما قدرنا ان يفتنونا
فاعطونا نصيبا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في صدور
العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء
من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد
المؤمنين واوعد المنافقين وقرى ليقولن بفتح اللام امروهم
باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا
انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران
في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل
بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث
نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين
بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على
ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل
هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ما يحكى ان ابا جعفر المنصور
رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين
بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له

على سلامة صح

المتشجع دليري كردن ودليرخواندن

ومنه صح

عمرو بن

عمرو بن عبيد اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن فان قلت
كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به
وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه
في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه
قلت شبه الله حالهم حيث علم انهم لا يقدرون على الوفاء بما ضمنوه بحال الكاذبين
الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم
قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي
قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اى اثقال انفسهم واثقالا اخر
غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين
كانوا سببا في ضلالهم وليسألن سؤال تقريع عما كانوا يفترون
اى يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرى من خطاياهم كان عمر نوح
عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث في قومه
تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش
الفا واربعمائة سنة فان قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة
قلت ما اورده الله احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق
هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكانه قيل
تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب
لفظا واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر

لا حين ضمن صح

ما ابتلي به نوح من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له وكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس اكبر منه
أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره فان قلت
فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ
الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك
لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك
والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل
او نحوهما قال العجاج وغم طوفان الظلام أثأبا اصحاب
السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم
اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحاق كانوا
عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة والضمير في وجعلناها للسفينة
او للحادثة والقصة نصب ابراهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل
الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف على نوحا واذ
ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح
فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة
والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وابو حنيفة وابراهيم بالرفع على
معنى ومن المرسلين ابراهيم ان كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم
بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون

الجهل

الجهل الجهلاء علمتم انه خير لكم وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق
وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان يكون
مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما
وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا اي ذا افك وباطل واختلاقهم
الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله تعالى او شفعاء
اليه او سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك فان قلت
لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم
شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق
وحده لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء فاستعدوا
للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وان تكذبوني فلا تضروني
بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا
انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول
فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه
بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء
اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان
يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله
فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام
لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة في شان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشان قريش بين اول قصة ابراهيم وآخرها فان قلت

اذا كانت من قصة ابراهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث
وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد
عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وامن به الف
انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب فان قلت
فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض (اولم يروا) قلت هي حكاية كلام الله حكاه
ابراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام الله
على هذا المنهاج في كثير من القرآن فان قلت فاذا كانت خطابا
لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابراهيم والجملة او الجمل
الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك
لا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت ايراد قصة ابراهيم
ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله عليه السلام وان تكون مسلاة له
ومتفرجا بان اباه ابراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك
قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم
يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها
لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو
كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الايات الواقعة عقيبها من
اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد وهدم الشرك وتوهين
قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه
قرئ يروا بالتاء والياء ويبدئ وبدا وقوله ثم يعيده ليس

معطوف

امة صح

التفرج التسري نسخ

يقال مني به ومنيته اذا ابتليته صحاح

معطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار
على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدا
الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء
ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه فان قلت
هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو
قلت هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كما كان واستخلفه
معطوفا على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا ذكر برجع الحاير رجع الله
موته قوله وهو اهون عليه من معنى يعيده ذكر بقوله النشأة
الآخرة على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع
واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء
بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة
كالرأفة والرآفة فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه
مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره في قوله كيف
بدأ الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ
النشأة الآخرة قلت الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت
تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة
انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه
الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي
انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة

الاصطكاك كيم لو فقتران
تاج الاسامي

والتنبيه على هذا المعنى ابن اسمه واو وقعه مبتدا او يعذب من يشاء
تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته وتعليق المشيئتين مفسر مبين في مواضع
من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا
ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون وما انتم
بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض
المنبسطة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله
تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
وقيل ولا من في السماء كما قال حسان امن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء ويحتمل ان يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم
في مهاوي الارض واعماقها وعلوتم في البروج والقلاع الذاهبة
في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري
في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض
او ينزل من السماء وبايات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته
ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيدي اي ييأسون يوم القيمه
كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان
المؤمن انما يكون راجيا خائفا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف
او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من ييأس من الرحمة وقوله
ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال ولكن يئسوا من رحمتي وقال انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس

اي من يهجوه ومن يمدحه سواء

المهوى ... العمق مغاكى ...

من روح

من روح الله ولا من رحمته ولا يأمن من عذابه وعقابه اذ صفة
المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا فما كان جواب قومه بالنصب والرفع
الا ان قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين
فكانوا جميعا في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار
يعني يوم القي ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها قرئ على النصب
بغير اضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل
اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم
عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب
تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله واتخذ الهه هواه
اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف
او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان
ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف
والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة
وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع
بينكم بفتحه وهو فاعل وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا
انما مودة بينكم في الحيوة اي تتوادون عليها او تودونها في الحيوة
الدنيا ثم يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة
ويتلاعن العبدة والاوثان كقوله عز وجل ويكونون عليهم ضدا

مودة

كان لوطا ابن اخت ابراهيم وهو اول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه
وقال يعني ابراهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران
ثم منها الى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان
وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس
وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز
الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي
اجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة
والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما بال اسماعيل
عليه السلام لم يذكر وذكر اسحاق وعقبه قلت قد دل عليه في قوله
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة امره وعلو
قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس
الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي
هي التورية والزبور والانجيل والفرقان ولوطا معطوف على ابراهيم
او على ما عطف عليه الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم بها
من احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة
كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها
اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط
لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل
قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني

قال ابو

هاجر فعل ماض من المهاجر

قال ابو عبيدة وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني
بحرفين الياء والنون وتقطعون السبيل تعملون عمل قطاع الطريق من قتل الانفس
واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن
قطع النسل باتيان ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس رضي الله عنهما
هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك
بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة رضي الله عنها
كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة
في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك
جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا ما
دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا ان كنت من الصادقين
فيما تعدنا من نزول العذاب كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما
كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا
الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط
عليه السلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه
بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحاق ويعقوب واضافة
مهلكو اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم
التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم
قد استمر منهم الى ايام الاهلاك وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم

مصحف عثمان رضي الله عنه

من الجور ضد العدل

وانواع معاصيهم ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو
جدال في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض بان فيها من
هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن
من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه
اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن الا يحوط المؤمن
الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك
واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا
يستاهل ما يستاهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب
وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ان صلة اكدت
وجود الفعلين مرتبا احدهما على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل
بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجاته
المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا
وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب
ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع
بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال
ما لا يناله القصير الذراع فضرب مثلا في العجز والقدرة الرجز والرجس
العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب
من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا منها
من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة
وقيل الماء الاسود

عليهم صح

مثلا صح

الارض صح

وقيل الماء الاسود على وجه وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يعقلون
يتركنا او بينة وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب
مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان
كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء
بمعنى الخوف والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل عليه
لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم او في ديارهم فاكتفى
بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا
منصوب باضمار واهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في
معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من هلاكهم من جهة
مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها
في اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر
والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم
لان الله قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا سابقين
فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف
فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف
لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون الغرض تشبيه ما اتخذوه
متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس
في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه
وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فان قلت
لم جعل

ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت
قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ
هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه
في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت
فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام
بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه
في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل
المشرك الذي يعبد الاوثان بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله
مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا بآجر وجص او
ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت
العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة
الاوثان لو كانوا يعلمون قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد
للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز
الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس
معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر
على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير كان الجهلة
والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب
والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون
اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات

جهتها صح

الاستقراء تتبع الجزو
گشتن در شهرها

انما

انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها
وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك
والموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال
العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه بالحق
اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكون مساكن
عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى
الى قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا الصلوة تكون
لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها فان قلت كم من مصل
يرتكب ولا تنهاه صلوته قلت الصلوة التي هي الصلوة عند الله
المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا
لقوله انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح
فقد روي عن حاتم رحمه الله كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني
والنار عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي بين الخوف
والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى
عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تأمر
صلوته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله الا بعدا
وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر
فليست صلوته بصلوة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا

للصلوة عن ذلك الحال تنهى عن السيئات يوماً ما فقد روي انه
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلاناً يصلي بالنهار ويسرق
بالليل فقال ان صلوته لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان
يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش الا ركبه فوصف له
فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال ان المراعي
للصلوة لا بد ان يكون ابعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها
وايضاً فكم من مصلٍ تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ
لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيداً
ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما
تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء
للعموم ولذكر الله اكبر يعني للصلوة اكبر من غيرها من الطاعات
وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله
ليستقل بالتعليل كأنه قال والصلوة اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله
عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان
اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله
اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون
من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب الا بالتي هي احسن بالخصلة
التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة
بالاناة كما قال ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فافرطوا

في الاعتداء

في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا
معهم الغلظة وقيل الا الذين اذوا رسول الله وقيل الا الذين
اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا
تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا
الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف
وعن قتادة الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله وقولوا
آمنا بالذي انزل الينا من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم
وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلاً لم تصدقوهم
وان كان حقاً لم تكذبوهم ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب
اي انزلناه مصدقاً لسائر الكتب السماوية تحقيقاً لقوله آمنا
بالذي انزل الينا وانزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من قبلك
انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام
ومن آمن معه ومن هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين
اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من اهل الكتاب
ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال
الشبهة عنها الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل
هم كعب بن الاشرف واصحابه وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب

ولا تخطه إذن لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط لارتاب
المبطلون من أهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا أنه
أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا
لعله تعلمه أو كتبه بيده فإن قلت لم سماهم مبطلين ولو لم
يكن أميا وقالوا ليس بالذي نجد في كتبنا لكانوا صادقين محقين
ولكان أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه
رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو
أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به
لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب
فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو أن سائر الأنبياء لم يكونوا
أميين ووجب الإيمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة
الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به
من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على أن المنزلين ليسا
بمعجزين وهذا المنزل معجز فإذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به
وهو أمي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمي فإن قلت
ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي تزاول بها
الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا ألا ترى أنك
إذا قلت في الإثبات رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه
كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفي بل القرآن آيات

بينات

بينات في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن
كون آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه أكثر
الأمة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات وما كانت
تقرأ إلا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الأمة صدورهم
أناجيلهم وما يجحد بآيات الله الواضحة إلا المتوغلون في الظلم
المكابرون فمن آية وآيات أرادوا هلا أنزل عليه آية مثل
ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك إنما الآيات عند الله ينزل
أيتها شاء ولو شاء أن ينزل ما تقترحونه لفعل وإنما أنا نذير كلفت
الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أتخير
على الله آياته فأقول أنزل علي آية كذا دون كذا مع علمي أن
الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة
في ذلك ثم قال أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا
طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم
في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل
كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون إن في هذه الآية
الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة
لا يشكرونها وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل أولم يكفهم يعني اليهود
أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك
ونعت دينك وقيل إن ناسا من المسلمين أتوا رسول الله عليه

جبلت صح

آية صح

مكان صح

مثل صح

بكتف قد كتبوا فيها بعض ما تقول اليهود فلما نظر اليها القاها وقال
كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى
ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا اني قد بلغت ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني
بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على
امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين امنوا بالباطل منكم
وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله واياته اولئك هم
الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان
الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى
هدى او في ضلال مبين وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء
وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك
رسول الله فنزلت كان استعجالهم العذاب استهزاء منهم وتكذيبا
والنضر بن الحارث هو الذي قال اللهم اسقط علينا حجارة من السماء
كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل
قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره
الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا واراد بالاجل الاخرة
لما روي ان الله عز وجل وعد رسول الله ان لا يعذب قومه ولا
يستأصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر
وقيل وقت فنائهم باجالهم محيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم

امطر

امطر

العذاب

العذاب او هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم
او لانها مالهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم
على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم
ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
ويقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون اي جزاءه معنى الاية
ان المومن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد يقدر انه فيه اسلم
قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع
تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا
فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة
واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة
واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة
من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل
من ذلك وقرب من الصبر واوزع من الشكر وعن رسول الله عليه السلام
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب
الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين
بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما
كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة
فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغائب واياك ضربتك
في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون فان قلت ما معنى الفاء

بلد هو فيه

للقلب المتلفت

الاستلجاء ست شدن كار

في المخاطب

اي مشكل

في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف
لأن المعنى إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي
في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة
تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص ثم أمر عباده بالحرص على العبادة
وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد وإن شسعت
أتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت أي واجدة مرارته وكربه كما يجد
الذائق طعم المذوق ومعناه أنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء ومن كانت
هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده لنبوئنهم
لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول
للإقامة يقال ثوى في وأثوى غيره وثوى غير متعد فإذا تعدى
بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته
والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إما إجراؤه مجرى
لننزلنهم ونبوئنهم أو حذف الجار وإيصال الفعل أو تشبيه الظرف
الموقت بالمبهم وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا
على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين
وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا
في جميع ذلك إلا على الله لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل
منهم كيف أقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت وكأين كل

نفس

الشسوع [illegible]

المنزل صح

نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق
أن تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها وإياكم أي لا يرزق تلك الدواب
الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين
لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم
أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره
إنما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ إلا الإنسان
والنملة والفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه
ويقال للعقعق مخابئ إلا أنه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى
الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم الضمير في سألتهم لأهل مكة
فأنى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به
مع إقرارهم بأنه خالق السماوات والأرض قدر الرزق وقتره
بمعنى إذا ضيقه فإن قلت الذي رجع إليه الضمير في قوله
ويقدر له هو من يشاء فكأن بسط الرزق وقدره جعلا لواحد
قلت يحتمل الوجهين جميعا أن يريد ويقدر لمن يشاء فوضع
الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير
مبهما مثله وأن يريد تعاقب الأمرين على واحد على حسب المصلحة
إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم استشهد رسول الله
عليهم بما أقروا به ثم بما أقروا به نقض ذلك في توحيد الله ونفي الأنداد
والشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا كإقرار المشركين وعلى أنهم قالوا

بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم
ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان
الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون
لم حمدت الله عند مقالتهم هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها
وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة
زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون
وان الاخرة لهي الحيوان اي ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة
لا موت فيها فكانها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه
حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل
وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر
من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما
في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان
واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه
على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت
على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون
فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فان قلت بم اتصل قوله فاذا
ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم
معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين

لله

لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها اخر
وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر وامنوا
عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة ان تكون لام كي
وكذلك في وليتمتعوا فيمن قراها بالكسر والمعنى انهم يعودون
الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين
التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين
على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا
نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ
وان تكون لام الامر وقراءة من قرا وليتمتعوا بالسكون تشهد له
ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت
كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاوا
وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان
والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل
قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطاء وانه يودي
الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رايه فاذا لم تر
منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشانك
فافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والامر بالشي
مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كانك تقول له فاذ قد
ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه

ليتبين لك اذا تأملت صحة رأي المنان وفساد رأي اهل الاثان كانت العرب
حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة
قارّون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب
فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل
الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها
من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم افترائهم
على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق
كفرهم بالرسل والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم
يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوا ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح
العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية
والفكر ويستأنون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه أليس
تقرير لثوائهم في جهنم كقوله الستم خير من ركب المطايا قال
بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل
وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى
معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا
يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله
وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم
مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة اطلق المجاهدة
ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة

بالسوء

بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا
خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا
كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمان الداراني
والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم
من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا
بما لا نعلم لتقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون
بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب
ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام
او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم
الى عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم
الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن وفلسطين
وقرئ في اداني الارض والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعي
وقيل احتربت فارس والروم بين اذرعات وبصرى فغلبت
فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله والمسلمين

لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون
وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون
وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت
فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن
الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت
يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة
فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل
ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه
فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده
في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي
من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية
وذلك عند راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين
فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله فقال
تصدق به وهذه الاية من الايات البينة الشاهدة على صحة
النبوة وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي
لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب
مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت
الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا
على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند
انقضاء

انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف
باختلاف القراءتين ففي احداهما اضافة المصدر الى المفعول
وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومعناه انهم محتوم عليهم اخراجهم
ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما
هي قمار قلت عن قتادة رحمه الله ان ذلك كان قبل تحريم القمار
ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ان العقود الفاسدة
من عقود الربوا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار
وقد احتجا على صحته بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين
ابي بن خلف ومن قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرها
حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو
وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت
كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس
الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل
ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه
قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم
على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله
وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت به
من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما
اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى

بعض الظالمين بعضا ويفرق بين كلمهم حتى يتفانوا ويتناقصوا
ويفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر
المؤمنون وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصر عليكم اخرى
وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف
لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد ذمهم الله
بانهم عقلاء في امور الدنيا بله في امور الدين وذلك انهم كانوا اصحاب
تجارات ومكاسب وعن الحسن رحمه الله بلغ من حذق احدهم
انه ياخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردي هو ام جيد وقوله
يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه
وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق
بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز
الدنيا وقوله ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا و
باطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها
وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالطاعة
والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا
واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدا وغافلون
خبره والجملة خبر هم الاولى وان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبرا
للاولى وايّة كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الاخرة

ومقرها

أنه صح

٢٦٠

ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم في انفسهم يحتمل
ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة
من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال
المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر
كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف
معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا
لان في الكلام دليلا الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا
بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة
بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها ان تنتهي اليه
وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب
الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله الا بالحق مثلها
في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه
ولجامه تريد اشتريته وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك
عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي متلبسة بالحق مقترنة به فان قلت
اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه اولم
يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات
وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها
الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال

منهم

عليه صح

وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت تجازى فيه فانه الحكيم الذى دبر امرها
على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك
ان من ابدا الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها
من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى اولم يسيروا
تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود
وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم وانهم كانوا اشد منهم
قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل
لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمى ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها
تبقرها اى تشقها وعمروها يعنى اولئك المدمرون اكثر مما عمروها
من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد غير ذى زرع ما لهم اثارة
الارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم
في الدنيا لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة
وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اى عاد
وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذى خلقهم
هو اشد منهم قوة وان كان هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر
فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا
انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم وقرى عاقبة بالنصب
والرفع والسوءى تانيث الاسوء وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث
الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوءى

الا انه

احوالهم صح

وبضعفهم في دنياهم

الا انه وضع المظهر موضع المضمر اى العقوبة التى هى اسوء العقوبات
في الاخرة وهى جهنم التى اعدت للكافرين وان كذبوا ويجوز ان تكون
ان بمعنى اى لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت
في معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك ووجه آخر ان يكون
اساءوا السوءى بمعنى اقترفوا الخطيئة والتى هى اسوء الخطايا
وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو
ارادة الابهام ثم اليه ترجعون الى ثوابه وعقابه وقرى بالياء
والابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس
اذا لم ينبس هو اقنط ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرى
يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته من شركائهم من الذين
عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين اى يكفرون بالهيتهم
ويجحدونها او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعواء
في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمواء بنى اسرائيل وكذلك
كتب السوءى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف
الذى منه حركتها الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده
عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين
وهؤلاء في اسفل سافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها
في روضة في بستان وهى الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة
عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة

بمعنى لان كذبوا صح

ويئس

اى لا ينبس حتى يكون لها رغو

في روضة يحبرون يسرون يقال حبره اذا
سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلف فيه
الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة
ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان
على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله
هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه
الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق
مثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدرداء
بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة
فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع
في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا
لماتوا طربا محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم
بخارجين منها لا يفتر عنهم لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما
يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي
هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات
لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلوة وقيل لابن
عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران قال نعم وتلا هذه الاية
تمسون صلوتا المغرب والعشا وتصبحون صلوة الفجر وعشيا

الخوص ورق النخل شبهها بها لرقتها

صلوة

صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر وقوله عشيا متصل بقوله
حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما
ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه
فان قلت لم ذهب الحسن الى ان الاية مدنية قلت لانه كان
يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين
في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عايشة
رضي الله عنها فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله عليه السلام
المدينة اقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون
ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وقرى
قراة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون
فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا يخرج الحي من الميت
الطاير من البيضة ويخرج الميت من الحي البيضة من الطاير واحياء
الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج
تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة
متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج
الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحيا الميت واماتة الحي

وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء خلقكم من تراب لانه
خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا
منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء من انفسكم
ازواجا لان حوا خلقت من ضلع ادم والنساء بعدها خلقت من
اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس اخر وذلك
لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين
المختلفين من التنافر وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الازواج
بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب
التعاطف من قرابة او رحم وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده
ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمان اليه
ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول
وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان
الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف عز وجل
بين هذه الاشيا حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد
ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب
ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها
والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو
اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس

ولتعطلت

ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توامين يشتبهان في الحلية
فيعروك الخطا في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين
الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا
من اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون
وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى
وما يعقلها الا العالمون هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم
من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين
الاخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشي واحد مع اعانة اللف
على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر
هو الاول لتكرره في القران واسد المعاني ما دل عليه القران
يسمعون اي يسمعونه بالاذان الواعية في يريكم وجهان اضمار ان وانزال
الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه
وقول القائل وقالوا ما تشا فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي
اثير خوفا من الصاعقة او من الاخلاف في الغيث وقيل خوفا
للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له فان قلت
من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف
والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون
في المعنى لانهم راؤون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا
والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع

فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين
أي خائفين وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد ومن آياته أن تقوم السماء
والأرض واستمساكهما بغير عمد بأمره أي بقوله كونا قائمتين
والمراد بإقامتهما وإرادته لكونهما على صفة القيام دون
الزوال وقوله إذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في إيقاع الجملة موقع
المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السماوات والأرض
ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل
القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف
ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل
دعوت كليبا دعوة فكأنما دعوت له ابن الطود أو هو أسرع
يريد بابن الطود الصدى أو الحجر إذا تدهدى وإنما عطف هذا على
قيام السماوات والأرض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر
واقتداره على مثله وهو أن يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى
نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال عز وجل ثم نفخ
فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون كقولك دعوته من مكان كذا كما
يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت
زيدا من أعلى الجبل فنزل علي ودعوته من أسفل الوادي فطلع
إلي فإن قلت بم يتعلق من الأرض أبالفعل أم بالمصدر قلت
هيهات إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل فإن قلت ما الفرق

س أو

بين إذا وإذا قلت الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء
في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها قانتون منقادون
لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو أهون عليه فيما يجب عندكم
وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة
شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها ويعتذرون للصانع إذا
خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم أول الغزو أخرق ويسمون الماهر
في صناعته معاودا يعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرن
عليها وهانت عليه فإن قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو الصلة
في قوله وهو أهون عليه والمراد به الإعادة قلت معناه وأن يعيده
أهون عليه فإن قلت لم أخرت الصلة في قوله وهو أهون عليه
وقدمت في قوله علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص وهو
محزه فقيل هو علي هين وإن كان مستصعبا عندكم أن يولد بين
هم وعاقر وأما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والأمر مبني على
ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير
المعنى فإن قلت ما بال الإعادة استعظمت في قوله ثم إذا
دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السماوات والأرض بأمره
ثم هونت بعد ذلك قلت الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت
بالقياس إلى الإنشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه أن
البعث أهون على الخلق من الإنشاء لأن تكوينه في حد الاستحكام

والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان ينقله في اطوار التدريج فيها
الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو ان
الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا
يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء
الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج
عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله وهو القبيح وهو رديف
المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل
والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب
لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال
من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب
كانت ادخل في التأتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت
اهون منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف
الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات
والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر
الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات
ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل مقدور الحكيم
الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل
الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي
هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم

وقال

وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه
قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التشبيه الاول فان قلت
اي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من انفسكم مما
ملكت ايمانكم من شركاء قلت الاولى للابتداء كانه قال اخذ
مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعده والثانية
للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي
ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر
وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها
تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد
تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم
كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف
ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض
عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الآيات اي نبينها
لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير
والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين
ظلموا اي اشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم بغير علم
اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه
علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء
من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له

فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بشيء عقد عليه طرفه وسدد نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه وحنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله الزموا او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الجن والانس ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص

التلخيص

من الدين

وجهه صح

الدين انظره الله صح

يولد صح

من الذين فرقوا دينهم من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله كل خليل غير هاضم نفسه الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز مثلها في ليكونوا لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه وليتمتعوا السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القران ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة فانكر عليهم بانهم قد علموا انه

هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون
اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى
يعيد اليهم رحمته حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين
وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة
رحمه الله بهذه الاية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا
محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة
بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن
العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف تعلق قوله فآت
ذا القربى حقه بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة
اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب
ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته
وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ويقصدون جهة التقرب الى الله
لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة هذه الاية
في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربوا ويربي الصدقات سواء
بسواء يربو وما اعطيتم اكلة الربوا من ربا ليربو في اموالهم
ليزيد في اموالهم ويزكوا في اموالهم فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه
وما آتيتم من زكوة اي صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون
مكافاة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف

من

من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار
وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف كانوا يربون وقيل
المراد ان يهب الرجل للرجل ويهدي له ليعوضه اكثر مما
وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب
على تلك الزيادة وقالوا الربوا ربوان فالحرام كل قرض يوخذ فيه
اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته او
بهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ
وما اتيتم من ربوا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربوا
وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي الصدقات
اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال
لملائكته وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم
هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى
المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو
ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام
من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املأ بالفائدة الله
مبتدا وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة
التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم
الذين اتخذتموهم اندادا له من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط
من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من شركائهم

ويجوز ان يكون الذى خلقكم صفة للمبتداء والخبر هل من شركائكم
وقوله من ذلكم هو الذى ربط الجملة بالمبتداء لان معناه من افعاله
ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد
لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم الفساد في البر والبحر نحو الجدب
والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع
الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق
الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شىء وقلة المنافع
في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت
مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر
وعن الحسن رحمه الله ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التى على
شاطئه وعن عكرمة العرب تسمى الامصار البحار وقرئ في البر
والبحور بما كسبت ايدى الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله
تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس
ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان جلندى كان
يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث
رسول الله رجع راجعون عن الضلالة والظلم ويجوز ان يريد
ظهور الشر والمعاصى بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى قوله
ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على
التفسير الاول فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم

ومحقها

الموتان الموت يقع في الدواب

اى رجع قوم راجعون في الاسلام ورجوعهم

ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها
في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثانى فاللام مجاز
على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله
وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكأنهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصى
في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب
المعاصى لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف
اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله
كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم
وان ما دونه من المعاصى يكون سببا لذلك القيم البليغ الاستقامة
الذى لا يتأتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق بيأتى فيكون المعنى
من قبل ان يأتى من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون
ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجىء به ولا رد له من جهته
والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون اى يتفرقون كقوله ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية
وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به
كل مضرة فلانفسهم يمهدون اى يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه
الذى يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه
عليه وينغص عليه مرقده من نتوء وقضض او بعض ما يؤذى
الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق

في الارض

القضض التراب الذى يعلوا الفراش وبعض الحصى صغيرها

ام قد نسيت فلما أمت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها فان قلت

المؤتفكات الرياح التي تهب من ههنا ومن ههنا

بم تعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها اخص الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية واظهار لفضيلة سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين فيبسطه متصلة تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء وباصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك اثر وآثار على التوحيد والجمع وقرأ ابو حيوة وغيره كيف تحيي اي الرحمة

إن ذلك يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي
الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة
المقدورات بدليل الانشاء قرئ آثار وأثر رحمة الله الا ان رحمة الله
هي الغيث وآثارها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه
لان معنى آثار الرحمة النبات يقع على القليل والكثير لانه
مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على
حرف الشرط لظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين اعني جواب
القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل فانه
اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم
مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا
فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله
فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان
يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها
فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا
فالريح التي اصفر لها النبات يجوز ان تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما
مما يصوح به النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة
حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر
قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القرآن لما
روى ابن عمر قال قرأتها على رسول الله من ضعف فأقرأني

واسم صح النبات

القطر صح

الصفار ان يصفر بها الزرع

من ضعف

من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل
يعني ان اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف خلق
الانسان ضعيفا اي ابتدأناكم في اول الامر ضعافا وذلك حال
الطفولية والنشاء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة
وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل
حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف
من النطف كقوله من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة
والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد
على الصانع العليم القدير الساعة القيامة سميت بذلك
لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة
وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم
للثريا والكوكب للزهرة وارادوا لبثهم في الدنيا او في القبور
او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا
الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة
ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم
وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له او
ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون اي مثل ذلك
الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا
كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون

صح الى صفة

في الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا ساعة القايلون ذلك الملايكة والانبياء
والمؤمنون في كتاب الله في اللوح او في علم الله وقضايه او فيما كتبه اي اوجبه
بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك
بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون
انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه **فان قلت** ما هذه الفاء وما
حقيقتها **قلت** هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب
شرط يدل عليها الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما
يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث
فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم وقرا الحسن يوم البعث
بالتحريك لا ينفع قرئ بالتاء والياء يستعتبون من قولك استعتبني فلان
فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة
اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر
يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا
اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا
ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون
فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في الباب وغير معتبين
في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين **قلت** اما كونهم
غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين
بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني

غير را

اوله: قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا من البلاد

اي غضبت هذه القبيلة بقتل عامر في ذلك اليوم فارضوا بالسيف

غير راضين عنه فان يستعتبوا الله اي يسالوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين
الى ازالته ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم
كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون
وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة
قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جيتهم باية من آيات القرآن
قالوا جيتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب
الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل
الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ
الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية
عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو
وتصدا قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله
في تلك الصفة فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك
على الدين كله حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق
جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع
منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرا ابن ابي اسحق ويعقوب
ولا يستحقنك اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله بين السماء
والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

ذلك صح

وكانه صح

سورة لقمان مكية وهي اربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي
ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قايله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى
ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى
الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدإ محذوف
للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة والايقان بالآخرة ونظيره قول اوس الالمعي
الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا حكي عن الاصمعي
انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن
من الاعمال ثم خص منهم القايمين بهذه الثلث لفضل اعتداد بها
اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر
بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات
والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء
وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن
الحارث كان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا
ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث
رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه

ويتركون

ويتركون سماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد
يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا
خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث
النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن
ولا اثمانهن وعنه عم ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله اليه شيطانين
احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان
بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة
للرب مفسدة للقلب فان قلت ما معنى اضافة اللهو الى الحديث
قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه
كقولك جبة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو
يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث
المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة
الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس
من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري اما من الشراء
على ما روي عن النضر من شراء كتب الاعاجم او من شراء القيان
واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه
وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق
وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القرآن
فان قلت القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو

هو الذي

صح

أن يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه
فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي
كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة
في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل
من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فان قلت
ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن
قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال
بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري
او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله وتصدون عن سبيل الله
من آمن به تبغونها عوجا ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا
تشبيه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في اذنيه وقرا اي ثقلا
ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكأن
قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا
استئنافين والاصل في كأن المخففة والضمير ضمير الشأن وعد الله حقا مصدران
مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات
النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد واما حقا
فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله
لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على

كأن المخففة كأنه صح

بالوعد

الشيء

الشيء وضده فيعطي النعمة من يشاء والبؤس من يشاء وهو الحكيم لا يشاء
الا ما توجبه الحكمة والعدل ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد
برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف
ولا رمح تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها
لانها مستأنفة او هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني
انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته هذا اشارة الى ما ذكر
من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان
هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشأه فأروني ما خلقته آلهتكم
حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم
بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال لقمان هو لقمان بن باعوراء ابن اخت
ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة
وادرك داود عليه السلم واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود
فلما بعث داود قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت وقيل
كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن
عباس رضي الله عنه لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود
فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القرآن
لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين
النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان اسود من سودان
مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين

انك صح

وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم
حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه
يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان
رجلا وقف عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال
بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي
انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين
فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت
فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما
وروي ان مولاه امره بذبح شاة بان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج
اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين
فاخرج اللسان والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا
طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود
لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى
عمر ولقمان ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله
على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له
حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر
حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد قيل كان اسم ابنه انعم وقال
الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال بهما حتى اسلما
لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة

منه

منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم ولا نعمة عظيمة اي حملته تهن
وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا
على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق
ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم
ازدادت ثقلا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن ابي عمرو يقال
وهن يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا
ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء
يريد الاصنام كقوله وما يدعون من دونه من شيء معروفا صحابا
او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل بحلم واحتمال وبر وصلة وما
يقتضيه الكرم والمروءة واتبع سبيل من اناب الي يريد سبيل
المؤمنين في دينك فلا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن
مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعكم ومرجعهما فاجازيك على
ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان
في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما
من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الاخرة
وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة انها
مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروي
انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر
فان قلت هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمان قلت

صحابا صح

واتبع صح

الله صح

هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا لما في وصية
لقمان من النهي عن الشرك فان قلت حملته امه وهنا على
وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت
لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب
في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة
خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك
ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الحاج على ظهره وهو يقول
في حدائه بنفسه احمل امي وهي الحماله ترضعني الدرة والعلاله
فلا يجازى والد فعاله فان قلت ما معنى توقيت الفصال
بالعامين قلت المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي
لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان
علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله
عز وجل والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن
اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رحمه الله على ان
مدة الرضاع سنتان لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو
مذهب ابي يوسف ومحمد رحمهما الله واما عند ابي حنيفة رحمه الله
فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن ابي حنيفة ان فطمته قبل العامين
فاستغنى بالطعام ثم ارضعته فلم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا

لم

لم يستغن به عن الرضاع ثم انقطع فهو رضاع محرم وقرئ مثقال حبة
بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان
اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها
في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي
او السفلي يأت بها الله يوم القيامة فيحاسب بها عاملها ان الله
لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف
باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما انث
المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم
وروي ان ابن لقمان قال له ارأيت الحبة تكون في مقل البحر اي
في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة
لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء وقيل هي التي تحت الارض
وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن
الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا واصبر على ما اصابك
يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه
فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم
على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي
قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام
من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام
ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم

عَزْمَةٌ مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا ومنه عزمات الملوك وذلك أن يقول الملك
لبعض من تحت يده عزمتُ عليك إلا فعلتَ كذا اذا قال ذلك لم يكن
للمعزوم عليه بُدٌّ من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته أنه من تسمية
المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور من قوله تعالى
فإذا عزم الأمر كقولك جد الأمر وصدق في معنى الفاعل [illegible]
الأمور من قوله تعالى فإذا عزم الأمر كقولك جد الأمر وصدق القتال
وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأمورا
بها في سائر الأمم وأن الصلوة لم تزل عظيمة الشأن سابقة القدم على ما
سواها موصى بها في الأديان كلها تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف
يقال أصعر خده وصعّره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى
والصَّعَر والصَّيَد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى
أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما
يفعل المتكبرون أراد ولا تمش تمرح مرحا أو أوقع المصدر موقع
الحال بمعنى مرحا ويجوز أن يريد لا تمش لأجل المرح والأشر أي لا
يكن غرضك في المشي البطالة والأشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية
مهم ديني أو دنيوي ونحوه قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر
خده كبرا واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب
دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه

أي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز أن يكون مصدرا في معنى الفاعل أصله من عازمات الأمور

فيه وجوه بلا أنه مفعول مطلق وحال أو المفعول له

سرعة

سُرْعَةُ المشي تُذْهِبُ بهاءَ المؤمن وأما قول عائشة رضي الله عنها في عمر
رضي الله عنه كان إذا مشى أسرع فإنما أرادت السرعة المرتفعة
عن دبيب المتماوت وقرئ وأَقْصِدْ بقطع الهمزة أي سدِّد في مشيك
من أقصد الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك
وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع
منه إن أنكر الأصوات أوحشها من قولك شيء نُكُر إذا أنكرته النفوس
واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة
وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه أنهم
يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الأذنين
كما يكنى عن الأشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الآداب أن يجري
ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار
استنكافا وإن بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير
وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه
مخرج الاستعارة وأن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة
في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه
وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان فإن قلت لم وحد صوت الحمير
ولم يجمع قلت ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا
الجنس حتى يجمع وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت
وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذه الجنس فوجب توحيده

٢ نسخة الحال النفير

ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض
البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين
والصاد وهكذا كل سين اجتمع مع الغين والخاء والقاف تقول في سلخ
صلخ وسقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ونعمة ونعمته فان قلت
ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله خلق العالم كله نعمة
لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان
نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة ~~على الحيوان والحيوان نعمة من حيث~~
~~ان ايجاده حيا~~ نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل
ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم كان خلق العالم
مقصودا به الاحسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا
والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع
لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع
الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة
قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل
او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم
بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء
والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن رحمه الله الظاهرة
الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة
وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع

واللسان

وفي سالغ صالغ المسن من البقر

الى ح

اي لا يعلم الانسان ذلك النعمة

واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم
وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى صلوات الله عليه الهي دلني
على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان
ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس معناه ايتبعونهم
ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى
العذاب قرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد
يقال اسلم امرك الى الله فان قلت ماله عدي بالى وقد عدي باللام
في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام انه
جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه
مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد
التوكل عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل
مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه
بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه والى الله
عاقبة الامور اي هي صائرة اليه قرئ يحزنك ويحزنك من حزن واحزن
والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك
كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره
ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده
فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم
الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار

بالى ح

المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار
من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب قل الحمد لله
الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله
وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال
بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا ان الله
هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه وقرئ والبحر
بالنصب عطفا على اسم انّ وبالرفع عطفا على اسم انّ اتبعا الرفع
عطفا على محل انّ ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت
البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى
ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود
وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل هذا على الوجه الاول وقرئ
يمده ويمده بالتاء والياء فان قلت كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان
الشجر اقلام والبحر مداد قلت اغنى عن ذكر المداد قوله يمده
لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة
وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا
صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود
بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما
نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت

ان

ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير
راجع الى ذي الحال قلت هو كقوله وقد اغتدي والطير في وكناتها
وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم
الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض فان قلت
لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر
قلت اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس
الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما فان قلت الكلمات جمع قلة
والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه
ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس انها نزلت
جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل
ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحي كلام سينفد فاعلم الله
ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة
وقيل مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله الست
تتلو فيما انزل عليك انا قد اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء ان الله عزيز
لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته
وحكمه الا كنفس واحدة كخلقها وبعثها اي سواء في قدرته القليل
والكثير والواحد والجمع لا تتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت
النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شان
عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير يسمع

كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض فكذلك الخلق
والبعث. كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه إلى وقت معلوم
الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر. وعن الحسن رحمه الله
الأجل المسمى يوم القيامة لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ. دل أيضا
بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما
كل ذلك على تقدير وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته
وحكمته. **فإن قلت** يجري لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب
الحرفين **قلت** كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق
العطن ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم
لصحة الغرض لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه
وقولك يجري لأجل مسمى تريد يجري لإدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك
أجل مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر
بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه. ذلك الذي وصف
من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون
العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو
الحق الثابت إلهيته وأن من دونه باطل الإلهية وأن الله هو
العلي الشأن الكبير السلطان أو ذلك الذي أوحي إليك من هذه الآيات
بسبب بيان أن الله هو الحق وأن إلها غيره باطل وأن الله هو
العلي الكبير عن أن يشرك به. وقرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه

فعل

على صح

أعني صح

تجري صح

فعل كالجونة كما يجوز في فعل على مذهب التعويض. وبنعمات الله بسكون
العين وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون. بنعمة الله
بإحسانه ورحمته. صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا
المؤمن فكأنه قال إن في ذلك لآيات لكل مؤمن. يرتفع الموج ويتراكب
فيعود مثل الظلل. والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما
وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال. فمنهم مقتصد متوسط في الكفر
والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد في الإخلاص
الذي كان عليه في البحر يعني أن ذلك الإخلاص الحادث في البحر عند
الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر. وقيل مؤمن قد ثبت على
ما عاهد عليه في البحر. والختار أشد الغدر ومنه قولهم إنك لا تمد لنا
شبرا من غدر إلا مددنا لك باعا من ختر. قال: وإنك لو رأيت أبا عمير
ملأت يديك من غدر وختر. لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل
للمتقاضي المتجازي. وفي الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن أحد
بعدك. وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال أجزأت عنك مجزأ فلان. والمعنى لا يجزي
فيه فحذف. والغرور الشيطان. وقيل الدنيا. وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة
وعن سعيد بن جبير الغرة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله
المغفرة. وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة. وقرئ بضم الغين
وهو مصدر غره غرورا جعل الغرور غارا كما قيل جد جده أو أريد زينة الدنيا
لأنها غرور. **فإن قلت** قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد

أريد صح

على طريق من التأكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الأمر
كذلك لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو
وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين
وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فأريد حسم أطماعهم
وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن
يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على طريق الآكد ومعنى التوكيد
في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه
لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لأن الولد يقع
على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك روي أن رجلا
من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها إني قد ألقيت
حباتي في الأرض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر وأخبرني عن امرأتي
فقد اشتملت ما في بطنها أذكر أم أنثى وإني علمت ما عملت أمس
فما أعمل غدا وهذا مولدي فقد عرفته فأين أموت فنزلت وعن النبي
صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس
من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب إياكم والكهانة فإن الكهانة
تدعو إلى الشرك والشرك وأهله في النار وعن المنصور أنه أهمه
معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر
وأشار إليه بالأصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين
بخمسة

وبخمسة أشهر وبخمس ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن مفاتح
الغيب خمسة ولا يعلمها إلا الله وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه
عنده علم الساعة أيان مرساها وينزل الغيث في إبانه من غير
تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الأرحام أذكر أم أنثى
أتام أو ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال وما تدري نفس برة
أو فاجرة ماذا تكسب غدا من خير وشر وربما كانت عازمة
على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس
أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها
وأقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها
ولا حدثتها به ظنونها روي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل
ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا
قال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان أن يحمله على
الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان
كان دوام نظري إليه تعجبا منه لأني أمرت أن أقبض روحه
بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية
من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وإن أعملت حيلها
ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه
وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما
أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيث أي بتأنيث كل

في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم على انها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى من وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك

ثم

خبر مبتدا صح

وعند اهل السنة اول الواجبات الايمان

ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته فان قلت كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب فيه ان [illegible] للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب وممیطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لانه سمع الناس يقولونه ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله ما انذر آباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهارون عليهما السلام وان يستعار لفظ الترجي للارادة فان قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير

ان لا مدخل

انه صح

معهم صح

الامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبراً من السماء
الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريده
ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده
وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص
ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها
من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه
ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه
المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ
المدة آخرها ثم يدبر ايضاً ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة
وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض ثم يرجع اليه
ما كان من قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت هو في
الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط و
الصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو
يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة
في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى
ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم
فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة وقرأ ابن ابي عبلة
يعرج على البناء للمفعول وقرئ يعدون بالياء احسن كل شيء
حسنه

خلقه صح

حسنه لانه ما من شيء الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته
المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن
كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه
من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه
معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن
خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه
سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه
ونحوه قولهم للولد سليل ونجل سواه قومه كقوله في احسن تقويم
ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه
الا هو كقوله ويسألونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه
من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته وقالوا قيل القائل
ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعاً وقرئ
ائنا وانا على الاستفهام وتركه ضللنا صرنا تراباً وذهبنا مختلطين
بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض
بالدفن فيها من قوله وآب مضلوه بعين جلية وقرأ علي
وابن عباس رضي الله عنهما ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل
يضل وقرأ الحسن رحمه الله صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن
وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض فان قلت بم انتصب
الظرف في ائذا ضللنا قلت بما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو

تمامه
وغودر بالجولان حزم ونائل

نبعث او نجدد خلقنا بل هم بلقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت
وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر
وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى
كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين
للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي
استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس
وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك
توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كملا من غير
نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقضيته واستقضيته
وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد رحمه الله حويت لملك الموت
الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة
يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح
فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال
وليتك ترى كقوله عليه السلم للمغيرة لو نظرت اليها والتمني
لرسول الله كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم
الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على
تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون
لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت امرا فظيعا او لرأيت

يلتقيان صح

اسوى حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته
اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكانك
قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك
لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى
ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون
بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك
ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا
فارجعنا هي الرجعة الى الدنيا لآتينا كل نفس هداها على طريق
الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار
فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى
دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل
ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها
وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك
في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها
ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل
هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة
وفي استئناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد
في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس
والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد

في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة إذا ذكروا بها
أي وعظوا سجدوا تواضعاً لله وخشوعاً وشكراً على ما رزقهم الله
من الإسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح إليه
وأثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبراً
كأن لم يسمعها ومثله قوله إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى
عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع
عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لأجل خوفهم
من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة نادى مناد
بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى
بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون
وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء
والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب
سائر الناس وعن أنس بن مالك رضي الله عنه كان أناس من أصحاب
رسول الله يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة
فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها ما أخفي
على البناء للمفعول وما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه
ما أخفي لهم ما نخفي لهم وما أخفيت لهم إنا الله للمتكلم وهو الله
وما بمعنى الذي وقرئ من قرة أعين وقرات أعين والمعنى لا تعلم النفوس

كلهن

آية سجدة

سبحان صح

في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن رحمه الله أنه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

كانت صح

ثم ينادي مناد ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل صح

ورضي عنهم صح

الذي أو بمعنى صح

كلهن ولا نفس واحدة منهن ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم
من الثواب ادخر الله لأوليائه وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو
مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال
جزاء بما كانوا يعملون فحسم أطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه
يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤوا إن شئتم
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعن الحسن أخفى القوم أعمالاً
في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت أفمن كان مؤمناً
كمن كان فاسقاً محمولان على لفظ من لا يستوون محمولان على المعنى بدليل قوله
أما الذين آمنوا وأما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع
إليك حتى إذا خرجوا من عندك جنات المأوى نوع من الجنان
قال عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها
جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال تأوي إليها
أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى
على التوحيد نزلاً عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاماً
فمأواهم النار أي ملجأهم ومنزلهم ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار
أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم
العذاب الأدنى عذاب الدنيا من القتل والأسر وما محنوا به
من السنة سبع سنين وعن مجاهد رحمه الله عذاب القبر والعذاب الأكبر

عذاب الآخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الاخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وتدل عليه قراءة من قرا يرجعون على البناء للمفعول فان قلت من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذايقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد الله شيا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم والجاهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملا منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمومنين والفاسقين فتناولتهما وكل من

منك جلدا م

في مثل

في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنه انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مومنا في عشر آيات وسماك فاسقا ثم في قوله ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل هذه الآيات في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان راها واستيقنها واطلع على شدتها فان قلت هلا قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام منهم ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه انا آتينا موسى الكتاب مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه

الكتاب صح

وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التورية من دين الله وشرايعه لصبرهم وايقانهم بالايات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسرا او يوم القيامة وقيل من لقاء موسى الكتاب اي تلقيه له بالرضا والقبول وقرى لما صبروا ولما صبروا اي لصبرهم عن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التورية هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسماعيل يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة وقرى بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا يقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرى يمشون بالتشديد الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى فنخرج به زرعا وعن ابن عباس

انها

انها ارض اليمن وعن مجاهد هي ابين به بالماء تاكل منه من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه وقرى ياكل بالياء الفتح النصر والفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كاين ويوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدايهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رحمه الله يوم فتح مكة فان قلت قد سالوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سوالهم قلت كان غرضهم في السوال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا به على حسب ما عرف من غرضهم في السوال فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزءوا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا فان قلت من فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد المقتولون منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لا ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم

السجدة

على حسب ما

انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم لقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون وقرا ابن السميفع منتظرون

يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي
بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وقال من قرأ
الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عن زر قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت
ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل
سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا
زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي رضي الله عنه
ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في
صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة
والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي
لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى
يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وتنويها بفضله فان قلت
ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما
محمد الا رسول قلت ذلك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين لهم ان
يسموه ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم
يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء

لقد

لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي اتق الله واظب على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه
وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين
والمنافقين لا تساعدهم على شيء واعتراء رأيا ولا مشورة وجانبهم
واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة
والمضادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى
المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع
وقد بايعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم
وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجافى عنه وكان يسمع منهم فنزلت
وروي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور
السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم
عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للرسول الله
ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت
اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل
مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا
رسول الله صلى الله عليه الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم

ولا تقبل منهم صح

على النفاق حال اي بايعوا وفي قلبهم نفاق

الموادعة صح

وأن يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوّفه منافقو المدينة أنهم
يقتلونه إن لم يرجع فنزلت إن الله كان عليما بالصواب من الخطأ
والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يأمر به إلا بداعي الحكمة واتبع
ما يوحى إليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك إن الله الذي
يوحي إليك خبير بما تعملون فموحٍ إليك ما تصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم
إلى الاستماع من الكفرة وقرئ بما يعملون بالياء أي بما يعمل المنافقون
من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله وأسند أمرك إليه وكله إلى
تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا إليه كل أمر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى أن الله
سبحانه كما لم ير في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل
بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير
محتاج إليها وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي إلى اتصاف
الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير أيضا
أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل زوجا له لأن الأم مخدومة مخفوض لها
الجناح والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره
كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل
وابنا له لأن البنوة أصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة إلصاق
عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير
أصيل وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي

صغيرا

صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه
حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخيّر فاختار رسول الله فأعتقه وكانوا
يقولون زيد بن محمد فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد
أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب
وأرواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن أسد الفهري
وكان يقول إن لي قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروي أنه
انهزم يوم بدر فمر بأبي سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى
في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له
ما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك فقال ما ظننت إلا أنهما في رجلي
فأكذب الله قوله وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان
المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم الله وقيل سها في صلاته
فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن
نزلت في أن الواحد يقول نفسي تأمرني ونفسي تنهاني والتنكير
في رجل وإدخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى
كأنه قال ما جعل الله لأمة الرجال ولا لواحد منهم قلبين ألبتة في جوفه
فإن قلت أي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة
في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة
التصور والتجلي للمدلول عليه لأنه إذا سمع به صوّر لنفسه جوفا

يشتمل على قلبين فكأنه أشبه إلى الإنكار قرئ اللائي بياء وهمزة
مكسورتين واللاء بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر
وتظّهّرون من اظّهّر بمعنى تظهّر وتظهّرون من ظهّر بمعنى ظاهر كعقد
بمعنى عاقد وتُظْهِرون من أظهر بلفظ فعّل من الظهور ومعنى ظاهر
من امرأته قال لها أنت علي كظهر أمي ونحوه في العبارة عن اللفظ
لبّى المحرم إذا قال لبيك وأفّف الرجل إذا قال أفّ وأخوات لهن
فإن قلت فما وجه تعديته وأخواته بمن قلت كان الظهار طلاقا
عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون
المطلقة فكان قولهم تظاهر منها بمعنى تباعد منها بجهة الظهار وتظهّر
منها تحرّز منها وظاهر منها حاذر منها وظهّر منها وحّش منها وظهر منها
خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضُمّن معنى التباعد منها عُدّي
بمن وإلا فآلى في أصله الذي هو بمعنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه
فإن قلت ما معنى قولهم أنت كظهر أمي قلت أرادوا أن يقولوا
أنت علي حرام كبطن أمي فكنّوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن
الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وإنما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر
لأنه عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به أحدهم على عمود
بطنه أراد على ظهره ووجه آخر أن إتيان المرأة وظهرها إلى السماء
كان محرما عندهم محظورا وكان أهل المدينة يقولون إذا أتيت المرأة
ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول فلقصد المطلق منهم إلى التغليظ

في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه
فلم يترك فإن قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى
ولدا فما له جمع على أفعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي وأتقياء
وشقي وأشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت إن شذوذه
عن القياس كشذوذ قتلاء وأسراء والطريق في ذلك التشبيه اللفظي
ذلكم النسب وهو قولكم بأفواهكم هذا ابني لا غير من غير أن يواطئه
اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول إلا ما هو حق ظاهره
وباطنه ولا يهدي إلا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو
سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم هو أدخل الأمرين في القسط
والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى
على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل
كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه إلى نفسه
وجعل له نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه
فيقال فلان بن فلان فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم فهم إخوانكم
في الدين وأولياؤكم فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما أخطأتم
ويجوز أن يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت
قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين
جاهلين قبل ورود النهي ولكن الإثم فيما تعمدتموه بعد النهي أو لا إثم عليكم
إذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه

مثل صح

وبين أن دعاءهم لآبائهم صح

له مثل صح

متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطاء دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام
ما اخشى عليكم الخطاء ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتي الخطاء
والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطاء التبني وعمده فان قلت
فاذا وجد التبني فما حكمه قلت اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر
سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب
وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة
وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني
وان كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطاء والعمد
اذا تاب العامد النبي اولى بالمؤمنين في كل شيء من امور الدين
والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب ان يكون عليهم احب
اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها
وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها
فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا
ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو
ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه
فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او
وهو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى
بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا انا
اولى به

الإعضال [illegible]
[illegible]
الوقاء كل ما وقيت به

اولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
فايما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا
فالي وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المؤمنون
اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم تشبيه
لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم
نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء
ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات
النساء تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم
امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت
لهن سائر احكام الامهات كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون
بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم
باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل
التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه
وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله
عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي
الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز
ان يكون لابتداء الغاية اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين
بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة فان قلت مم استثنى ان تفعلوا

واحترامهن

[illegible] الى [illegible] الإسلام
وهو [illegible]
والمواخاة

قلت من أعم العام في معنى النفع والإحسان كما تقول القريب أولى
من الأجنبي في الوصية يريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة
وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية
لأنه لا وصية لوارث وعدّي تفعلوا بإلى لأنه في معنى تسدوا وتزلّوا
والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ذلك إشارة
إلى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستأنفة
كالخاتمة لما ذكر من الأحكام واذكر حين أخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم
بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح و
إبراهيم وموسى وعيسى وإنما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة عند
تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة
من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم
وشهادتهم فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم
وكانوا مؤمنين أو ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن
من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله أو ليسأل الأنبياء
ما الذي أجابتهم به أممهم وتأويل مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم
كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله
فإن قلت لم قدم رسول الله على نوح فمن بعده قلت هذا
العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان
محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان أنه أفضلهم

ولولا

أسدى عدي بعلى لتضمن معنى أسدى

ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه فإن قلت فقد قدم عليه نوح في الآية
التي هي أخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا
إليك ثم قدم غيره قلت مورد هذه الآية على طريقة خلاف
طريقة تلك وذلك أن الله عز وجل إنما أوردها لوصف دين الإسلام
بالأصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه
نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث
وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير فإن قلت
فما أراد بالميثاق الغليظ قلت أراد به ذلك الميثاق بعينه معناه
وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف
الأجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ
اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فإن قلت علام عطف قوله وأعد
للكافرين عذابا أليما قلت على أخذنا من النبيين لأن المعنى أن الله
أكد على ما ذكر عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين
وأعد للكافرين اذكروا ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق
إذ جاءتكم جنود وهم الأحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وجنودا
لم تروها وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة
في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة
فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور

على صح

فماذا أراد

سفت الريح التراب سفا

وما احتاجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة
في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم
بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله
باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي
رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره
والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام
واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين
حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر
ان نذهب الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة آلاف
من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج
غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن
وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير
ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي
بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر تعالى اذ جاؤكم من فوقكم
من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل
الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة
حتى نستأصل محمدا واذ زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى
نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا
الى عدوها لشدة الروع الحناجر رأس الغلصمة وهو منتهى الحلقوم

مدخل

الحلقوم مجرى النفس والمرئ مجرى الطعام والشراب

مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع
او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى
رأس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا
في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله
الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام
والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم
الايمان الا بألسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا
الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم
وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون
وظن المؤمنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل
والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف زادوها في الفاصلة
كما زادوها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك
الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى
الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو
اشمام زاي زلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم
اشد الازعاج الا غرورا قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الاحزاب
قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا
ما هذا الا وعد غرور طائفة منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه على
رأيه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه يا اهل يثرب اسم المدينة

الفزع

الامام مصحف عثمان رضي الله عنه

وقيل ايضا وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم
وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه او تقيمون فارجعوا
الى المدينة امروهم بالهرب عن عسكر رسول الله وقيل قالوا لهم
ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان
قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة
ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه
العدو والسارق ويجوز ان تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا
ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا
محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله
بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم
المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره
من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة
التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت
على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك
الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين
لاتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ لآتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا
اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف
او ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى
انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله

والمؤمنين

والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤوهم هولا ورعبا وهؤلاء
الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر
وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما
ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر
وتهالكهم على حزبه عن ابن عباس رضي الله عنه عاهدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم
وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن
وعن محمد بن اسحاق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعدما نزل فيهم
ما نزل مسؤولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به لن ينفعكم الفرار مما
لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار
مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض
المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية
فقال ذلك القليل نطلب فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة
السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم
بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا
سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع
المعوقين المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون
كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله ما محمد عليه
واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم

الكبس [illegible]

اي تعللوا [illegible]

يا ليت زوجك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا ومثاله هذا قوله
وعلفتها تبنا وماء باردا [illegible]
[illegible]

وهلموا الينا اى قربوا انفسكم الينا وهى لغة اهل الحجاز يسوون فيه
بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال
وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم
الا قليلا يخرجون مع النبي يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون
ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا
اشحة عليكم فى وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل
بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليك فى تلك الحالة
كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا
ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة
نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال
والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم
وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم
عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على الذم وقرئ
اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فان قلت هل يثبت للمنافق
عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان
الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل المنافق
من الاعمال يجزى عليه فبين لهم ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه
باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح
وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس

الا اتيانا قليلا صح

وانما

وانما يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت ما معنى قوله وكان
ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم حقيقة
بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون ان
الاحزاب لم يذهبوا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة
راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط
وان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة
انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب يسألون عن كل
قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا
فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا تعلة رياء وسمعة
وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفى رواية صاحب
الاقليد بديا بوزن عدى ويساءلون اى يتساءلون ومعناه يقول
بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يسألون الاعراب كما
تقول رأيت الهلال وتراءيناه كان لكم ان تواسوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما اساكم بنفسه فى الصبر
على الجهاد والثبات فى مرجحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد
وشج وجهه فان قلت ما حقيقة قوله لقد كان لكم فى رسول الله
اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت فيه وجهان احدهما
انه فى نفسه اسوة حسنة اى قدوة وهو المؤتسى به اى المقتدى به
كما تقول فى البيضة عشرون منا حديد اى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد

مع ان نفسه

والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه
لمن كان يرجو الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم
يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد
او يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل او الخوف
وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال
الصالحة والمؤتسي برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك وعدهم الله
ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم
واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
فايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي عليه السلام لاصحابه
ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او
عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او
البلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره من المؤمنين رجال
من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا
وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا
ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر
الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب
قلت وقع عبارة عن الموت لان كل حي لابد له من الموت فكأنه نذر

اقبلوا صح

لازم

لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه
يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله عليه السلام
فان قلت فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني
اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق وبالكذب واما المثل صدقني سن بكره
فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله
عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه
مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد
صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا
غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله
يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله اوجب طلحة وفيه تعريض
لمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون كأنهم قصدوا
عاقبة السوء واراداها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق
بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب
فكانا استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذب المنافقين ان شاء اذا لم يتوبوا
او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا اي الاحزاب بغيظهم
مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان
بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله
المؤمنين القتال بالريح والملائكة وانزل الذين ظاهروهم الاحزاب
من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به

البكر الشاب من الابل

يكون صح

يقال الفرار للثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه
لانه يتحصن بها روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبيحة الليلة التي انهزم الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا
سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال
ما هذا يا جبرئيل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله يمسح الغبار عن
وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح
ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق
البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس ان من كان سامعا
مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر
الا بعد العشاء الاخيرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم
خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون
على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد
حكمت فيهم ان يقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي عليه السلام
وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق
في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى
تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب
بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين وروي ان رسول الله
جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال
انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه

الحيزوم اسم فرس جبرئيل عليه السلام

الله صح

الارقعة السموات واحدها رقيع

لي طعمة

لي طعمة دون الناس فقالوا رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها
عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل
هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة ومن بدع التفاسير
انه اراد نساءهم ان اردن شيئا من الدنيا من ثياب ونفقة وتغايرن
فغم ذلك رسول الله فنزلت فبدأ بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها
وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فروي
الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان
تبدل بهن من ازواج وروي انه قال لعائشة رضي الله عنها اني ذاكر
لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قرأ عليها
القرآن فقالت أفي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله
والدار الآخرة وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال
انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت ما حكم
التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت
نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس
في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه
رحمهم الله واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال
بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي رحمه الله اختيارها على الفور
وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما

زيادة صح

وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره
واذا اختارت زوجها لم يقع شي باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة
رضي الله عنها خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي
افكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة
رجعية وان اختارت نفسها فواحدة باينة وروي عنه ايضا انها
ان اختارت زوجها فليس بشي اصل تعال ان يقوله من في المكان
المرتفع لمن في المكان المستوطئ ثم كثر حتى استوت في استعماله
الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن
اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني
امتعكن اعطكن متعة الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق
واجبة ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد
متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه واما ساير المطلقات فمتعتهن
مستحبة وعن الزهري متعتان احداهما يقضي بها السلطان والثانية
حق على المتقين من طلق بعد ان يفرض ويدخل بها وخاصمت امراة
الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن
سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا
المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة
والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما
ولا تنقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا تنقص

من نصفها

واختياركن صح

من نقصها فان قلت ما وجه قراءة من قرا امتعكن واسرحكن بالرفع
قلت وجهه الاستيناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا
بالسنة منكن للبيان لا للتبعيض الفاحشة السيئة البليغة في القبح
وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكباير
وقيل هي عصيانهن رسول الله ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما
يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله
من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من ساير
النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل
والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء
مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة
والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا
فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم
اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك
فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه
لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان
كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيا وكيف يغني عنهن وهو سبب
مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن
غير صارف عنه قرئ يات بالتاء والياء مبينة بفتح الياء وكسرها
من بين بمعنى تبين يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ونضاعف

لان ما قبح من ساير النساء كان اقبح

رسول الله صلى الله عليه وسلم

ازداد قبحا

ويضعف بالياء والنون وقرئ تقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها
بالياء والنون القنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن
رضا رسول الله بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن
على عبادة الله والتقوى احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم
وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه
ومعنى لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات
النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن
جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله عز وجل
والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة
واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن
ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن
بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات
فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على
محل فعل النهي على انه نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن
الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم
وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع
القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة
من غير تخنث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا
او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف
كما تقول

كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على
ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها اخر
قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل
والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة التي
يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابراهيم كانت المرأة
تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها
على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح
وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد
ويجوز ان يكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى
جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تبرجن جاهلية
في الاسلام وتتشبهن بها باهل الجاهلية الكفر ويعضده ما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال
جاهلية كفر او اسلام قال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا
بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان من اعتنى بهما
حق اعتنائهما جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انما نهاهن وامرهن
ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله المآثم وليتصونوا
عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان
عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه
بالارجاس واما الحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر

وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولي الألباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم
ويرغبهم فيما رضيه له وأمرهم به وأهل البيت نصب على النداء
أو على المدح وفي ذلك دليل بيّن على أن نساء النبي من أهل بيته ثم ذكرهن
أن بيوتهن مهابط الوحي وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب
الجامع بين أمرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لأنه
معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع إن الله كان لطيفا خبيرا
خبيرا علما ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم أو علم من يصلح لأن
يكونوا أهل بيته أو حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين
روي أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله
الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة
وقيل السائلة أم سلمة رضي الله عنها وروي أنه لما نزل في نساء النبي
ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل
في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله
المتوكل الدائم عليه من أسلم وجهه إلى الله والمؤمن المصدق بالله
ورسوله وبما يجب أن يصدق به والقانت القائم بالطاعة عليها و
والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على
الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه
وقيل الذي إذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق
الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في أسبوع بدرهم

فهو من

هذا صح

أي المعجز في النظم والحكمة في المعاني
أي أنزل كلاما جامعا لهذين الوصفين
ولذلك كان لطيفا خبيرا

هو صح

فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين
والذاكرين الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما
وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه
من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين
الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لدلالة
الظاهر عليه فإن قلت أي فرق بين العطفين أعني عطف
الإناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف
الأول نحو قوله ثيبات وأبكارا في أنهما جنسان مختلفان إذا اشتركا
في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما وأما العطف الثاني
فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه أن الجامعين
والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم خطب رسول الله
زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه
زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا
يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها ستين درهما
وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين
صاعا من تمر وقيل هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط
وهي أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي عليه السلام فقال
قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله
فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين

اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله او لان قضاء رسول الله هو
قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل من حقهم
ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره فان قلت
كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة الا
كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن
ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ بالياء والتاء
والخيرة ما يتخير المذكور انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم
وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله
فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك
عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله ابصرها
بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب
وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها
لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن
والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال
لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال
لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني
فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق في نفسي منك
اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما

رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت
ان رسول الله ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله
يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر ربي فقامت
الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس
الخبز واللحم حتى امتد النهار فان قلت ماذا اراد بقوله واتق الله
قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى
ان لا تطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر
واذى الزوج فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق
قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها
وسينكحها لان الله قد اعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو
كتم رسول الله شيئا مما اوحى الله اليه لكتم هذه الآية فان قلت
فما اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من
الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت كان الذي اراد منه
عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى لا يخالف
سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر
والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار
على طريقة مستقيمة كما جاء في ارادة رسول الله قتل عبد الله بن
ابي سرح واعتراض عثمان رضي الله عنه بشفاعته له ان عمر رضي الله عنه

قال له لئن كان عيني لحئ عينك هلا نشير الي فاقتله فقال انا الانبياء
لا نومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف عاتبه الله
في ستره ما استهجن التصريح به ولا يستهجن الخفي التصريح بشيء
الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح
في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الامر ولا يأمره بقمع
الشهوة وكف النفس ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه
عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للمقالة قلت كم من شيء يتحفظ منه
الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع
وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك
المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها
ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي
فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها
الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله بقوا مرتكزين
في مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله يؤذيه
قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يأمرهم بالانتشار
حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي
من الحق ولو ابرز رسول الله مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق
عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان
الى بعض مشتهياته من امرأة وغيرها غير موصوف بالقبح في

العقل

العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول
المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها
من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب [illegible]
فيه ان لا يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق
بها في شيء بل كانت تتجافى عنها ونفس رسول الله متعلقة بها ولم يكن مستنكرا
عندهم ان ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها
ان ينكحها الاخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل
شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احداهما وانكحها
المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه
القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك
بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله امنت الايمة والضيعة ونالت
الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله من المصلحة
العامة في قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا
قضوا منهن وطرا فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه
بقوله امسك عليك زوجك واتق الله ان لا يرضى له الا اتحاد الضمير
والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا
من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس
والله احق ما هي قلت واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك
مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس

اذا دخلوا المدينة

اي اتحاد الظاهر والباطن

حسيبا في ذلك بان تخشى الله اولا فالعطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك
واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك
اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى
فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه
وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل
لجعفر بن محمد رضي الله عنه اليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذي
لا اله الا هو ما قرأتها على ابي الا كذلك ولا قرأها الحسن بن علي على ابيه
ولا قرأها علي بن ابي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم الا كذلك وكان
امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه
مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله
زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى
ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن
ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر فرض الله له
قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض
العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم
تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله
ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما
اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر
والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان ثلاثمائة وسبعمائة

امرأة صح

في الذين

في الذين خلوا في الانبياء الذين مضوا والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب
الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين
يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا
قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض
بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا
كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون
حق الخشية من مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل
منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة
الصهر والنكاح ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع
الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم
عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الاباء والابناء وزيد واحد من رجالكم
الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم والادعاء والتبني من باب
الاختصاص والتقريب لا غير وخاتم النبيين يعني انه لو كان له
ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه
قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا **فان قلت** اما كان ابا
للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم **قلت** قد اخرجوا
من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء
لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء
رجاله لا رجالهم **فان قلت** اما كان ابا للحسن والحسين **قلت** بلى

بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم
وشيء آخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده بقوله
خاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين قد عاشا الى ان نيف احدهما
على الاربعين والآخر على الخمسين قرئ ولكن بالتشديد على حذف الخبر
تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اى لم يعش له ولد ذكر وخاتم
بفتح التا بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم
ويقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين فان قلت كيف
كان آخر الانبياء وعيسى ينزل آخر الزمان قلت معناه كونه
آخر الانبياء انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل
ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا الى قبلته كانه بعض امته
اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد
والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذكره بكرة واصيلا اى كافة
الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه ذكر الله على فم كل مسلم
وروى في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه
كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان اعني اذكروا وسبحوه
موجهان الى البكرة والاصيل كقوله صم وصل يوم الجمعة والتسبيح
من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص جبريل
وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان

ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن صح

معناه

معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته
من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد
بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر من ارجاس المآثم على سائر اوصافه
من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال
على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير
الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وخير من جملة
الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع
اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشائين لان
اداءها اشق ومراعاتها اشد لما كان من شأن المصلي ان ينعطف
في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره وترؤفا كالعائد
المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى
استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك اى ترحم عليك
وترأف فان قلت قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته بيترحم
عليكم فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى صلوتهم قلت هي قولهم
اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم
فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله اى احياك وابقاك
وحييتك اى دعوت لك بان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك
كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله
وسقيتك وعليه قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا

كل صح

حنوا عليه صح

الحنو والحنو مهربانى كردن بر كسى

ويترأف صح

عمرك الله اى طول الله عمرك

صلوا عليه اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم
عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر
على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة
وكان بالمؤمنين رحيما دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه
لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه
ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت تحيتهم
من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز
ان يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم
وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت
والملائكة معه وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج
من القبور وقيل الجنة شاهدا على من بعثت اليهم على تكذيبهم وتصديقهم
اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم
فان قلت وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند
تحمل الشهادة او عند ادائها قلت هي حال مقدرة كمسئلة الكتاب
مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد غدا
فان قلت قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه مأذون له في الدعاء
فما فائدة قوله باذنه قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل
الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق المالك متعذر فاذا
صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع

موضعه

مثلا

عليهم صح

عند دخول الجنة كما قال عز وجل والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم صح

موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع
امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب
لا يتأتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله تعالى ويسره ومنه قولهم
في الشحيح انه غير مأذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه
شاقا عليه داخلا في حكم التعذر جلى الله تعالى به ظلمات الشرك واهتدى به
الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله تعالى
بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج ووصفه بالانارة لان من السراج
ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني
رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم
عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير
او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك
الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به
وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم
للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر
الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه آتاهم ما فضلوهم به ولا تطع
الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج اذاهم
يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر
او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك
به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس رضي الله عنه هي

نور الابصار صح

المتفضل به صح

منسوخة بآية السيف وتوكل على الله فإنه يكفيكهم وكفى به مفوضاً إليه
ولقائل أن يقول وصفه الله بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب يناسبه
فابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لأنه يكون شاهداً على أمته وهم
يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير والمبشر بالإعراض
عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله
على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لأنه إذا ترك
أذاهم في الحاضر والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا
منذرين به في المستقبل والداعي إلى الله بتيسيره بقوله وتوكل على
الله لأن من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به
وكيلاً لأن من أناره الله برهاناً على جميع خلقه كان جديراً بأن يكتفى به
عن جميع خلقه النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحاً لملابسته له
من حيث أنه طريق إليه ونظيره تسميتهم الخمر إثماً لأنها سبب في
اقتراف الإثم ونحوه في علم البيان قول الراجز أسنمة الآبال في سحابه
سمى الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب سمن المال وارتفاع أسنمته ولم يرد لفظ النكاح
في كتاب الله إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به
ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة
والقربان والتغشي والإتيان **فإن قلت** لم خص المؤمنات
والحكم الذي نطقت به الآية يستوي فيه المؤمنات والكتابيات
قلت في اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير

لنطفته

لنطفته وأن ينكح المؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق
فما بال الكوافر ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه
في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين
أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات
فإن قلت ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن **قلت** فائدته نفي التوهم
عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من
النكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج
ثم يطلقها **فإن قلت** إذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل تقوم
ذلك مقام المساس **قلت** نعم عند أبي حنيفة رحمه الله وأصحابه
حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة
تعتدونها دليل على أن العدة حق واجب على النساء للرجال
تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها
كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففاً أي
تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه سليماً وعامراً والمراد بالاعتداء
ما في قوله ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا **فإن قلت** ما هذا التمتيع
أواجب أم مندوب إليه **قلت** إن كان غير مفروض لها كانت
المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة رحمه الله إلا لها
وحدها دون سائر المطلقات وإن كانت مفروضاً لها فالمتعة
مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم أبو حنيفة

ويعضد على الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب
أجورهن مهورهن لأن المهر أجر على البضع وإيتاؤها إما إعطاؤها
عاجلا وإما فرضها وتسميتها في العقد فإن قلت لم قال اللاتي آتيت
أجورهن ومما أفاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات
قلت قد اختار الله لرسوله الأفضل الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى
كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الأثر وذلك أن
تسمية المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية وإن وقع العقد
جائزا وله أن يماسها وعليه مهر المثل إن دخل بها والمتعة إن لم يدخل بها
وسوق المهر إليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله وكان التعجيل
ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية
إذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار
الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي
على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من أهل
الحرب وأما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله
مما أفاء الله عليك لأن فيء الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث
كما أن رزق الله يجب إطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي
هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم
أفضل من غير المهاجرات معه وعن أم هانئ بنت أبي طالب
خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني

ثم أنزل الله

جمع أثرة وهو ما يؤثر به الرجل

ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء
وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات
إن اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم تكن
عند رسول الله أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة
بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية
وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ إن وهبت على الشرط
وقرأ الحسن رحمه الله أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام
ويجوز أن يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد
جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود
بغير إن فإن قلت ما معنى الشرط الثاني مع الأول قلت هو
تقييد له شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح
رسول الله كأنه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد
أن تستنكحها لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم فإن قلت لم عدل
عن الخطاب إلى الغيبة في قوله نفسها للنبي إن أراد النبي ثم رجع
إلى الخطاب قلت للإيذان بأنه مما خص به وأوثر ومجيئه على لفظ
النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة وتكريره تفخيم له
وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها
والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة رحمه الله على جواز
عقد النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقت صح

وتكريره صح

وأمته سواء في الأحكام إلا فيما خصه الدليل وقال الشافعي رحمه الله
لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها
جميعا لأن اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج إلى الدليل
وقال أبو الحسن الكرخي رحمه الله أن عقد النكاح بلفظ الإجارة
جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت أجورهن قال أبو بكر الرازي
لا يصح لأن الإجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان
خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله أي خلص لك إحلال
ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير
عزيز كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها
وردت في أثر الإحلالات الأربع مخصوصة برسول الله على
سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما
ملكت أيمانهم بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله
لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة
الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء
وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة
في اختصاص رسول الله بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك
حرج لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه
واختيار ما هو أولى وأفضل وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات
وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع أي ذاك خلوص لك
وخصوص

لك صح
الله عز وجل صح

وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه
هذه المرأة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج
إذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده روي أن أمهات المؤمنين تغايرن
وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله فهجرهن شهرا ونزل التخيير
فأشفقن أن تطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك
ومالك ما شئت وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت إني أرى ربك
يسارع في هواك ترجي بهمز وبغير همز تؤخر وتؤوي تضم يعني
تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء
وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت
أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت
وعن الحسن رحمه الله كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة
لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض
لأنه إما أن يطلق أو يمسك فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم
يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلي المعزولة لا يبتغيها وروي
أنه أرجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة
فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة
وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسا وآوى أربعا وروي أنه
كان يسوي مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة فإنها وهبت
ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك

حين صح
أو يبتغيها صح

ذلك التفويض إلى مشيئتك أدنى إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأنه إذا سوى بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما للأخرى وعلمن أن هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسليت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضاء رسول الله وما فيه طيب نفسه وقرئ تُقِرَّ أعينهن بضم التاء ونصب الأعين وتُقَرَّ أعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بأن يتقى ويحذر كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيدا لهن في آتيتهن وقرئ لا يحل بالتذكير لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وإذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل أجوز من بعد من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته منهن فلا يحل له أن يتجاوز النصاب ولا أن تبدل بهن ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن أراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله عليهن وهن التسع اللاتي مات رسول الله عنهن عائشة بنت أبي بكر حفصة بنت عمر أم حبيبة بنت أبي سفيان سودة بنت زمعة أم سلمة بنت أبي أمية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الأسدية

جويرية بنت الحارث المصطلقية من أزواج لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص إحلالهن لك من الأجناس الأربعة من الأعرابيات والغرائب أو الكتابيات أو من الإماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى أن عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند عائشة رضي الله عنها من غير استيذان فقال رسول الله يا عيينة أين الاستيذان قال يا رسول الله ما استأذنت على أحد رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة إلى جنبك فقال عليه السلام هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال أحمق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعني أن الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها إما أن يكون بالسنة وإما بقوله إنا أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو أعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج لأنه موغل في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن وقيل هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الإماء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير

رضا صح

احد صح

اللاتي صح

افلا صح

خوذهم ... صح

يعني يقول عيينة جعلها اختار من هذه الجميلة فلا انزل لك عن تلك الجميلة التي هي حتى انت انطاعن هذه الجميلة لا وهذا عادة الجاهلية

جويرية

عن مجاوزة حدوده وتخطي حرام الله الى حلاله ان يؤذن لكم في معنى الظرف
تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا بيوت النبي
الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون
طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا
يا هؤلاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه
والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان
يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة
انه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى الوصف
على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين
اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي واني الطعام ادراكه يقال اني الطعام
اني كقولك قلاه قلى ومنه قوله من حميم آن بالغ اناه وقيل اناه
وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو
بالناس فترادفوا افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله
دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس
وبقي ثلثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق الى
حجرة عائشة فقال السلام عليكم يا اهل البيت فقالوا وعليك السلام
يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له
ورجع فاذا الثلثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه

وامر صلى الله عليه وسلم
انسا ان يدعو

شديد

شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستأنسين
لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث
يحدثه او عن ان يستأنسوا حديث اهل البيت واستئناسه تسمعه
وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب
على ولا تدخلوها مستأنسين لا بد في قوله فيستحيي منكم من تقدير
المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق
يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيي منه ولما كان الحياء مما
يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى
لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء
وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم
وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة الضمير في سألتموهن
لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن
متاعا حاجة فسألوهن المتاع قيل ان عمر رضي الله عنه
كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا
ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال
يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين
بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد
فقال لئن احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن
على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا

بكسر الحاء وسكون الخاء

والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل
ان رسول الله كان يطعم ومعه اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة
فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر
ان بعضهم قال انُنهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب
لئن مات محمد لاتزوجن فلانة يعني عائشة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم
وما صح لكم ايذاء رسول الله ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن
بعده عظيما عنده وهو من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب
حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه
واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه
فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت
لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى
الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء
وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به
ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها
تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلث
يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
يلاحظ ذلك ان تبدوا شيئا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم
فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء على اثر ذلك عاما لكل باد
وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول

والآخر

محمد صح

النحيب رفع الصوت بالبكاء

والآخر روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب
يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت لا جناح
عليهن لا جناح اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال
لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال تعالى
واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحاق واسمعيل عم يعقوب
وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لان ابناءهما واابناءهما غير محارم
ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على
فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه
الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن
واحفظن حدودها واسلكن طريق التقوى في حفظها وليكن عملكن
في الحجب احسن مما كان وانتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن
ان الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب
وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الاحوال وقرئ وملائكته بالرفع
عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين
ووجهه عندنا البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه
صلوا عليه وسلموا اي قولوا الصلوة على الرسول والسلام
ومعناه الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت الصلوة
على رسول الله واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا
في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت

لانهما يصفانها صح

عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل
يا رسول الله ارايت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي فقال صلى الله عليه وسلم هذا من العلم المكنون ولولا
انكم سالتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر
عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله
وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي
علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك
الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما
قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله
وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين
والذي يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار
فان قلت في الصلوة عليه اهي شرط في جوازها ام لا قلت
قال ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابرهيم النخعي رحمه الله
كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك
ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا فان قلت
فما تقول في الصلوة على غيره قلت القياس جواز الصلوة على
كل مؤمن لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلاتك
سكن لهم وقوله عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن
للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك

فالصلوة عليه صح

صلى الله

صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت
بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله
ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم ان
يؤذون الله ورسوله فيه وجهان احدهما ان يعبر بايذائهما عن فعل
ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة و
مخالفة الشريعة وما كانوا يصيبونه به رسول الله من انواع
المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقته
الايذاء صحيحة في رسول الله لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية
معنى المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يؤذون رسول الله
وقيل في اذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله
مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام
شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله
فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وآذاني ولم ينبغ له
ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله
ان الله لا يعيدني بعد ان بداني وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير
الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله
قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج
وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي

واطلق ايذاء الله ورسوله وقيّد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان
اذى الله ورسوله لا يكون الا غير الحق ابدا واما ايذاء المؤمنين
والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى
وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه و
يسمعونه وقيل في الذين افكوا على عائشة رضي الله عنها وقيل
في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل رحمه الله
لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون
لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند
كر الحول الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء
تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس
الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما
يستتر به من كساء او غيره قال ابو زبيد مجلبب من سواد الليل
جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها
وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المراة ادني
ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن
في الجاهلية متبذلات تبرز المراة في درع وخمار فصل بين الحرة
والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل
الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة
بعلة الامة يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي

الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن
فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر
بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن فان قلت ما معنى
من في من جلابيبهن قلت هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض
محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد
ان لا يكون المراة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان
فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المراة بعض جلبابها وفضله على وجهها
تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سالت عبيدة السلماني
عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب حتى تضعه على انفها وعن
السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين
وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى
الادناء وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة
لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم
ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة واهل الفجور
من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا
يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك
قلوب المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه
خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته

المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون
عما يقولون من اخبار السوء لنامرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي
تسوءهم وتنوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى
ان لا يساكنوك فيها الا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون انفسهم
وعيالهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين
نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين فدخل حرف
الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا ان يؤذن لكم
غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها وقيل قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه
لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين فان قلت ما موقع
لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك بهم فلا يجاورونك
لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا
يجاورونك فان قلت اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء
وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسببا
عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا اخر للقسم معطوفا
على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم
واعظم من جميع ما اصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه
سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي سن الله في الذين ينافقون الانبياء
ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا كان

المشركون

ساءه وناءه للاتباع

الحريش اغا البرز

لكان الامر كما قلت ح ولكنه جعل جوابا اخر للقسم معطوفا على الاول صح

المشركون يسألون رسول الله عن وقت قيام الساعة استعجالا على
سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة
وفي كل كتاب فامر رسول الله ان يجيبهم بانه علم قد استاثر الله به لم
يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين
واسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا او لان الساعة في معنى اليوم او
في زمان قريب السعير النار المسعورة الشديدة الاتقاد وقرئ تقلب
تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب اي نقلب نحن وتقلب
على ان الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة
تدور في القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة او تغييرها
عن احوالها وتحويلها عن هيئاتها او طرحها في النار مقلوبين منكوسين
وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان
من جسده ويجوز ان يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف
يقولون او محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا
وقرئ ساداتنا وسادتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه
لهم يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت
فواصل الاي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام
قد انقطع وان ما بعده مستانف وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد اللعائن
وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا
لاضلاله يتضرعون يستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك لا تكونوا كالذين

آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى موسى عليه السلم هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هارون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص او ادرة فاطلعهم الله على انه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والاعمش وابو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك فان قلت قوله مما قالوا معناه من قولهم او من مقولهم لان ما اما مصدرية او موصولة واياما كان فكيف تصح البراءة منه قلت المراد بالقول او المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث

على ان

على ان تسدد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله انا عرضنا الامانة وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وجل انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة

انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما صح

الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانه لازمة الاداء وعرضها
على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانه فمن قولك
فلان حامل للامانة ومتحمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى
تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانه كانها راكبه للمؤتمن
عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق
فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك
مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصر ويسامحه بها
لا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل اخوك الذي لا يملك الحس نفسه
وترفض عند المحفظات الكتايف اي لا يمسك الرقه والعطف
امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم
ابغض حقا اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا
ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين
الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه
بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانه وبالجهل لاخطائه ما يسعده
مع تمكنه منه وهو اداؤها والمعنى ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه
وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه
واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به واشفق منه
وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا
حيث حمل الامانه ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا
من

والمحفظات المغضبات ... الكتيفة الحقد

من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم
من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم
لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال
ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف مما
يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع
وهي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانه
وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها **فان قلت** قد علم وجه
التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر
اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرايين وتركه المضي
على احدهما من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحه
والمعرفه وليس كذلك ما في الايه فان عرض الامانه على الجماد واباءه
واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال
وما مثال هذا الا ان تشبه شيا والمشبه به غير معقول **قلت** الممثل به
في الايه وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظايره مفروض
والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف
في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضه لو عرضت على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها واللام في ليعذب
لام التعليل على طريقة المجاز لان التعذيب نتيجة الضرب وقرا الاعمش
ويتوب ليجعل العله قاصره على فعل الحامل ويبتدي ويتوب الله

السمن صح

بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد صح

على طريق المجاز

ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره
من لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها
اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبا مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ما في السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد
ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع
النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك
الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد
في الآخرة علم انه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب فان قلت
ما الفرق بين الحمدين قلت اما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمة
متفضل بها وهو طريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب واما الحمد
في الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها
انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به
العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها
بحكمته الخبير بكل كائن ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الارض
من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفائن
والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات
والفلز

والفلز والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج
والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات والمقادير
كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة واعمال
العباد وهو مع كثرة نعمه وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين
في اداء مواجب شكرها وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه
زكى الله ننزل بالنون والتشديد وقولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث
وانكار لمجيء الساعة او استبطاء لما وعدوه من قيامها على سبيل
الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد اوجب ما بعد النفي ببلى
على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد موكدا بما هو الغاية في
التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم امد التوكيد
القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله
ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه
وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما
كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة
اقوى وآكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ فان قلت هل للوصف
الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم
وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية
واولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين اقسم
باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع

الى عالم الغيب وانه لا يفوت علمه شي من الخفيات اندرج
تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجا ما تطلبه من الاختصاص
مجيا واضحا فان قلت الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه
فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم عليهم جهد القسم فيمين
من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما انكروه
قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة
الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب
في الغرايز وجوب الجزا وان المحسن لا بد له من ثواب والمسي
لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتاتينكم تعليلا
له قري لتاتينكم بالتاء والياء ووجه من قرا بالياء ان يكون
ضميره للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي لياتينكم
امره كما قال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي
امر ربك قري عالم الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب
بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو
البعد يقال روض عازب بعيد من الناس مثقال ذرة
مقدار اصغر نملة ذكر اتيان الى مثقال ذرة وقري ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك
لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله
فان قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل

لا يعزب

وعلام الغيب قري

لا يعزب عنه مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتاكيد النفي
وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف
كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر
قلت ياباه ذكر حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه
للغيب وجعلت الغائب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها
في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب
شي ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح وقري معجزين والاليم بالرفع
والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى في موضع الرفع
اي ويعلم اولوا العلم يعني اصحاب رسول الله ومن يطأ اعقابهم
من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار
وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك الحق هما مفعولان ليرى
وهو فصل ومن قرا الحق بالرفع جعله مبتدا والحق خبرا والجملة في
موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف
على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجي الساعة انه الحق
علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز
ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة
وغما الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون
وتنشاون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم

كل تفريق صح

البلى كل ممزق وفرقكم ويبدد اجزاكم تبديدا اهو مفتر على الله
كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه
على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء
وهو مبرأ منهما بل هولاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون
في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال البعيد عن الحق
وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده اطباقا على
عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال
كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العقاب
من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرا زيد بن
علي رضي الله عنهما ينبئكم فان قلت قد جعلت الممزق مصدرا
كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا
فهلا يجوز ان يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الاموات
في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت
به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت
ما العامل في اذا قلت ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق
نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول قلت
هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد
وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه
وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ولهذا قالوا
ملحفة

ماذا بها سرح القوافي / ولا عيا بهن ولا اجتلابا / اجتلابا اجتلبها

ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان رحمة الله قريب
ويجوز كل فان قلت لم اسقطت الهمزة في قوله افترى دون
قوله السحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا
اضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو السحر وهو خوف التباس الاستفهام
بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فان قلت
فما معنى وصف الضلال بالبعيد قلت هو من الاسناد المجازي لان
البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل
فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش
وكان انباؤه بالبعث شايعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل
ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول
في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه
مخرج التحكي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به
وبامره اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيث ما كانوا
واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا
من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا
ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الايات
وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك
النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله
لاية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب

تلبيه والسخرية

لا تخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث
ومن عقاب من يكفر به قرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله
افترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين
وسكونه وقراءة الكسائي نخسف بهم بادغام الفاء في الباء بالادغام
وليست بقوية يا جبال إما أن يكون بدلا من فضلا وإما من آتينا
بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال وقرئ أوّبي وأُوبي
من التأويب والأوب أي رجّعي معه التسبيح أو ارجعي معه
في التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجّعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح
الجبال أن الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها
ما يسمع من المسبّح معجزة لداود وقيل كان داود عليه السلم
ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه
بأصدائها والطير بأصواتها وقرئ والطيرُ رفعا ونصبا عطفا على
لفظ الجبال ومحلها وجوّزوا أن ينتصب مفعولا معه وأن يعطف
على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فإن قلت أي فرق بين هذا
النظم وبين أن يقال وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه
والطير قلت كم بينهما ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى
من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الإلهية حيث جعلت
الجبال منزّلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا
وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا إشعارا بأنه ما من حيوان وجماد وناطق

وصامت

نخسف بهم صح

الاسعاد همراهی کردن در نوحه

ترک مذهبه وانقياد للحق المبين

وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته وألنّا له الحديد
وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرّفه بيده كيف يشاء
من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما أوتي
من شدة القوة وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية
وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع
بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء
وقيل كان يخرج حين ملك بني إسرائيل متنكرا فيسأل الناس
عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيّض
الله له ملكا في صورة آدمي فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله
من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به
عن بيت المال فعلّمه صنعة الدروع وقدّر لا تجعل المسامير
دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا
الضمير لداود وأهله وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان
الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها
شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ
غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو فيقيل باصطخر
ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا في منزل
بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه
ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه

الحل الذي بيده

فيأتون بها الشام إن شاء الله القطر النحاس المذاب من القطران
فإن قلت ما ذا أراد بعين القطر قلت أراد بها معدن النحاس ولكنه
أساله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين
القطر باسم ما آل إليه كما قال إني أراني أعصر خمرا وقيل كان يسيل
في الشهر ثلاثة أيام بإذن ربه بأمره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن أمرنا
الذي أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه وعذاب
السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك
بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني محاريب
المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت
محاريب لأنه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل
صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس
وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم فإن قلت
كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير قلت هذا مما يجوز
أن يختلف فيه الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب
وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرما ويجوز أن يكون
غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لأن التمثال كل ما صور على
مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو تصور محذوفة الرؤوس
وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا
أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران

بأجنحتهما

بأجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقي تفهق لأن الماء يجبى فيها أي يجمع جعل الفعل لها
مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة
ألف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع
راسيات ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود
حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على أنه مفعول له أي اعملوا لله
واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل أن العبادة يجب أن تؤدى
على طريق الشكر أو على الحال أي شاكرين أو على تقدير اشكروا شكرا
لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث أن العمل للمنعم شكر له ويجوز
أن ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما
شئتم فاعملوا أنتم شكرا على طريق المشاكلة والشكور المتوفر على أداء
الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا
وكدحا وأكثر أوقاته وعن ابن عباس رضي الله عنه من يشكر على أحواله
كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن
الشكر وعن داود عليه السلام أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله
فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي
وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل
فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل إني سمعت الله يقول وقليل
من عبادي الشكور فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر

كلا الناس اعلم من عمر وقرى فلما قضي عليه الموت ودابة الارض
الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت
اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرى بفتح الراء
من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت
القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا والمنساة العصا لانه ينسأ بها
اي يطرد ويؤخر وقرى بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما
ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي و
منساءته على مفعالة كما يقال في الميضاة ميضاءة ومن سأته اي
من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان
كقولهم قحة وقحة وقرى اكلت منسأته تبينت الجن من تبين
الشي اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال
كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب او علم الجن كلهم علما بينا بعد
التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون
في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم
وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما
اريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله
بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل لذلك متبينا
وقرى تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى هو
ان مع

أي قرئ من سأته

ان مع ما في صلتها لانه بدل وفي قراءة ابي تبينت الانس وعن الضحاك
تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله
ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون
فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود تبينت
الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي انه كان من عادة سليمان
ان يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله
لم يصبح الا راى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله تعالى فيسألها
لاي شي انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فراى الخروبة
فسألها فقالت نبتت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا
حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها
وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس
انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على
الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني
فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين
فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه
فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه
اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلوته الا احترق فمر به شيطان
فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا
عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته

فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سال الله ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ذلك ان يدنو منه وكان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدا بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه قرئ لسبا بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها او مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم جنتان بدل من آية او خبر مبتدا محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرا جنتين بالنصب على المدح فان قلت ما معنى كونهما آية قلت لم يجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط

وغمط النعمة ويجوز ان تجعلهما آية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره فان قلت كيف عظم الله جنتي اهل سبا وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت قلت لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل واحد منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما لسان الحال

قال صح

او هم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب رحمه الله معناه اسكن واعبد العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين

بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه
خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا وقيل
بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم
نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم
الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة
وهي الحجارة المركومة يقال للكدس من الطعام عرمة
والمراد المسناة التي عقروها سكرا وقيل العرم اسم الوادي
وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء
وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام
وقرئ اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر
والخمط شجر الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال
الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل
شجر يشبه الطرفاء اعظم منه واجود عودا ووجه من نون
ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه او وصفا الاكل بالخمط في معنى البرير كانه قيل ذواتي
برير والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل
لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية
البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن
قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا وقرئ هل يجازى وهل نجازي

بالنون

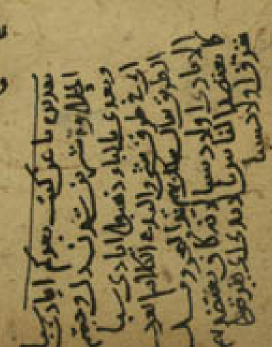
[margin: نسخة خمط الى ... كانه قيل ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط صح]

بالنون وهل يجازى والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى ان مثل
هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل
المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما
يفعله من السوء ووجه اخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل
تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى
المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل
وهل يجازى الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس
لقائل ان يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور
بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما
اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه
الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن
لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح
الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه والقرى التي باركنا فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة
متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين
او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى
تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية
والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا
ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها وقلنا لهم سيروا

ولا قوافل ولكنهم لما تمكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه فان قلت ما معنى قوله ليالي واياما قلت معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها امنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها ليالي اعماركم وليالي ايامكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن قرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعّد يا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعّد بين اسفارنا وبعُد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعّد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كانهم يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه احاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا قال كثير ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم

فلم

تحاشت المرأة وتحازنت مثله



فلم يحل بالعينين بعدك منظر لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان صبار عن المعاصي شكور للنعم قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه انه حين وجد ادم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه قال لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا او لبني ادم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالاخرة من الشاك فيها وعلل التسلط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ ليُعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متاخيان

اي تحقق ظنه بتضليل الظن بيظن لا بصدق

قل للمشركين ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام
والملائكه وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجيوا اليهم فيما يعروكم
كما تلتجيون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون
ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذره
من خير او شر او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم في هذين
الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات
والارض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه
الصفه من العجز والبعد عن احوال الربوبيه فكيف يصح ان يدعوا
كما يدعى ويرجوا كما يرجى فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما
الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما
ان يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك
هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف
يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان
يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى
الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول
بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف
يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم
محذوفان جميعا بسببين مختلفين تقول الشفاعة لزيد على معنى انه
الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام

لزيد

اي ان المفعول الثاني في هذا الباب يجب ان يكون عين الاول

لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون
على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له
من الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له هو
اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وهذا
وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله
فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شيء وقعت
حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن
وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم
او لا يؤذن وانه عز من قائل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن
لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكه صفا لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا
فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب
الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن
تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اي
القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع
فزعته الشفاعة وقرى اذن له اي اذن له الله واذن له على البناء
للمفعول وقرا الحسن رحمه الله فزع مخففا بمعنى فزع وقرى
فرغ على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها

فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله صح

الوهل الفزع والجبن وهل يوهل

لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله صح

وأُخفي من قولهم فَزِعَ الرجلُ إذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل وأسند
إلى الجار والمجرور كما تقول دُفِعَ إلى زيد إذا علم ما المرفوع وقد تخفف
وأصله فزع الوجل عنها أي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل وأسند إلى
الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن أبي
علقمة أنه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما أفاق قال ما لكم
تكأكأتم عليّ تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة
من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف
القطم مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع أي مقوله الحق وهو العلي
الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه
وأن يشفع إلا لمن ارتضى أمر بأن يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره
بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشعار
بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأن الذي تمكن
في صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق
بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن
يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على
الرزق ألا ترى إلى قوله قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك
السمع والأبصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق
إلا الضلال فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون
عنادا وضرارا وحذارا من إلزام الحجة ونحوه قوله عز وعلا قل من

من رب

قمطر شد

يعني العناد

رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء
لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام
والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه وإنا
أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومعناه وإن أحد الفريقين من الذين
يتوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين
يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين
من الهدى والضلال وهذا من كلام المنصف الذي كل من سمعه من
موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجه
بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من
هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن
التعريض والتورية أوصل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة
مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل
لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وإن أحدنا لكاذب ومنه
بيت حسان أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
فإن قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال
قلت لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد
يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك
فيه لا يدري أين يتوجه وفي قراءة أبي وإنا أو إياكم إما على هدى
أو في ضلال مبين هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول

أي بعلى هدى أو في ضلال

يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا سفيان

حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين وأراد
بالإجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر
والمعاصي العظام ويفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله أنه يدخل
هؤلاء الجنة وأولئك النار **فإن قلت** ما معنى قوله أروني وكان
يراهم ويعرفهم **قلت** أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في
إلحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم
ليطلعهم على حالة القياس والإشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم
بعد ما كسره بإبطال المقايسة كما قال إبراهيم أف لكم ولما تعبدون
من دون الله بعد ما حجهم وقد نبههم على تفاحش غلطهم وأن لم
يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كأنه قال
أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى
الله وحده أو هو ضمير الشأن كما في قوله قل هو الله أحد إلا كافة
للناس إلا إرسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم
أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس
في الإنذار والإبلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون
للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور
متقدما عليه فقد أخطأ لأن تقدم حال المجرور عليه في الإحالة
بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ
ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى لأنه لا يستوي له

الخطأ

الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين
قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد
من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ
ميعاد يوم فأبدل منه اليوم **فإن قلت** فما تأويل من أضافه
إلى يوم أو نصب يوما **قلت** أما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول
سحق ثوب وبعير سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم بإضمار
فعل تقديره لكم ميعاد أعني يوما وأريد يوما من صفته كيت
وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا المعنى أعني التعظيم **فإن قلت**
كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم **قلت** ما سألوا عن ذلك
وهم منكرون له إلا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق
التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم
فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله عز وجل يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم صح
يجدون صفة رسول الله ع في كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن
جميع ما تقدمه من كتب الله ع في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل
الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن
من الله أو أن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة ثم أخبر
عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسول الله أو للمخاطب
ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها
بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الأتباع
والمستكبرون الرؤوس والمقدمون أولي الاسم أعني نحن حرف الإنكار

أي قرب

لأن المعرض انكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان واثبات أنهم
هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا
أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد إذ جاءكم
بعد إذ صممتم على الدخول في الإيمان وصحت نياتكم في اختياره
بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم
آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا
وتسويلنا فإن قلت إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية
فلم وقعت إذ مضافا إليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع
في غيره فأضيف إليها الزمان كما أضيف إلى الجمل في قولك جئتك
بعد إذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك أوان الحجاج أمير
وحين خرج زيد لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا
هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين
أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل
مكر الليل والنهار فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا ما كان
الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا
وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد ومعنى مكر الليل
والنهار مكركم في الليل والنهار كقوله يا سارق الليلة
أهل الدار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة
المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي

وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل
مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أي تكرون الإغواء مكرا
دائبا لا تفترون عنه فإن قلت ما وجه الرفع والنصب
قلت هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو
مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الإغواء مكر الليل
والنهار فإن قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف
وقيل وقال الذين استضعفوا قلت لأن الذين استضعفوا
مر أول كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف
ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول
فإن قلت من صاحب الضمير في وأسروا قلت الجنس المشتمل
على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون
في قوله إذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم
وإضلالهم والأتباع على اتباعهم المضلين في أعناق الذين كفروا أي في أعناقهم
فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال
وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا الندامة
أظهروها وهو من الأضداد وما أرسلنا هذه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به
والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها
والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم

والمستضعفين على ضلالهم

أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير
إلا قالوا له مثل ما قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وكادوه
بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم
على الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين
هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين أرادوا
أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظراً إلى أحوالهم في الدنيا وقد أبطل
الله حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه
من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما
وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذي مبناه
على الاستحقاق ويقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه
وقرئ ويقدر بالتخفيف والتشديد أراد وما جماعة أموالكم ولا جماعة
أولادكم بالتي تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه
سواء في حكم التأنيث ويجوز أن يكون التي هي التقوى وهي المقربة
عند الله زلفى وحدها أي ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب
وقرأ الحسن رحمه الله باللاتي تقربكم لأنها جماعات وقرئ
بالذي يقربكم أي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة
ومحلها النصب أي تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتاً إلا من آمن
استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحداً إلا المؤمن
الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحداً إلا

من علم

الضعف صح

من علمهم وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف
من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف
ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم
حسناتهم الواحدة عشراً وقرئ جزاءٌ الضعفُ مرفوعان
الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها
وفي الغرفة فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه إما عاجلاً بالمال
أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد وإما آجلاً بالثواب الذي كل خلف
دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فإن
الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه
فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو
يخلفه فإن هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه وهو خير الرازقين
وأعلاهم رب العزة لأن كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده
أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه
على أيدي هؤلاء وهو خالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق
بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم
من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع
للكفار وارد على المثل السائر إياك أعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله
عز وجل أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقد
علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال

على معنى فأولئك لهم الضعف جزاء
وجزاء الضعف على أن يجازوا
الضعف وجزاء الضعف

ولا يتأولن

وهو خير الرازقين

الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا
فيكون تقريعهم أشد وتعييرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهوانهم ألزم ويكون
اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه والموالاة خلاف
المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي
وهو القرب كما أن المعاداة من العدواء وهي البعد والولي يقع
على الموالي والموالى جميعا والمعنى أنت الذي نواليه من دونهم إذ لا
موالاة بيننا وبينهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم
من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية
لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث أطاعوهم
في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم
من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون
في أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم
ونقول بالياء والنون الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد
منفعة ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمثيب
والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف
والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتافعون والمراد أنه لا ضار ولا
نافع يومئذ إلا هو ثم ذكر معاقبته للظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا
معطوفا على لا يملك الإشارة الأولى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والثانية إلى القرآن والثالثة إلى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام

كما هو

كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله للحق
لما جاءهم وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما
من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد
وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله
ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه إن هذا إلا سحر مبين
فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوا على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله
سماه سحرا وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك
ولا أرسلنا إليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا كما قال عز وجل
أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو وصفهم
بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بإنزال الكتاب
ولا بعثة رسول كما قال أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون
فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب
وإن كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ومستندون إلى رسل
من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموهم
من الأمم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا
أولئك من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال فحين
كذبوا رسلهم جاءهم إنكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم
استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها
من التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتاب ودرس الكتب

ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار
كالمرباع وهما العشر والربع فان قلت ما معنى فكذبوا رسلي
وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان
معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب
واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان
يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
ويجوز ان يعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار
فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا
من مثله بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا
على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله
وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول
على القدمين ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة
والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم
وهي ان تقوموا لوجه خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا
ثم تتفكروا في امر محمد عليه السلام وما جاء به اما الاثنان فيتفكران
ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه
نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما
عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على
جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة

الله صح

من غير

من غير ان يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده
من عادات العقلاء ومجاري احوالهم والذي اوجب تفرقهم مثنى
وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخاطر ويعمي البصائر ويمنع من
الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف
ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم
بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم الذي تحته
ملك الدنيا والاخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان
اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا
يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل راجح العقل
مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته
عنده بحجته وبرهانه والا فما تجدي على العاقل دعوى شيء
لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة
بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصوبهم
رايا واصدقهم قولا وانزههم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال
ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه
جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه
بان ياتيكم باية فاذا اتى بها تبين انه نذير مبين فان قلت ما
بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز ان يكون كلاما مستأنفا تنبيها
من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخواطر

اي نصرة مذهب القائل

وما رقبة العواقب اي خوف العواقب

ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوّز
بعضهم ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله عليه السلام
بعثت في نسم الساعة فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله
ما سألتكم من اجر فتقديره اي شيء سألتكم من اجر كقوله ما يفتح الله
للناس من رحمة وفيه معنيان احدهما نفي مسألة الاجر رأسا
كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم
يعطه شيئا ولكنه يريد البتة لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثاني
ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة
في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك
المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم على كل شيء شهيد
حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه
الا منه ولا اطمع منكم في شيء القذف والرمي تزجية السهم ونحوه
بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه
قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت
ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به
الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل ان
واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدا محذوف وقرى
بالنصب صفة لربي او على المدح وقرى الغيوب بالحركات الثلاث

فالغيوب

الاعماد نقد كردن
وبر كسى اعماد كردن

فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذي غاب
وخفي جدا الحي اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء
ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول
عبيد اقفر وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل
النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما
فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن
وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس اي ما
ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ الباعث هو الله وعن الحسن
لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال
الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل
للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل ولانه هالك كما قيل له
الشيطان من شاط اذا هلك قرئ ضللت اضل بفتح العين
مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت
اظل وظللت اظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين
فان قلت اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله
فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي
وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها

من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

اقفرت الزرارطت

كما في قوله فلان لا ياكل ولا يشرب

أو من قال فإنما أضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى
لأن النفس كل ما عليها فهو بها أعني أن كل ما هو وبال عليها وضارّ لها
فهو بها وبسببها لأنها الأمّارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها
وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه
لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره
أولى به إنه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى
عليه منهما شيء ولو ترى جوابه محذوف يعني لرأيت أمرا عظيما
وحالا هائلة ولو وإذ والأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل
بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله في المستقبل
بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام
الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس
نزلت في خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها
فإذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا
يسبقونه وقرئ فلا فوتٌ والأخذ من مكان قريب من الموقف
إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا أو من
صحراء بدر إلى القليب أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم فإن قلت
علام عطف وأخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا أي فزعوا
وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا
وأخذوا وقرئ وأَخْذٌ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت

هناك

هناك وقالوا آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم
من جنة والتناول والتناوش أخوان إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب
يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم
بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت
كما ينفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول
الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه
وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت في أجوه وأدؤر وعن أبي عمرو
التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت إذا أبطأت
وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا أن يكون أطاعني أي أخيرا
ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا
يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله
شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفي لأنهم لم
يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة
بعيدة من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد
شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور
وقرئ ويُقذَفون بالغيب على البناء للمفعول أي يأتيهم به
شياطينهم ويلقنونهم إياه وإن شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به
على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا لقولهم
آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد

وقد حدثت بعد الأمور أمور
أي تمنى أخيرا طاعته إياي
وقد حدثت أمور بعدهن

لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد أن يلحق فيه لكونه غائبا عنه شاخصا بعيدا
والغيب الشيء الغائب ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد
في قوله بين يدي عذاب شديد ويقولون وما نحن بمعذبين ان كان
الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب نحن اكرم
على الله من ان يعذبنا قايسين امر الاخرة على امر الدنيا فهذا
كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان
دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف ما يشتهون من نفع الايمان
يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا
كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم من كفرة الامم ومن كان
مذهبهم مذهبهم مريب اما من ارابه اذا اوقعه في الريبة والتهمة
او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز
الا ان بينهما فرقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح
ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول
من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي
الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطر السموات والارض مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد

بأشياعهم صح

عن ابن عباس

عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي
اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات
والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح رسلا
بضم السين وسكونه اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان
اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في الكلمة المخاض والخلفة مثنى وثلاث
ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت
عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخرى كما عدل عمر عن عامر
وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا تفترق الحال
فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال
ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان
اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة
اربعة يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته
وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة
على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع
من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة قلت لعل الثالث
ان يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران
فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان
يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان
مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخلفة واحد والمخاض اسم جمع الخلفة على غير لفظه كما ان النساء جمع مرأة على غير لفظه

يعني لو كان الوصفية العدل خاصة ينبغي ان يقول بنسوة رباع ورجال ثلث

انه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سال جبريل عليه السلام
ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه
فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام
فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق
وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة
الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن
والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة
الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة
واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة
في الراي وجراة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في
التكلم وحسن تأتٍّ في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به
الوصف استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له
مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق او
مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها
وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية
او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شيء يمسك الله فلا احد

يقدر

اليه صح

يقدر على اطلاقه **فان قلت** لم انث الضمير اولا ثم ذكر وهو راجع
في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط **قلت** هما لغتان الحمل على المعنى
وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان
لفظ المرجوع اليه لا تانيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع
الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها
فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره **قلت** يحتمل ان يكون
تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالة عليه وان يكون مطلقا
في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة
على ان رحمته سبقت غضبه **فان قلت** فما تقول فيمن فسر الرحمة
بالتوبة وعزاه الى ابن عباس رضي الله عنهما **قلت** ان اراد بالتوبة
الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس ان قاله فمقبول
وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي وان لم يشأ لم يتب فمردود
لان الله تعالى يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعده
من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله
اي من بعد هدايته وبعد آياته وهو العزيز الغالب القادر على الارسال
والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله و
امساكه ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب
وحفظها عن الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها
وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن انعم عليه على موجبها والخطاب عام

اصل صح

صح

اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل ع

للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد
يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع
العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ
غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا
والنصب على الاستثناء فان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون
له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق
باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله
هل من خالق غير الله فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق
على غير الله قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه
الثالث من الاوجه الثلاثة واما على الوجهين الاخرين وهما الوصف
والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق
فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر
ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم
في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى
لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم
لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول
ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون فمن اي وجه
تصرفون عن التوحيد الى الشرك نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات
الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له في الانبياء قبله اسوة ثم جاء بما

يشتمل

باضمار

فعلى مذهبه يطلق اسم الخالق من غير تقييد على غير الله

يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب
والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه
صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت
معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل
من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب
عن التأسي فان قلت ما معنى التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت
رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو آيات ونذر واهل اعمار طوال
واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة
وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا
يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله
ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور
يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه
وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار كقاعد وقعود
واخبرنا عز وجل ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل
بابينا آدم صلوات الله عليه وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل
وجوده ومن بعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريده منا مما فيه هلاكنا
فوعظنا عز وعلا بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعدى منه
وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم
ولا يوجدن منكم ما يدل الا على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم

والشرط فقد كذبت رسل

ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يتوخاه في دعوة شيعته
ومتبعي خطواته هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب
السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع الفارغة والأماني
الكاذبة فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما لما ذكر الفريقين الذين كفروا
والذين آمنوا قال لنبيه أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني أفمن زين له سوء عمله
من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله قال لا فقال فإن الله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى
تزيين العمل والإضلال واحد وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه
المصالح حتى استوجب بذلك خذلان الله وتخليته وشأنه فعند ذلك
يهيم في الضلال ويطلق أمر النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى
القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت
قول أبي نواس اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح فإذا خذل الله
المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم
ولا يلقي بالا إلى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله
في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت
نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو
أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء عليه حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم
صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا وهو بيان للمتحسر عليه

ولا يجوز

ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون
حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير
مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا
يريد رجعن كلاكلا وصدورا أي لم يبق إلا كلاكلها وصدورها ومنه قوله
فعلى إثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام وقرئ فلا تذهب
نفسك إن الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم
وقرئ أرسل الريح فإن قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله
وما بعده قلت ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر
تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون
بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب
أو غير ذلك كما قال تأبط شرا بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة
صحصحان فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران
لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب
الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجيب
من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب
إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل
على القدرة الباهرة قيل فسقناه وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة
إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه والكاف في كذلك في محل الرفع
أي مثل إحياء الموات نشور الأموات وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه

كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك
ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا فقالوا نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى
وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش
كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق كان الكافرون يتعززون بالاصنام
كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا
بالسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال
الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم
العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله
فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشيء
لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة
فهي عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه
ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا
وعزة الآخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل
الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني ان
هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب
الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفي عليين الا اذا
اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها

وقيل

وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر
من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك
وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء
فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث
لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا يقبل
قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل
كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه
يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب
على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو الرجل اي يصعد الى
الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلم الطيب وقرئ
والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم او الله عز وجل
فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب
السيئات قلت هذه صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا
يحيق المكر السيئ الا باهله اصله والذين مكروا المكرات او
اصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا
في دار الندوة وتداوروا الرأي في احدى ثلاث مكرات يمكرونها
برسول الله صلى الله عليه وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى
الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك

او يخرجوكم ومكر اولئك هو يبور يعني ومكر اولئك الذين مكروا
تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور اي يكسد ويفسد دون
مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع
عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير
الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله ازواجا اصنافا
او ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه في موضع الحال
اي الا معلومة له فان قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر
قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه
فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص العمر
اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح
قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام
المتسامح فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم
معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر
واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا
ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت ببلد ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي
وفيه تاويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب
وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون
وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد
عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد نقص من عمره الذي

كقوله او يزوجهم ذكرانا
واناثا صح

٣٠

هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب
انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لاخر الله
في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر وقد استفاض
على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير
يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب
يوم ذهب يومان حتى ياتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ
ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب
اللوح عن ابن عباس رضي الله عنهما ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله
او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف
ضرب البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل واحد
منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ
والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال
مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء
والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن
الماء كانها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية
ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء
مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل

العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة

السفن بازبوست كردن
السفينه وهي فعيله بمعنى فاعل

كما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ
المري تحلا السهل الانحدار لعذوبته وقرى سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف
وملح على فعل وفعيل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد
وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه
قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر
خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد
ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله
ذلكم مبتداء والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او والله ربكم خبران
وله الملك جملة مبتداة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم
الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه والقطمير
لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان
لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل
لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها
وقيل لما نفعوكم يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم
يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك
بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي
يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به

من حال

من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرى تدعون بالتاء والياء
فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم
اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس
وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر
وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان
ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم
بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد
قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه
الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم الحميد
ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم
عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم بعزيز
بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم
كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم
من يعبده لا يشرك به شيئا الوزر والوقر اخوان ووزر الشي اذا
حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة
لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ
جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل
ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس
الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها

واستحق عليهم صح

فإن قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فإن قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ومعنى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء قلت الأول في الدلالة على عدل الله في حكمه وأنه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى إن نفسا قد أثقلتها الأوزار وبهظتها لو دعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ فإن قلت إلام أسند كان في ولو كان ذا قربى قلت إلى المدعو المفهوم من قوله وإن تدع مثقلة فإن قلت فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فإن قلت كيف استقام إضمار العام ولا يصح أن يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فإن قلت نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لأن المعنى على أن المثقلة إن دعت أحدا إلى حملها لا يحمل منه شيء وإن كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على أن ههنا ما ساغ أن يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما أوردته بالعيبة عن الفعل

ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وإن كان ذو عسرة قلت صح

أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله عليه من أصحابه كانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله وهم الذين أقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني إنما تقدر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلوة لأنهما من جملة التزكي وإلى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فإن قلت كيف اتصل قوله إنما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله إن يشأ يذهبكم أتبعه الإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها ثم قال إنما تنذر كأن رسول الله أسمعهم ذلك فلم ينفع فيهم فنزل إنما تنذر أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم الأعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما أو للصنم ولله عز وجل والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان إليه من الثواب والعقاب والأحياء والأموات مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر والحرور السموم إلا أن السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل فإن قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي فإن قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا إلى شفع وبعضها

صح

وشبّه الجهلة ثم إن الله يسمع من يشاء يعني أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم أن الهداية تنفع فيه ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه وأما أنت فخفي عليك أمرهم فلذلك تحرص وتتهالك على إسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين وذلك مما لا سبيل إليه ثم قال إن أنت إلا نذير أي ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفع وإن كان من المصرين فلا عليك ويحتمل أن الله يسمع من يشاء أنه قادر على أن يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والإلجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى بالحق حال من أحد الضميرين يعني محقا أو محقين أو صفة للمصدر أي إرسالا مصحوبا بالحق أو صلة لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والأمة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس ويقال لأهل كل عصر أمة وفي حدود المتكلمين الأمة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث إليهم وهم الذين يعتبر إجماعهم والمراد ههنا أهل العصر فإن قلت كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير قلت إذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير إلى أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فإن قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دلّ

ذكرها

ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير نحو التوراة والإنجيل والزبور لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسندها إليهم إسنادا مطلقا وإن كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله ألوانها أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيآتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد الخطط والطرائق قال لبيد أو مذهب جدد على ألواحه الناطق المبروز والمختوم ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب سود معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فإن قلت الغربيب تأكيد للأسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك قلت وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعا ولا بد

الجدد جمع جدة خط

من بعد حرف المضاف في قوله ومن الجبال جدد يعني ومن الجبال ذو جدد بيض وسود حتى يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول أبي ذؤيب

جون السراة له جدائد أربع

وروى عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضألين لأن كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك أولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك أي كاختلاف الثمرات والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما أن يخشى وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي أفتني أيها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فإن قلت هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول

[هوامش: وحمر صح — أربع صح — جون السراة أسود الظهر — كان صح — في أبي بكر الصديق]

في هذا الكلام أو أخر قلت لا بد من ذلك فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى أن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله وهما معنيان مختلفان فإن قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء كأنه قال إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي عليه السلام أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ إنما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفة رحمه الله قلت الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه أن يخشى يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي رحمه الله يأخذون بما فيه وقيل هم المؤمنون

[هامش: يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه ورضي عنهم وعن عطاء صح — الله صح]

يرجون تجارة والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق
بلن تبور اى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها
عنده اجورهم وهى ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل
على المستحق وان شئت جعلت يرجون فى موضع الحال على وانفقوا
راجين ليوفيهم اى فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق
فى سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله انه غفور شكور على معنى غفور لهم
شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة الكتاب القران ومن للتبيين او
الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا
التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعنى انه خبرك
وابصر احوالك فرآك اهلا لان يوحى اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى
هو عيار على سائر الكتب **فان قلت** ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب
قلت فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك القران ثم اورثناه من بعدك
اى حكمنا بتوريثه او قال اورثنا وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله
الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم
ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم
امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى
افضل رسل الله وحمل الكتاب الذى هو افضل كتب الله ثم قسمهم الى
ظالم لنفسه مجرم وهو المرجا لامر الله ومقتصد وهو الذى خلط عملا
صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثانى انه قدم ارساله فى كل امة

رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاءوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير
ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين
بشرائعه من المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذى اوحينا
اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا اى من بعدهم اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده
اهل الملة الحنيفية **فان قلت** كيف جعلت جنات عدن بدلا
من الفضل الكبير الذى هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك **قلت**
لما كان السبب فى نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب
فابدلت عنه جنات عدن وفى اختصاص السابقين بعد التقسيم
بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر
فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح
المخلصة من عذاب الله ولا يغتر بما رواه عمر رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج
وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب
عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك
فى مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع
وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه **فان قلت** لم قدم
الظالم ثم المقتصد ثم السابق **قلت** للايذان بكثرة الفاسقين منهم
وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل

فروت البلاد واسفرتها اذا اسيفها

وقرئ جنة عدن على الافراد كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن
بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون جنات عدن
يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المرأة
فهي حالٍ ولؤلؤا معطوف على محل من اساور ومن داخلة للتبعيض
اي يحلون بعض اساور من ذهب كأنه بعض سابق لساير الابعاض
كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ
ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو
ما اهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك رضي الله عنه
حزن ابليس ووسوسته وقيل همّ المعاش وقيل حزن زوال النعم
وقد اكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان
الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على
اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم
وكأني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب
عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وذكر الشكور
دليل على ان القوم كثير الحسنات المقامة بمعنى الاقامة
يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وافضاله
من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي

هو

هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ
لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه اي لا نتكلف عملا يلغبنا او مصدر
كالقبول والولوع او صفة كأنه لغوب كقولك موت مائت
فان قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب
التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب
فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة
واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة فيموتوا جواب النفي
ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له في حكم النفي
اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
كذلك مثل ذلك الجزاء يجزى وقرئ نجازي ونجزي كل كفور بالنون
يصطرخون يتفعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال
كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها واستعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث
صوته فان قلت هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا
وما فايدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر
غير الصالح الذي عملوه قلت فايدة زيادته التحسر على ما عملوه من غير
الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزايل بظهور حالهم في الكفر وركوب
المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي
كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ من الله يعني فنقول لهم

وقرئ ما يذّكّر فيه من اذّكّر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه
المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم
ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل
ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب
وقرئ وجاءتكم النذر فان قلت علام عطف وجاءكم النذير
قلت على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ الاستخبار ومعناه معنى
اخبار كانه قيل قد عمرنكم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها
وهي تانيث ذو في نحو قول ابي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية
وقوله لتغني عني ذا انائك اجمعا المعنى ما في بطنها من الحبل وما في
انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء الا ترى
الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها
وذو موضوع لمعنى الصحبة يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة
يجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاءه في ارضه
قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها
لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة
السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه
خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت اشد
البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب

في كل قلب وهو

وهو خطاب للناس وقيل هو خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه
اي جعلكم امة خلفت من قبلها ورات وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي
ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة
كما ان ذلك لهم من قبلهم اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني
كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية
والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله
ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله
ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير
في آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم كتابا
من قبله بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا
وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات ان تزولا كراهة
ان تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا
غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا
لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وقرئ ولو زالتا ان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد
الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء من بعده
من بعد امساكه وعن ابن عباس انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت
به قال كعبا قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية بلغ
قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب

الكتاب صح

قوله ولئن تم شرط وقوله ان امسكهما جوابها

قال ما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال

كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم
فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث
رسول الله كذبوه وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم
ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة
التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة
ما زادهم اسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا انفسهم نفورا
عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم استكبارا
بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا
وعلوا في الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله والمؤمنين
ويجوز ان يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا فان قلت ما وجه
قوله ومكر السيئ قلت اصله وان مكروا السيئ اي المكر السيئ
ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيئ
الا باهله ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ
اي ولا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه
لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ
الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم
وعن كعب انه قال لابن عباس قرات في التوراة من حفر مهواة
وقع فيها قال انا وجدت ذلك في كتاب الله فقرا الاية وفي امثال العرب
من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرا حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة

وذكر

وذلك لاستثقال الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن
سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرا ابن مسعود
ومكرا سيئا سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم
من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته
التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اي
لا يغيرها وان ذلك مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه
في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق واليمن
من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه
ويفوته بما كسبوا بما اقترفوا على ظهرها على ظهر الارض من دابة
من نسمة تدب عليها يريد بني ادم وقيل ما ترك بني ادم
وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن عباس
كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن ادم ثم تلا هذه الاية
وعن انس رضي الله عنه ان الضب ليموت هزلا في جحره
بذنب ابن ادم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء الى اجل
مسمى الى يوم القيامة كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة
دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ يس بالفتح كأين وكيف وبالنصب على أتل يس وبالكسر
على الأصل كجير وبالرفع على هذه يس وبالضم كحيث وفخمت الألف
وأميلت وعن ابن عباس معناه يا إنسان في لغة طي والله أعلم
بصحته وإن صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به
على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في
ايمن الله الحكيم ذو الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحي أو لأنه
كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم خبر
بعد خبر أو صلة للمرسلين **فإن قلت** أي حاجة إليه خبرا
كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم
قلت ليس الغرض بذكره ما ذهبت إليه من تمييز من أرسل على
صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وإنما الغرض وصفه
ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه
قال إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضا فإن التنكير
فيه دال على أنه أرسل من بين الصراط المستقيمة على صراط
مستقيم لا يكتنه وصفه وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه
خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على أعني وبالجر على البدل من القرآن
قوما ما أنذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه
قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك
من نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على إثبات الإنذار ووجه

ذلك

ذلك أن تجعل ما مصدرية لتنذر قوما إنذار آبائهم أو موصولة منصوبة
على المفعول الثاني لتنذر قوما ما أنذره آباؤهم من العذاب كقوله
إنا أنذرناكم عذابا قريبا **فإن قلت** أي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون
على التفسيرين **قلت** هو على الأول متعلق بالنفي أي لم ينذروا فهم
غافلون على أن عدم إنذارهم سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله
إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه
غافل أو فهو غافل **فإن قلت** كيف يكونون منذرين غير
منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الأخر **قلت** لا مناقضة لأن الآي
في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد إسماعيل
وكانت النذارة فيهم **فإن قلت** ففي أحد التفسيرين أن آباءهم لم ينذروا
وهو الظاهر فما تصنع به **قلت** أريد آباؤهم الأدنون دون الأباعد
القول قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين تعلق بهم هذا
القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر
ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم
كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه
ولا يطأطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون
ما قدامهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون
عن النظر في آيات الله **فإن قلت** ما معنى قوله فهي إلى
الأذقان **قلت** معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها

وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطي راسه ويوطي قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع راسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك سمي جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفوه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج فان قلت فقد قرا ابن عباس في ايديهم وابن مسعود في ايمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين ان تجعل الضمير للايدي او للايمان قلت يابى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله تعالى فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت

مقمحا

اي اذا التبيعة ...

نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهر صح

٢٨٠

في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم عقبه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشون ربهم نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم ان يخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس احبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله عز وجل ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من اثاره وقيل هي اثار المشائين الى المساجد وعن جابر رضي الله عنه اردنا النقلة

فذكر ما دل على

اي غير المتبع

او حبس فرسا في سبيل الله او وقف وهو محبس وحبس

وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم

الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله فاتانا في ديارنا
وقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا الى المسجد فقلنا نعم بَعُدَ
علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم
قال فلو كنا حضرنا المسجد لما قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن
عبد العزيز رحمه الله لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الآثار التي
تعفيها الرياح والامام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء
للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا ومثل لهم عندي من هذا الضرب
كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد
والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة اصحاب
القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب
القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل عيسى صلوات الله عليه
الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين
فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار
صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض
ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض سنتين فمسحاه فقام
فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق ورقي حديثهما الى
الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك
فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا
ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به

مثلا من قولهم صح

قصة عجيبة

بس

به ورفعوا خبره الى الملك فآنس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست
رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما
فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال
صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك
فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره واخذا
بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون
أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال
ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان
شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال
ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام
فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه
فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع
لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى
شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم
جبريل فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها
وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه
اي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فان قلت لم ترك ذكر
المفعول به قلت لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف
فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا

بدل ما يتمنى

شاهم صح

قال صح

وآمن صح

يقال المطر يعزز الارض ... الصلبة

الحق عن الإعراض جعل سياقه المسوق إليه توكيدا بالحق فلذلك
نقضت ذكرا المحكوم له والمحكوم عليه إنما رفع بشر ونصب في قوله
ما هذا بشرا لأن إلا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له
عمل فإن قلت لم قيل إنا إليكم مرسلون أولا وإنا إليكم لمرسلون آخرا
قلت لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار وقوله
ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله
وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق
مع قولهم وما علينا إلا البلاغ المبين أي الظاهر المكشوف بالآيات
الشاهدة لصحته وإلا فلو قال المدعي والله إني لصادق فيما أدعي ولم يحضر
البينة كان قبيحا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت
منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه
وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم
نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط
وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وإن تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك
وعن قتادة إن أصابنا شيء كان من أجلكم طائركم معكم وقرئ طيركم
أي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم
ومعاصيهم وقرأ الحسن اطيركم أي تطيركم وقرئ أئن ذكرتم
بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآن ذكرتم بالفتح بمعنى

أتطيرون أن ذكرتم وقرئ آن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة
بمعنى أتطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف أي شؤمكم معكم حيث
جرى ذكركم وإذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم بل أنتم
قوم مسرفون في العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم لا من قبل رسول الله
وتذكيرهم أو بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث
تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله رجل يسعى وهو حبيب ابن
اسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله
عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل
وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره وقيل كان في غار
يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة
فقالوا أوأنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل
توطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو
يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب
الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب
وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون من لا يسألكم أجرا وهم
مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم
وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ثم أبرز الكلام
في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم

ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد
وضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي
فطركم الا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك
لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال اني
امنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم
على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتداكم
واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته
عبادة اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع لكم هو لا لم تنفع شفاعتهم
ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه
بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى
على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل
قبل ان يقتل فقال لهم اني امنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني
تشهدوا لي به وقرئ ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي
يجعلني موردا للضر قيل ادخل الجنة لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة ادخله
الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى بل احياء عند ربهم
يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها
فان قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت مخرجه
مخرج الاستيناف لان هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه
كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد التصلب في نصرة دينه وا

ذلك التصلب
بل

الجنة صح

عالما بهم وصح

يس

التسخي هي ...

والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب
الغرض الى المقول وعظمته لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك
قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله
عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها
سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان
والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه
حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل
والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر
في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به
والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل
وهم كفرة عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على
خطاء عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان
عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة
غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وقرئ المكرمين
فان قلت ما في قوله بما غفر لي ربي اي الماءات هي قلت المصدرية
او الموصولة اي بالذي غفر لي ربي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية
يعني باي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة
لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود
وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت

اهل صح

اهل الجهل و صح

والمعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء
كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما معنى قوله وما كنا منزلين قلت
معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء
وذلك لان الله عز وجل اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض
وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به
الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر
والخندق فقال فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة مردفين
بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مداين قوم لوط بريشة من جناح
جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه
وسلم بكل شيء على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار
واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له
جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال
الجنود من عظايم الامور التي لا يوهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك
ان كانت الا صيحة ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة وقرا ابو جعفر المدني
بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على
تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ
وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن رحمه الله فاصبحوا
لا ترى

لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع
وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه الا زقية واحدة من زقا الطاير يزقو
ويزقي اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي لانهم كانوا يسمرون بالليل
فاذا صاح الديك ثقل عليهم خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود
رمادا كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوءه يحور رمادا بعد
اذ هو ساطع يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها
تعالي يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال
استهزايهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون
ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملايكة
والمومنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله عز وجل على سبيل الاستعارة
في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه
منه وقراءة من قرا يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي
وقرى يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث
انها موجهة اليهم ويا حسره على العباد على اجراء الوصل مجرى
الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل
فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا
ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان
لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على
اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم

اخذ المعنى

اراد بالتعليق منع العامل عن العمل في اللفظ دون المعنى

والحسن رحمه الله كسر ان على الاستيناف وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد
قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قيل له ان
قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس
القوم نحن اذن نكحنا نساءه واقتسمنا ميراثه وقرئ لما بالتخفيف على
ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة
ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسألة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت
وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا عن المضاف اليه كقولك
مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب
يوم القيامة وقيل محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل
بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة
وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم
والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا جميعا القراءة بالخفة
على الخفة اشيع لسلاستها على اللسان احييناها استيناف بيان
لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان توصف الارض والليل
بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما
فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه ولقد امر
على اللئيم يسبني وقوله فمنه يأكلون بتقديم الظرف للدلالة على
ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق

اى السبح بمعنى الاخبار والتسبيح للمبالغة

ومنه

ومنه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك
ونزل البلاء وقرئ وفجرنا بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح
والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون
والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته
ايديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ
الثمر منتهاه وابان اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه
آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام
من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل
وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما
علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات
كما قال رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
فقيل له فقال اردت كان ذاك ولك ان تجعل ما نافية على ان الثمر
خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه
الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك
وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير الازواج
الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله
عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد
ان يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر
طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم

قال ابو عبيدة قلت لرؤبة ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك

ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون
وعن ابن عباس رضي الله عنهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فأعلمنا بوجوده وأعداده
ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين
وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علموه وما جهلوه ما دل على عظيم
قدرته واتساع ملكه سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه
سلخ الحية لخرشائها فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان
الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال أظلمنا كما يقال
أعتمنا وادجينا لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي إليه من فلكها
في آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لمنتهى لها
من المشارق والمغارب لأنها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا
حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لأنها لا تعدوه
أو لحدها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل
مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه
وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع
جريها وهو يوم القيامة وقرئ تجري إلى مستقر لها وقرأ ابن مسعود
لا مستقر لها أي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن
لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي
تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام في استنباطه ما هو إلا

تقدير

تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور والمحيط علما بكل معلوم قرئ والقمر
رفعا على الابتداء أو عطفا على الليل نصبه ومن أنه القمر نصبا بفعل
يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لأنه لا معنى
لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون
منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على
تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة
والعشرين ثم يستسر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر وهذه المنازل
هي مواضع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة
وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع
النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر
الزبانى الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح
سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم
فرغ الدلو المؤخر الرشاء فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس
وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه إلى
منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو
الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان
كالبزيون والبزيون والقديم المحول وإذا قدم دق وانحنى
واصفر فشبه به من ثلاثة أوجه وقيل أقل مدة الموصوف
بالقديم الحول فلو أن رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر

او كنت ذلك في وصيته عنو منهم من مضى له حول او اكثر وقرئ
سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل
والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما
على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يستقيم لوقوع
التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان
على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه
فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران
ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض
ما الف فيجمع بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها فان قلت
لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس
لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر وكانت الشمس
حرية ان توصف بالادراك لتباطي سيرها عن سير القمر والقمر
خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض
من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق
ذكر ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على
النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء
من مثله مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل
الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها اباءهم الاقدمين
وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم

وادخل

ولا يصح صح

وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح
ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق فلا صريخ
لا مغيث او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت
بالغرق الا رحمة الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى حين الى اجل يموتون
فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من الغرق ولقد احسن من قال وما اسلم
كلبي ابقي ولكن سلمت من الحمام الى الحمام وقرأ الحسن رحمه الله نغرقهم
اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من
من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة
ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي
ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم
ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه
بقوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال فاذا قيل لهم اتقوا اعرضوا
ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة كانت الزنادقة منهم
يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيئته فيقولون لو شاء الله
لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب
مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله
ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين
ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع
وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين

قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى لما كان قادرا على إطعامه ولا يشاء إطعامه فنحن أحق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لأطعمكم إن أنتم إلا في ضلال قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين قرئ وهم يخصمون بإدغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها وإتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الأصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة أنهم لا يبعثون لا يستطيعون أن يوصوا في شيء من أمورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو جمع صورة وبتحريكها الأجداث القبور وقرئ بالفاء ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية قرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود رضي الله عنه من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه وأهبه غيره وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة

والمصـ

قالوا هذا لله بزعمهم

والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف أي هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا من مرقدنا وأما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا فإن قلت إذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون إذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره فإن قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل إلا أنه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت إليهم أحوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما أنذروا به فكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث إن هذا هو البعث الأكبر

ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعد الله في كتبه المنزله على السنة رسله
الصادقين الا صيحة واحده قرئت منصوبه ومرفوعه فاليوم لا تظلم
نفس شيئا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون حكاية ما يقال لهم في ذلك
اليوم وفي مثال هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس
وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي شغل وفي شغل
لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنه التي هي دار المتقين
ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع
في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم
مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف
ومضايق التقوى والخشيه وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط
ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس رضي الله عنه
في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في التزاور
وقيل في ضيافة الله وعن الحسن رحمه الله شغلهم عما فيه اهل
النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي رحمه الله هم في شغل عن اهاليهم من اهل
النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم وقرئ
في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه والفكه
المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانه مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة
وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس
وقرئ فاكهين وفكهين على انه حال والظرف مستقر هم يحتمل ان يكون مبتدا

وان يكون تاكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركهم في ذلك الشغل
والاتكاء على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والاريكة السرير في الحجلة
وقيل الفراش فيها وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه متكئين يدعون
يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى
وجمل لنفسه فاشتوى لنفسه ربح واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك
ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه
علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء اي
ما يدعو به اهل الجنه ياتيهم وسلام بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام
يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطه مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا
يمنعونه قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكه يدخلون عليهم بالتحية
من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدا وخبره سلام بمعنى ولهم
ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما
يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص
وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما
نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين
وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة
ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا الايه

يقال لعدوه فلان ذو اثنان وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك
لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يَرى ولا يُرى ومعناه ان بعضهم
يمتاز من بعض العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم
ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان
طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وقرئ اِعهد بكسر الهمزة وباب
فَعِلَ يجوز في حروف مضارعه الكسر الا في الياء واَعْهِد بكسر الهاء
وقد جوّز الزجاج ان يكون من باب نَعِم يَنعِم وضَرَب يضرِب واحهد
بالحاء واحّد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحّا محّا اي دعها معها هذا اشارة
الى ما عهد اليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط
اقوم منه وتنوين التنكير فيه ما في قول كثير لئن كان يهدى برد انيابها
العلى لاقفر مني انني لفقير اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان
اوصف به لكمال شرائطه فيّ والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله
هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع
لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط المستقيمة
توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس
عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كانه قيل
اقل احوال الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد
نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع غير
ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه قرئ جبلا بضمتين وضمة

وسكون وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين
والتشديد وهي لغات في معنى الخلق وقرئ جِبَلا جمع جِبلة
كفِطَر وخِلَق وفي قراءة علي رضي الله عنه جِيَلا واحد الاجيال
يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم
وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم
وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة
اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه
انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكنّ
وسحقا فعنكن كنت اناضل وقرئ يختم على افواههم وتتكلم
ايديهم وقرئ لتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى
ولذلك نختم على افواههم وقرئ لتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر
والجزم على ان الله يامر الاعضاء بالكلام والشهادة الطمس
تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط
لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا
الى الصراط او يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا
لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى على انه لو نشاء
لمسحنا اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذي اعتادوا
سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا اليها
كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم

لم يقدروا وتعذر عليهم ان يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره
او لو نشاء لاعميناهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الطريق المألوف
كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو نشاء لاعميناهم فلو طلبوا ان
يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا
يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من ساير
الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضروا به من المقاصد
من المقاصد دون غيرها على مكانتهم وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان
واحد كالمقامة والمقام اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون
ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ
فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة
لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلاث
فالمضي والمضي كالعتي والعتي والمضي كالصبي ننكسه في الخلق
نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه قبلا وذلك انا خلقناه على ضعف
في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال
ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل
ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص
حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه
من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ومنكم من يرد
الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين

وفي

الصبي مصدر صبا الفرخ اذا صاح الصبي على وزن فعيل

يس ٣

وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة
الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم
الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان
يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكاناتهم ويفعل بهم ما شاء
واراد وقرئ ننكسه وننكسه من التنكيس والانكاس
افلا تعقلون بالياء والتاء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم شاعر وروي ان القائل عقبة بن ابي معيط فقيل وما
علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى
ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو عن
الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن
واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين
نظم كلامهم عن نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين
الشعر اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذاك
كذلك وما ينبغي له وما يصح له وما يتطلب لو طلبه اي جعلناه
بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا
لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض
وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له فان قلت فقوله
انا النبي لا كذب الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قلت ما هو

انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت

قرض الشعر انشاؤه اي ما اراد انشاء الشعر

الا كلاما من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة
فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه
اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم
ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم
ولا السامع انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت
الواقع في اوزان البحور ولا قدرة على النصر غير عزيز على ان
الخليل كان لا يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون
القران من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقران مبين
يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو
الا ذكر للعالمين وما هو الا قران كتاب سماوي يقرا في المحاريب
ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين
فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر
القران او الرسول وقرى لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا
علمه من كان حيا اي عاقلا متاملا لان الغافل كالميت او معلوما
منه انه يؤمن فيحيى بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب
على الكافرين الذين لا يتاملون ولا يتوقع منهم الايمان مما عملت
ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال
ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو
عمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون

اى خلقنا

يس

اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك
مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبطه
وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله
وتسخيره لها كما قال القائل يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله
سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرى ركوبتهم اي ذو ركوبهم او فمن
منافعها ركوبهم منافع من الجلود والاوبار والاصواف وغير
ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله وجعل لكم
من جلود الانعام بيوتا الاية والمشارب جمع مشرب وهو
موضع الشرب او الشرب اتخذوا الالهة طمعا ان يتقووا بهم
ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لالهتهم
معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والالهة
لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله
ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند
معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار قرى
فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك
تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم

وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد
ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الاخرة حتى ينقشع عنه
الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت ما تقول فيمن يقول ان قرا
قارى انا نعلم بالفتح انتقضت صلوته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى
كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو
كثير في القران والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه
ومعنى الكسر سوا وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد
والنعمة لك كسر ابو حنيفة رحمه الله وفتح الشافعي رحمه الله وكلاهما
تعليل والثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم
ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قايم مع المكسورة اذا جعلتها
مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه
لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل
ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما انك تفصل
بتقدير معنى القول اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته
كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القايل فما فيه الا
نهي رسول الله صلى الله عليه عن الحزن على كون الله عالما
بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيا الا ترى
الى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع
مع الله الها اخر قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى
اعجب

التعليل صح

اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم
وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره
بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شي وامهنه وهو
النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة
ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة
اوله لان يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب
متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما
رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به
وهو كونه منشا من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي
المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي ان جماعة من كفار قريش
منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وايل والوليد بن
المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث
الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه
واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي
هذا العظام قال نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله
فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز
منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما
قال او من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين فان قلت
لم سمى قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دل عليه

الا ترى الى صح

من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله عز وجل على إحياء
الموتى أو لما فيه من التشبيه لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة
عليه بدليل النشأة الأولى فإذا قيل من يحيي العظام على طريق
الإنكار لأن ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان
تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه
والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا
يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى
فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في
العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها
من قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة
وكذلك الشعر والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها
الموت ويقولون المراد بإحياء العظام في الآية ردها إلى ما كانت
عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وهو بكل خلق عليم يعلم كيف
يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها
وأنواعها وجلائلها ودقائقها ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار
من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد
التي توري بها الأعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم
في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين
مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر

على العفار وهي أنثى فتنقدح النار بإذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه
كدينات القصارين الأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على
المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون
فشاربون عليه من الحميم من قدر على خلق السموات والأرض
مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي أقدر وفي معناه قوله تعالى
لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله
على أن يخلق مثلهم يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة
بالإضافة إلى السموات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل
للمبتدأ وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات
وقرئ الخالق إنما أمره إنما شأنه إذا أراد شيئا إذا دعاه داعي حكمة
إلى تكوينه ولا صارف أن يقول له كن أن يكونه من غير توقف
فيكون فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة فإن قلت ما
حقيقة قوله أن يقول له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل
لأنه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وأنه بمنزلة المأمور
المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع فإن قلت فما وجه
القراءتين في فيكون قلت أما الرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر
لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن
وأما النصب فللعطف على يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شيء

مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما يقدر عليه من المباشرة بمحال القدر واستعمال الالات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية (اي من السورة بهذا الفضل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء

(اذا انزل به)

ح

حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة الصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية وقيل اثنتان وثمانون آية

(الصافات)

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلاة من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعة (اي الصافات صفوف الجماعة) فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث

(الصف ترتيب الجمع على خط واحد)

الصلاة فالعائم فالآيب كأنه قال نحج نغنم فآيب وإما على ترتبها
في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل فالأكمل واعمل
الحسن فالأجمل وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله
المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء
العاطفة في الصفات **فإن قلت** فعلى أي هذه القوانين
هي فيما أنت بصدده **قلت** إن وحدت الموصوف كانت للدلالة
على ترتب الصفات في التفاضل وإن ثلثته فهي للدلالة على
ترتب الموصوف فيه بيان ذلك أنك إذا أجريت هذه الأوصاف
على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها
في الفضل إما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة وإما على
العكس وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة وإن أجريت
الصفة الأولى على طوائف والثانية على أخر فقد أفادت
ترتب الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات
ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على
العكس وكذلك إذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات
كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فإن
الموصوفات مختلفة وقرئ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال
رب السموات خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف والمشارق
ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس

فكل

كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين
فإن قلت فماذا أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين **قلت**
أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما الدنيا القربى منكم والزينة
مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة
ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل
أي بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على إضافته إلى
المفعول أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء
بحسنها وأصله بزينة الكواكب وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن وثاب
وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا
للزينة لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد
ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء
الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات
النعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على
هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين وجر الكواكب على الإبدال
ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة وحفظا
مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا
من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا
من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا

الصافات

كالليقة

وغيرهما

ما زينت به الكواكب ضوؤها أو ما زينت به الكواكب أشكالها أي الضوء زينة الكواكب

زينة

المعنى

وقيل جعلناها حفظا

والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها الضمير في لا يسمعون لكل
شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد واصله
يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا
ينصر التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون كيف اتصل
بما قبله قلت لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان
او استينافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا
يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستيناف لان سائلا لو سال لم
تحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون
كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع
وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا وهم
مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف
خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب
الثاقب فان قلت هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا
فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا
فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما
اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القران عن مثل هذا
التعسف واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا
يتحدث

يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه قلت
المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك
والملا الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملا
الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس هم الكتبة من الملائكة
وعنه اشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء
من اي جهة صعدوا للاستراق دحورا ويقذفون للدحور وهو الطرد
او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى
وكانه قيل يدحرون او قذفا وقرا ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله
بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا او على انه قد جاء مجيء القبول
والولوع والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني انهم في الدنيا
مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة نوع من العذاب دائم
غير منقطع من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع
الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف
بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء
وتشديدها واصلها اختطف وقرئ فاتبعه الهمزة وان خرجت
الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم
اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة
وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه
وقوته ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات

والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة
وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد
عد هذه الاشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا بالفاء المعقبة وقوله
أم من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه
قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم أشد
خلقا أم الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا
بالتخفيف والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق
وفي خلقه شدة وأصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لانكارهم البعث
والنشأة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم
يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين
لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين
غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب
الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب
مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر
انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا
القول بملائم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والثاني بتشديد
الاضاءة بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم
يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله او من انكارهم
البعث وهم يسخرون من امر البعث وقرئ بضم التاء اي بلغ من عظم

الكر

آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي هؤلاء بجهلهم وعنادهم
يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله
وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه فان قلت كيف يجوز
العجب على الله تعالى وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظامه
الشيء والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان احدهما
ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يخيل العجب ويفرض
وقد جاء في الحديث عجب ربكم من ألّكم وقنوطكم وسرعة اجابته
اياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء
وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه
وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل
معناه قل يا محمد بل عجبت وإذا ذكروا ودأبهم انهم اذا وعظوا بشيء
لا يتعظون به وإذا رأوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر
ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض
ان يسخر منها أوآباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير
في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام
والمعنى أيبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم
اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرئ أو آباؤنا قل نعم وقرئ نعم
بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم اي الله او الرسول
والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما جواب شرط مقدر

تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة
موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة
الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها
فريعت لصوته ومنه زجر ابي عروة السباع اذا اشفق
ان يختلطن بالغنم زجر تصويته بها فاذا هم احياء بصراء ينظرون
عما يجوز ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة
بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا
هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة
جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه اي نجازى باعمالنا
ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة
احشروا خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم
وضرباءهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم واشباههم
من العصاة اهل الزنى مع اهل الزنى واهل السرقة مع اهل السرقة
وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم
فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم
بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين
متناصرين بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا
وخذله عن عجز وكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون
ولا تناصرون بالادغام اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما

ما لكم لا تناصرون

وكانوا

يتيمنون

وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور
ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها
اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الاعسر معيبا
عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل
الامور باليمين واراذلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات
والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه
والمسيء ان يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل
اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله
وجاء في بعض التفسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه
من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل
الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة
وبالثواب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى
من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكوة فان قلت قولهم
اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين
مجازا عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق
بالحقائق وهذا من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر
لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم
تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة

افاضل صح

يعني تجاوزوا على الضلال مقتصرين عليه وهذا من خطاب الاتباع
لرؤسائهم والغواة لشياطينهم بل لم تكونوا مؤمنين بل انتم آبيتم الايمان
واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين
وما كان لنا عليكم من سلطان تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم
قوما طاغين مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون
يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا
واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون
ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم
ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى
قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن
ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على
المحلف فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة محصلة للبغية
لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا
اغواءكم لتكونوا مشاركين لنا في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل
بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام من التكبر
استوجبه انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا
عنها وابوا الا الشرك لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه
بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله
مصدقا لما بين يديه ومن قرأ لذائقوا العذاب بالنصب على حذف النون

كقوله

أي قل لاخرجن ولتخرجن

٣ الثالث فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما انهم كانوا

كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بحذف التنوين وقرئ على الاصل لذائقون العذاب
الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ الا عباد الله وكذلك
عباد الله على الاستثناء المنقطع فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل
ما يتلذذ به ولا يتقوت بحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم
مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة
للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق
معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن
منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات النعيم وقوله وهم
مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم
وهو من اعظم ما يجب ان تتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم
ما يجب ان تنفر عنه نفوسهم هوان اهل النار وصغارهم على سرر متقابلين
للسرور والانس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفاء بعض يطاف عليهم بكأس من معين
الزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا قال وكأس شربت على لذة
وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس
من معين من شراب معين او نهر معين وهو الجاري على وجه الارض
الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار
كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار من خمر بيضاء صفة للكأس لذة
اما ان توصف باللذة كانها نفس اللذة وعينها او هي تأنيث اللذ يقال

الصافات

الا عباد الله المخلصين

فواكه عطف بيان او بدل وعلى الوجه الثاني [illegible]

حال ان يكون [illegible] والتعظيم [illegible]

واخرى [illegible]

لذّ الشيء فهو لذّ ولذيذ ووزنه فَعْلٌ كقولك رَجُلٌ طَبٌّ قال

وَلَذٍّ كَطَعْمِ الصَّرْخَدِيِّ تَرَكْتُهُ بأرضِ العِدَى مِن خَشْيَةِ الحِدْثَانِ

يريد النوم الغَوْل من غاله يغوله غولا اذا اهلكه افسده ومنه الغول

التي هي في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغَضَبُ غَوْلُ الحِلْمِ وَيُنْزَفُونَ على البناء

للمفعول من نُزِفَ الشاربُ اذا ذهب عقله ويقال للسكران نَزِيفٌ ومَنْزُوفٌ

ويقال للمطعون نُزِفَ فمات اذا خرج دمه كله ونَزَحْتُ الرَّكِيَّةَ حتى نَزَفْتُهَا

اذا لم يترك فيها ماءً وفي امثالهم أَجْبَنُ مِنَ المَنْزُوفِ ضَرِطًا وقرئ يُنْزِفُونَ من انزف

الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ

لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرَا ومعناه صار ذا نَزْفٍ ونظيره أَقْشَعَ السَّحَابُ

وقَشَعَتْهُ الرِّيحُ وأَكَبَّ الرَّجُلُ وكَبَبْتُهُ وحقيقتهما دخلا في القَشْعِ والكَبِّ

وفي قراءة طلحة بن مصرف يَنْزُفُونَ بضم الزاي من نَزُفَ يَنْزُفُ كَقَرُبَ

يَقْرُبُ اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التي تكون

في شرب الخمر من مَغْصٍ او صُدَاعٍ او خُمَارٍ او عَرْبَدَةٍ او لَغْوٍ او تأثيم

او غير ذلك قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طَرْفًا الى غيرهم

كقوله تعالى عُرُبًا عِين نُجْل العيون شبههن ببيض النعام

المكنون في الأَدَاحِي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات

الخدور فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض قلت

على يُطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة

الشَّرْبِ قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء

به ماضيا على عادة الله في اخباره قرئ من المصدقين من التصديق

ومن المصّدّقين بتشديد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق

بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال له واين مالك قال

تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال أَئِنَّكَ لَمِنَ المُصَّدِّقِينَ

بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا

لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون

يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال

يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين

قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل

القائل الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل

تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار وقرئ

مُطْلِعُونَ فَأُطْلِعَ وفاطَّلَع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع

المنصوب ومُطْلِعُونِ فأُطْلِعَ بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع

المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى

هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع

فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه

غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من اداب المجالسة

ان لا يستبد بشيء دون جلسائه فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب

على هذا الملائكة وقرئ مطّلعون بكسر النون اراد مطّلعون اياي فوضع
المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه
اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطّلعون وهو ضعيف
لا يقع الا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع
سوائي اي وسطي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت
اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل
على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين
ونعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام
والبراءة من قرين السوء وانعام الله بالثواب وكونه من اهل الجنة
من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك
الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن
بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم
وما قضى الله به لهم للعلم بافعالهم ألا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف
الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء
ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقولها المؤمن تحدثا
بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به
تعذبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم
جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه

وقيل

يقع صح

يتمنون صح

لقو صح

له صح

وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ
لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة ثم قصة المؤمن
وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال أذلك الرزق خير نزلا
ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في
الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء
وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم
والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول أثمر النخلة
خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار
نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان
من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار
السكن ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا
فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما
اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة
الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم فتنة للظالمين
محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف
يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في اصل
الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها
والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها
اما استعارة لفظية او معنوية وشبه برؤس الشياطين

لهم صح

دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشياطين مكروه
مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير
فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان كانه راس شيطان
واذا صوره المصورون جاؤا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم
اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة
قال تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل
الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا
يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس
الشياطين وما سمته العرب هذا الثمر برؤس الشياطين الا قصدا
الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثانيا يشبه به
منها من طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد او
يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا
غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد شوبه اي
مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب
اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب
به والاول تسمية بالمصدر فان قلت ما معنى حرف التراخي في
قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وفي قوله ثم ان مرجعهم قلت
في الاول وجهان احدهما انهم يملؤن البطون من شجر الزقوم وهو
حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا

بذلك

اي من الجوع

بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني
انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره
وابشع فجاء بثم للدلالة على التراخي حال الشراب عن حال الطعام
ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انه يذهب بهم
عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى
شجرة الزقوم فياكلون الى ان يتملؤا ويسقون بعد ذلك ثم
يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان
منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقلبهم الى الجحيم علل استحقاقهم
للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين واتباعهم اباهم
على الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم
يحثون حثا وقيل الاسراع فيه شبيه بالرعدة ولقد ضل قبلهم
قبل قومك قريش منذرين انبياء حذروهم العواقب المنذرين الذين
انذروا وحذروا اي اهلكوا جميعا الا عباد الله الذين امنوا منهم
اخلصوا دينهم او اخلصهم الله لدينه على القراءتين لما ذكر ارسال
المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح
ودعاءه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب
قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فوالله لنعم المجيبون
نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة
واوصلها الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم

بأبلغ ما يكون هم الباقون هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم
فقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده وهم الذين
بقوا متناسلين الى يوم القيامه قال قتاده الناس كلهم من ذريته
نوح عليه السلم وكان لنوح ثلثه اولاد سام وحام ويافث فسام
ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان ويافث
ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه
الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو
من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها **فان قلت** ما
معنى قوله في العالمين **قلت** معناه الدعاء بثبوت هذه التحية
فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح
وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم علل مجازاة
نوح عليه السلم بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه
الى آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا
ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم
ويرغبك في تحصيله والازدياد منه وان من شيعته ممن شايعه على اصول
الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله
ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته وما كان
بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم الفان
وستمائة

جلالة نو

وستمائة واربعون سنة **فان قلت** بم تعلق الظرف **قلت** بما في الشيعة
من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء
ربه بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا
معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فيتناولها
كلها **فان قلت** ما معنى المجيء بقلبه ربه **قلت** معناه انه اخلص لله
قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك ائفكا مفعول له تقديره
أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل
للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده
ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا
مفعولا به يعني أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله
على انها افك في نفسها ويجوز ان يكون حالا يعني أتريدون آلهة من دون
الله آفكين فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان رب العالمين
استحق عليكم ان تعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام
والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به
اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به
ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره في النجوم في علم النجوم
او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه
فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه كان القوم
نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم

فقال انى سقيم اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام
عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم
وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد فتفعل بالاصنام ما فعل
فان قلت كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوزه بعض الناس
في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين
والمتهاجرين والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى
والذى قاله ابراهيم صلوات الله عليه معراض من الكلام وقد نوى به
ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول
لبيد فدعوت ربى بالسلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء
وقد مات رجل فجاءة فالتف عليه الناس قالوا مات وهو صحيح فقال
اعرابى اصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد انى سقيم النفس
لكفركم فراغ الى الهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب
الى الهتهم الى اصنامهم التى هي في زعمهم الهة كقوله اين شركاءى
الا تاكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها
فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ
عليهم في معنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم
ضربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا
شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة
والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم

رجل صح

معنى ضاربا صح

يزفون

يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من ازف اذا دخل
في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اى يزف بعضهم بعضا
ويزفون على البناء للمفعول اى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف
يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو
بعضا لتسارعهم اليه فان قلت بين هذا وبين قوله قالوا
من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
كالتناقض حيث ذكر هاهنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما
ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم
انهم سالوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله
هو الكاسر ففى احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفى الاخر
انهم استدلوا بذمه على انه هو الكاسر قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم
وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام
لياكلوا الطعام الذى وضعوه عندها ليبرك عليه وراوها مكسورة
اشمازوا من ذلك وسالوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه اولئك النفر
نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا
فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثانى ان يكسرها ويذهب
ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم
عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فاتوا به على اعين الناس

والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن أي فطر الأصنام فإن قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال فخالق جواهرها الله وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فإن قلت فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة قلت أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه إباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم تكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو أن قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر في نظم القرآن فإن قلت

اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم قلت بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وأيضا فإنك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حتى تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الأعيان التي هي الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألقمه ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا إلى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه أراد بذهابه إلى ربه مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام كما قال إني مهاجر إلى ربي سيهدين سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلم كلا إن معي ربي سيهدين كأن الله وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه أو بناه على عادة الله معه في هدايته وإرشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى صلوات الله عليه عسى ربي أن يهديني سواء السبيل رب هب لي من الصالحين هب لي بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى ووهبنا له

من رحمتنا اخاه هارون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحاق ويعقوب
ووهبنا له يحيى قال علي بن ابي طالب لابن عباس رضي الله عنهما
حين هناه بولده علي ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في
الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب
وقد انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ
اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه
ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل
ما نعت الله الانبياء عليهم السلم باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده
ولقد نعت الله به ابراهيم صلوات الله عليه في قوله ان ابراهيم لاواه
حليم ان ابراهيم لحليم اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ
ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه فان قلت معه بم يتعلق
قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ
لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه
فبقي ان يكون بيانا كانه قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي
قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به
واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم
قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمراد
انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم
وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك

الجواب

الجواب الحكيم اتي في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي
في اليقظة فلهذا قال اني ارى في المنام اني اذبحك فذكر تاويل الرؤيا كما يقول
الممتحن وقد راى انه راكب في السفينة رايت في المنام اني ناج من هذه
المحنة وقيل راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك
هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم
ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك
فعرف انه من الله فمن ثم سمي اليوم يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم
بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته
بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له
اوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الراي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تري
من اراه اي ماذا تبصر من رايك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول
اي ماذا يريك نفسك من الراي افعل ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف
من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امرك على اضافة المصدر
الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ ما تؤمر به فان قلت
لم شاوره في امر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته
ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره
ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع
نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب
المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما

في ابتلائه وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة
في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فإن قلت لم كان ذلك بالمنام
دون اليقظة قلت كما أرى يوسف سجود أبويه وإخوته له في
المنام من غير وحي إلى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الأنبياء
وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لأن الحال
إما حال يقظة أو حال منام فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق
كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد إحداهما يقال سلم لأمر الله
وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا إذا انقاد له وخضع
وأصلها من قولك سلم هذا لفلان إذا خلص له ومعناه سلم من أن
ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه وحقيقة
معناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى
استسلم استخلص نفسه وعن قتادة في أسلما أسلم هذا ابنه وهذا
نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه على الأرض
تواضعا على مباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا
الشيطان وروي أن ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن
في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه
اليوم فإن قلت أين جواب لما قلت هو محذوف تقديره
فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا
كان

اي من سلم له الشيء

كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما
واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء
العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه
من الثواب والأعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب
وقوله إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج
بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس البلاء المبين الاختبار
البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة
التي لا محنة أصعب منها الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس هو
الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به
إسماعيل وعن الحسن فدي بوعل أهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس
لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم عظيم ضخم
الجثة سمين وهي السنة في الأضاحي وقوله صلى الله عليه وسلم
استشرفوا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم وقيل لأنه وقع
عن ولد إبراهيم وروي أنه هرب من إبراهيم عند الجمرة فرماه
بسبع حصيات حتى بقيت سنة في الرمي وروي أنه رمى الشيطان
حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي أنه لما ذبحه قال
جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر
فقال إبراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح أنه
حين أراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا إلى الشعب
لنحتطب

يحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد
رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي
فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي
حتى تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرا على امي
سلامي وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه احرى ان
يكون اسهل لها فقال ابراهيم نعم العون انت يا بني على امر الله
ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه
فلم تعمل لان الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي
فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله
ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبرئيل معه كبش اقرن املح فكبر جبرئيل
والكبش وابراهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل
موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج وقد استشهد ابو حنيفة رحمه الله
بهذه الاية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة فان قلت
من كان الذبيح من ولديه قلت قد اختلف فيه فعن ابن عباس
وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسماعيل
والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين
وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد
المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له امرها ليذبحن

احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له
افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسماعيل
وعن محمد بن كعب القرظي كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا
اللهم اله ابراهيم واسماعيل واسرائيل فقال موسى يا رب ما
لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابراهيم واسماعيل
واسرائيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني
برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابراهيم قط ولا خير
بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسماعيل فانه جاد بدم نفسه
واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط
ويدل عليه ان الله عز وجل لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه
باسحاق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو
اسماعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه
كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فساله فقال ان اليهود
لتعلم انه اسماعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه
ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسماعيل
الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سالت ابا عمرو بن
العلاء عن الذبيح فقال يا اصيمع اين عزب عنك عقلك ومتى
كان اسحاق بمكة وانما كان اسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت
مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر

دون اسحاق في قوله واسماعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين
وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان
صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به
ولان الله بشره باسحاق وولده يعقوب في قوله فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ولو كان الذبيح اسحاق لكان
خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود
والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم
انه اسحاق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابراهيم حين
هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام
حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب
الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله
ابن ابراهيم خليل الله فان قلت فلما اوحى الى ابراهيم صلوات الله
عليه في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا
وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح قلت قد بذل
وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة
على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا
لا يقدح في فعل ابراهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا
بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج
وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل

الفعل

الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل
بالكلام فيه فان قلت الله تعالى هو المفتدي منه لانه الآمر بالذبح
فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت الفادي هو ابراهيم عليه السلام
والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه اسنادا
للفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته فان قلت
فاذا كان ما اتى به ابراهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح
فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل قلت
قد علم عز الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج
وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة
حتى لا تحصل تلك في نفس اسماعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه فان قلت
فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام ما وجد
من ابراهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت الفائدة في ذلك
ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد
المامور به من كل وجه فان قلت لم قيل هاهنا كذلك نجزي المحسنين
وفي غيرها من القصص انا كذلك قلت قد سبقه في هذه القصة
انا كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة ثانية نبيا حال مقدرة
كقوله تعالى فادخلوها خالدين فان قلت فرق بين هذا وبين
قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موعود مع وجود الدخول
والخلود غير موجود معها فتقدرت مقدرين الخلود وكان مستقبلا

وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به
اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى
وهذا المبشر به الذي هو اسحاق حين وجد لم توجد النبوة ايضا
بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة
والحال صفة الفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود
وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين
الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او
مقدرة وقت وجود البشارة باسحاق لعدم اسحاق **قلت** هذا سوال
دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير
مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحاق نبيا اي بان
يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة
وبذلك يرجع نظير قوله فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية
وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون
من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحاق بعدما امتحنه بذبحه
وهذا جواب من يقول الذبيح اسحاق لصاحبه عن تعلقه بقوله
وبشرناه باسحاق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا
لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا وباركنا عليه
وعلى اسحاق ومن ذريتهما اي افضنا عليهما بركات الدين
والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين

وقيل

منه

التقريظ مدح الإنسان وهو حي والتأبين مدحه وهو ميت صحاح

وقيل وباركنا على ابراهيم في اولاده وعلى اسحاق بان اخرجنا
انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظير قوله
ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبيث
والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر
والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان
الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب
بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله
او فرعه من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان فرعون
وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما
وقومهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال
انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال من جوز ان تكون التوراة
عربية ان يشتق من ورى الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة
من واو والصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين
انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقرئ
الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو
ادريس النبي عليه السلام وقرأ ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس
وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هارون
اخي موسى اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم
كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا

اي ظلمهم

وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن
وجعلوهم انبياءه وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة
الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك
من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل الرب بلغة
اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض
البعول وتتركون عبادة الله الله ربكم ورب اباءكم قرى بالرفع
على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا
وقف رفع وقرى على الياسين وادريسين وادرسين وادراسين
على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون
في السريانية معنى وقرى على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به
الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فان قلت فهلا
حملت على هذا الياسين على القطع واضافته قلت لو كان
جعله حرفا بالالف واللام واما من قرا على آل ياسين فعلى ان ياسين
اسم ابي الياس اضيف اليه الال مصبحين داخلين في الصباح
يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا
فما لكم عقول تعتبرون بها قرى يونس بضم النون وكسرها
وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز
والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض
المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة

روي

روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد ابق من سيده
وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا
فخرجت القرعة على يونس فقال انا الابق وزج بنفسه في الماء
فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم اي
يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرى مليم بفتح الميم من ليم فهو
مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ومدعو مدعي
بناء على دعي من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس
وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في
القران فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان
يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد
متكئا وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره
بما هو اهله واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر
في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد
للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة
لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وروي انه حين ابتلعه
اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك
طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك
عشرون وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث

الا مليما انه اخرج من بطنه بعينه الوقت الذي التقم فيه وروي ان
الحوت سار مع السفينه رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح
ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شي فاسلموا
وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل والعراء المكان
الخالي لا شجر فيه ولا شي يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي
انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد اليقطين كل ما ينسدح على وجه
الارض ولا يقوم على ساقه كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو
يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدباء وفايدة الدباء
ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين
وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر
على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه
فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا
فاوحي اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر
فان قلت ما معنى انبتنا عليه شجرة قلت انبتناها فوقه مظلة
له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف المراد به
ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان
بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسالوه
ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما

فيهم

فيهم وقال لهم ان الله باعثك اليكم نبيا او يزيدون في مراى الناظر
اذا راها الراي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف
بالكثرة الحضرمي الجحدري يسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين
فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة
امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق
الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة
الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور
في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادهم
واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر
احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل
انفسهم على ربهم حين جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما
قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا
وهو كظيم او من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث
انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم
ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله
جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف
فكرر الله سبحانه الانواع في كتابه مرات ودل على فظاعتها في ايات
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن
منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد

الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا
ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أم له البنات ولكم
البنون ويجعلون ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ
مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فان قلت
لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء
بهم وتجهيل وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك
بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار
صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم
يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط
جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده
والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي فان قلت اصطفى البنات
بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف
صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات قلت جعله
من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش
وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها
ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم

لله صح

لهم صح

ثلج نفس ... صح

لكاذبون

لكاذبون ما لكم كيف تحكمون بجعلها للاثبات فقد اوقعتها دخيلة بين
نسيبين قد بين وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم سلطان اي حجة نزلت عليكم
من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك
كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات
صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد
وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام
قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب
من ان يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفس فضلا ان تجعله
معتقدا وتتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله وبين الجنة واراد
الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا
نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له
وللملائكة فان قلت لم سمي الملائكة جنة قلت قالوا الجنس
واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان
ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا
الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم
وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة
التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان
والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب
من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوي بين الملك وبين بعض خواصه

حال قريش

الجن فعل بمعنى مفعول ... بمعنى مفعول من ...

ح

بعض

ومفتريه فتقول كل اشتوى بني ومن عندي وإذا ذكره في غير هذا
المقام وقوه وكناه والضمير في انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون
في الملائكة وقد علم الملائكة انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم
محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب
حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل
قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله
والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا الجن في طاعة الله ويجوز
اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم
والمعنى ان الشياطين عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم
ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم
الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن
المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع
منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في يصفون اي يصفه هؤلاء
بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به والضمير في عليه لله عز
وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله
الا اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون
ان يصلوها **فان قلت** كيف يفتنونهم على الله **قلت** يفسدونهم
عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امراته
كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو في وما تعبدون

الواو بمعنى

بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل
وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم
وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم
مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم
لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين
بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال
مثلكم او يكون في اسلوب قوله وانك والكتاب الى على كالدابغة
وقد حلم الاديم وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة
اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي واللام
التعريف **فان قلت** كيف استقام الجمع مع قوله من هو
قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون
على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية
واحدة والثاني ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال
في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث ان يحذف لام صال تخفيفا
ويجري الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة
واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ
وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب
على العين وما منا احد الا له مقام معلوم فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا

بلغ كل منزلة في البشر بها مع العبادة والانتهاء الى امر الله
مقصوره عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد
لا يرفع راسه لنحن الصافون نصف اقدامنا في الصلوة او اجنحتنا
في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش
داعين للمؤمنين وقيل المسلمين انما اصطفوا في الصلوة
منذ نزلت هذه الاية وليس يصطف احد من اهل الملل في صلوتهم
غير المسلمين المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان يكون
هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة
حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد
علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة
رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله
المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم
لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان
مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا انه من اهل [النار صح] وكيف نكون مناسبين
لرب العزة ونجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء
بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه
ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا
في طاعته ولعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب
على العباد

على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم
يعني وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله
تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم [ذكر] اعمالهم وانهم هم الذين يصطفون
في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه هم
مشركوا قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا
من كتب الاولين الذين نزل عليهم التورة والانجيل لاخلصنا العبادة لله و
لما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار
والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما
زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام
وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولون [لو انه]
موكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم واخره الكلمة قوله انهم لهم
المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة
لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد
بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في
الاخرة كما قال الله تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في
بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في
العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم والخلفاء الراشدين
مثلا يحتذى عليها ويعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي في حرب ولا
قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع

في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة فالحكم للغالب وعن ابن عباس
رضي انهم ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود
على نفسهم على عبادنا سبقت بمعنى حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واغمض على
اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي
الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيمة وابصرهم وما ينقضي عليهم
من الاسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرون ذلك وما يقضي لك
من النصرة والتاييد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة
الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام
ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد
كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعدما انذروه فانكروه بجيش
انذر بهجوم قوم بغض بضحائهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم
ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة و
قطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة
صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الاية ولا كانت لها
الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا
لمجيئها على طريقة التمثيل وقرا ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على
اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على وترك العذاب
والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس
من انذروا لا ان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله

صلى الله عليه وعلى اله وسلم يوم الفتح بمكة وعن انس بن مالك رضي الله عنه لما
اتى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم
ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه
وعلى اله وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتاكيدا لوقوع
الميعاد الى تاكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول
وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة
وقيل اراد باحدهما عذاب الدنيا وبالاخر عذاب الآخرة اضيف الرب الى العزة
لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق
ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها
كقوله تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا
اليه ما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في
العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيهه ذاته عما وصفه
به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض
لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا
يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرانه المجيد
وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم
القيمة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة
عما يصفون الى اخر السورة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم

من قرء والصافات اعطي له من الاجر عشر حسنات بعدد كل
جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من
الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مومنا بالمرسلين
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد الامين و
على اله الاخيار الطاهرين تم الجزو الثالث من الكشاف